

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Researc

Zione Achour University of Djelfa

College of Social Sciences and Humanities

Department of Humanities

Subject:

The authorship movement in Algeria late ottoman period

A thesis submitted to obtain a doctorate degree L.M.D

Specialization: Algerian cultural history (1518-1962 AD)

Preparing the student: **Gueliel Rahima**

Supervision of Professor Dr: **Gaoubaa Abdelkader**

Name and Surname	Rank	Affiliation Foundation	Adjective
Abdelkader Hallis	lecturer professor A	Djelfa University	President
Gaoubaa Abdelkader	Professor of higher education	Djelfa University	supervisor and rapporteur
Amhamed garoud	lecturer professor A	Djelfa University	Examiner
Abdelrahman Garache	lecturer professor A	Djelfa University	Examiner
Mostafa Benamar	lecturer professor A	Djelfa University	Examiner
Moussa Triaa	lecturer professor A	University of Ghardaia	Examiner
Mouloud Grine	lecturer professor A	Medea University	Examiner

college year:

2020- 2021/ 1441- 1442



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم

العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور –الجلفة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني

أطروحـــــة مقدمـــــة لنيــل شهـــادة الدكتـــــــــــــوراه ل.م.د

اختصاص: تاريخ الجزائر الثقافي(1518-1962م)

إعــداد الطالبـة:

- رحيمة قلــيل

إشـراف الأستاذ الدكتـــور:

- عبد القادر قوبع

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
عبد القادر حليس	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	رئيسا
عبد القادر قوبع	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	مشرفا ومقررا
امحمد قرود	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	ممتحنا
عبد الرحمان قراش	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	ممتحنا
مصطفى بن عمار	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	ممتحنا
موسى تريعة	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	ممتحنا
مولود قرين	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	ممتحنا

السنة الجامعية:

1441-1442هـ/ 2020-2021م



قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ سورة البقرة الاية 152.

لا شكر إلا بعد حمد وشكر الله تعالى أحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه أحمده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمد الله حتى يرضى وأحمده إذا رضي وأحمده بعد الرضا على توفيقه لي لإنجاز هذا العمل.

أتقدم بأرقى آيات الاحترام والتقدير وأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور المشرف الفاضل "عبد القادر قوبع" الذي لم يبخل علي بتقديم النصح والتوجيه والدعم والتشجيع الذي دفع بي قدر ما لاستكمال مراحل العمل متمنية من الله عز وجل أن يوفقه في كل مجالات حياته إن شاء الله.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى كل عمال الخزانة الحسنية بالرباط-المغرب وإلى كل عمال المكتبة الوطنية بالجزائر على تقديم المخطوطات التي تخدم الموضوع.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى السادة الأساتذة الأفاضل كل باسمه أعضاء لجنة المناقشة الذين تشرفت بهم بمناقشة هذه الأطروحة.

و أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أمد لي يد العون من قريب أو بعيد وخاصة أختي الغالية "مبخوتة قعفازي" على المساعدة ووقوفها الدائم معي جزاها الله كل خير.

ولله الفضل من قبل وبعد.



قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم ﴿٧﴾﴾ [سورة إبراهيم الآية 07].

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

أرواح شهدائنا الأبرار.

إلى أغلى ما في الوجود الوالدين الكريمين أمدهما الله بالصحة والعافية وبارك الله في عمرهما.

إلى كل أفراد عائلتي كل باسمه.

إلى كل الأساتذة الكرام.

إلى كل من رافقني في مشواري الدراسي إلى جميع الأصدقاء وخصوصا الأخت "مبخوتة قعفازي"

أهدي هذه الثمرة تقديرا لنصائحهم وتضحياتهم.


مقـــدمة

يُقاس تقدم الأمم والشعوب بحجم الإرث العلمي والثقافي الذي خلفته، وفي الجزائر تعد فترة العهد العثماني من أخصب الفترات التاريخية بالنظر للثراء الذي تميزت به على صعيد الأحداث التاريخية، وكذا الموروث الثقافي المترتب عن تلك المرحلة، وإن ظل الجانب الثقافي بعيدا عن الدارسين يكتنفه الكثير من الغموض في ظل شح الدراسات التي اهتمت به، وقد أضحى في حاجة ماسة لمزيد من البحث والدراسة، وهو ما دفعني للبحث في هذا الموضوع فجاء بحثي الموسوم بعنوان حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني(القرن 18وبداية القرن 19 الميلاد)، وهذا سعيا مني لإزالة الغموض عن هذا الجانب الثقافي من تاريخ العهد العثماني بالجزائر.

لقد ارتبط تاريخ الجزائر الحديث بالتواجد العثماني الذي عمر أزيد من ثلاثة قرون، بداية من 1518م وحتى سنة 1830م، حيث اهتمت فيه السلطة العثمانية بالجانب السياسي والعسكري، واسترجاع المدن الساحلية الجزائرية التي تعرضت للهجمات الإسبانية البرتغالية، وفي المقابل همشت طويلا الجانب الثقافي والعلمي.

وهوالأمر الذي أدى بعلماء الجزائر إلى التحرك بغية الارتقاء بالواقع الثقافي والتعليمي، والمساهمة في تدوين أحداث الفترة خصوصا في نهاية العهد العثماني التي تزامنت مع إسترجاع وهران 1792م، وتشجيع بعض البايات العثمانيين مثل الباي محمد الكبير لحركة التأليف والنسخ، فظهرت عديد المؤلفات في شتى العلوم الشرعية واللغوية والعلمية والتاريخية خاصة بالنسبة للقرن (12هـ/18م) وأوائل القرن (13هـ/19م) حيث تميزت بالكثرة والتنوع نتيجة عوامل كثيرة منها: نمو العديد من المدن مثل بجاية وتلمسان وقسنطينة، والذي أدى إلى ظهور البيوت العلمية وكذلك التواصل الثقافي والفكري بين المغرب والمشرق الإسلاميين عن طريق الرحلات الحجازية وركب الحجيج والرحلات العلمية، مما ولد هجرة علمية نحو أهم الحواضر المعروفة حينها مثل الزيتونة والقروين وكذا الأزهر الشريف، بالإضافة إلى الحركة الصوفية التي قادها شيوخ الطرق الصوفية، فازدهرت حركة التأليف خصوصا في أواخر الفترة العثمانية.

وهكذا أسهم الجزائريون إبان هذه المرحلة في تدوين أحداث الفترة، فظهرت العديد من المؤلفات التي شكلت المصدر الرئيسي لدراسة الفترة العثمانية بالجزائر، وقد شملت مختلف مجالات الحياة العلمية والأدبية.

➢ **دوافع اختيار الموضوع:**

لم يكن اختياري لموضوع حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني وليد الصدفة بل كان نتيجة تضافر مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية ومنها:

➢ **الدوافع الذاتية:**

- الرغبة الشخصية قصد التعرف على التآليف الجزائرية في الفترة العثمانية وأهم مؤلفيها.

- الرغبة العلمية في دراسة موضوع "حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني" وإزالة بعض الغموض عن بعض المؤلفات بنوعيها النقلية والعقلية.

- تعتبر هذه الدراسة محاولة لإعطاء القارئ لمحة عن أهم المؤلفات الجزائرية أواخر العهد العثماني رغم الصعوبات والعراقيل التي واجهها المؤلفون وأيضا مواصلة جهود من سبقني من الباحثين في هذا الموضوع.

➢ **الدوافع الموضوعية:**

- قلة الكتابات التاريخية حول المواضيع الثقافية مقارنة بالمواضيع السياسية والعسكرية لكون الدولة العثمانية نشأت في البحر كقوة عسكرية حربية.

- إزالة الغموض ورد الاعتبار لعلماء الجزائر أواخر الفترة العثمانية من خلال التعريف بهم، والتعريف بمؤلفاتهم وظاهرة التواصل الثقافي بينهم وبين الأقطار المغاربية في أواخر العهد العثماني.

- إبراز الحياة العلمية والدينية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، وأهم العلوم التي كانت سائدة، ثم محاولة معرفة الأسباب التي كانت وراء سيطرة العلوم النقلية على العلوم العقلية.

- تقديم إضافة جديدة للدراسات التي تُعنى بالجانب الثقافي الذي لا يزال يكتنفه بعض الغموض خاصة في الفترة العثمانية.

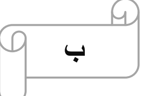
➢ **إشكالية الموضوع:**

لدراسة هذا الموضوع انطلقت من الإشكالية التالية:

كيف كانت حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني؟ وفيم تمثلت؟ وما هي مجالاتها؟

ولتغطية جميع جوانب هذا الموضوع نطرح التساؤلات التالية:

- كيف كانت الحياة الثقافية والدينية في الجزائر خلال العهد العثماني؟



- ما هي أهم العوامل التي ساهمت في ظهور حركة التأليف بالجزائر خلال العهد العثماني؟
- ما هي المجالات التي تركز فيها تلك التآليف؟
-ما هي أهم المؤلفات العقلية والنقلية التي عرفتها الجزائر أواخر العهد العثماني؟ ومن أهم أبرز مؤلفيها؟

➢ **أهمية الدراسة:**

إن ما دفعني للاهتمام بموضوع حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني هو قلة الدراسات المتخصصة في مثل هذا الموضوع عند الباحثين من جهة، ومن جهة أخرى ظهور مجموعة من المؤلفين ومؤلفاتهم في فترة تميزت باستقرار سياسي وخاصة بعد إسترجاع وهران 1792م، كما أن أواخر الفترة العثمانية لم تنل الدراسة اللائقة بها ولم تحظ بالاهتمام الجدير، كما أن الكتاب الفرنسيون لم يكونوا ليروا شيئا جديرًا بالتنويه والإشادة في ماضي الجزائر سوى العهد الروماني وفترة الاحتلال الفرنسي، وفي المقابل فإن بعض الجزائريين من جهتهم يعتبرون الفترة العثمانية مجرد خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالقرون الوسطى أو تمهيدا لدراستهم المتصلة بفترة الاحتلال، كما أن أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية والتي تمت على يد كتاب فرنسيين تعتبر دراسات متحيزة، تهدف إلى خدمة الاستعمار الفرنسي وتبرير وجوده بالجزائر.

➢ **المناهج المتبعة:**

للإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدت في دراستي هذه على عدة مناهج تنوعت بتنوع مضامين الفصول، وما تتطلبه الأفكار وطبيعة الدراسة التاريخية وتراوحت مابين المنهج الوصفي من خلال دراسة فترة من فترات الجزائر في الفترة العثمانية، وتاريخ المؤلفين ووصف مؤلفاتهم، كما اعتمدت على المنهج التحليلي بواسطة تحليل بعض المؤلفات الخاصة بالموضوع، كما وظفت كذلك المنهج المقارن من خلال المقارنة بين بعض المؤلفات النقلية والمؤلفات العقلية.

➢ **خطة عمل البحث:**

للإجابة عن هذه الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية ارتأيت إتباع الخطة التالية:
فصل تمهيدي وأربعة فصول، كل فصل يحتوي على مباحث، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، محاولة هيكلة الموضوع في قالب علمي أكاديمي.

- **الفصل التمهيدي:**

جاء بعنوان: "**الحياة الثقافية والدينية في الجزائر خلال العهد العثماني**"، حيث تناولت فيه التعليم ومؤسساته الثقافية كالمساجد والزوايا، والرباطات والكتاتيب القرآنية والمدارس والمكتبات، ومؤسسة الوقف، التي كانت المورد الرئيسي للتعليم ومؤسساته الثقافية ومناهج التعليم ومراحله الثلاث: المستوى الابتدائي والثانوي والعالي، وتضمن هذا الفصل أيضا الحياة الدينية؛ ممثلة في الإفتاء والقضاء والخطابة، ثم تناولت التصوف ختاما بموقف الدولة العثمانية من الشأن الثقافي والديني.

- **الفصل الأول:**

بعنوان: "**حركة التأليف وعوامل انتشارها في الجزائر العثمانية**" حيث تناولت فيه تعريف مصطلح التأليف من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ثم تطرقت إلى نشأة وتطور حركة التأليف في الجزائر العثمانية، وأخيرا عوامل انتشار حركة التأليف في الجزائر العثمانية ممثلة في عوامل داخلية وأخرى خارجية.

- **الفصل الثاني:**

بعنوان: "**نماذج من مؤلفي القرن 18م وبداية القرن 19م في الجزائر**" حيث تطرقت فيه إلى شخصيات علمية عاشت في الفترة المذكورة وكانت لها إسهامات في المؤلفات النقلية والعقلية وعلوم التصوف، وهم الأديب محمد بن ميمون الجزائري (ت1159هـ/1746م) والشيخ عبد القادر المشرفي (ت1192هـ/1778م)، و الرحّالة الحسين الورثيلاني (1125هـ-1713م/ ت1193هـ/1779م) والطبيب عبد الرزاق ابن حمادوش (1107هـ-1695م/ت 1200-1786م)، والعلامة الحافظ أبو رأس الناصري المعسكري (1150هـ-1737م/ت 1238هـ/1823م).

- **الفصل الثالث:**

بعنوان: "**التآليف النقلية في الجزائر أواخر العهد العثماني**" ممثلة في العلوم الشرعية؛ كعلوم القرآن؛ ويندرج تحته علم التفسير وعلم القراءات ثم علوم الحديث، وكذا علوم الفقه ثم علوم الكلام وعلوم التصوف، بعدها تناولت العلوم اللسانية ممثلة في علوم اللغة وعلوم النحو والصرف ثم علوم البيان والمعاني والبديع وكذا علوم العروض والقوافي،وأخيرا علوم الأدب ممثلة في النثر والشعر، ثم تطرقت إلى التاريخ والسير والتراجم والرحلات بنوعيها: الرحلات

الحجازيـة: حيـث تطرقـت إلـى رحلـة الحسـين الـورثيلاني (1125هـ-1713م/1193هـ-1779م) الموسومة بـ"**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، والرحلات العلمية: حيث تناولت رحلة "**لسان المقال في النبأ عن الحسب والحال**" لمؤلفها عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (1107هـ-1695م/ ت1200-1786م) ورحلة "رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي" لمؤلفها محمد أبي رأس الجزائري المعسكري (1150هـ-1737م/ ت1238-1823م).

- **الفصل الرابع:**

وهو بعنوان: "**التآليف العقلية في الجزائر أواخر العهد العثماني**" تناولت فيه علوم المنطق، ثم علوم الطب، وأخيرا علوم الفلك والحساب.

وأنهيت البحث في الأخير بخاتمة أجملتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

➢ **الدراسات السابقة:**

لا نزعم في بحثنا هذا حيازتنا قصد السبق، بل إن هناك عددا من الدراسات والرسائل الجامعية التي تعتبر رائدة في هذا المجال، أي في حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني على وجه العموم، كتلك الدراسة التي تقدمت بها رقية شارف بعنوان: "**الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية**" كما تناول الباحث عبو إبراهيم موضوع: "**العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م)**.

وقامت فوزية لزغم بدراسة أيضا شبيهة بهذا الموضوع تحت عنوان "**البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي**" أما الباحث عبد القادر بكاري فقد تناول "**منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)**" ولديه مقال أيضا يخدم الموضوع جاء بعنوان "**الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو رأس الناصري أنموذجا**" حيث أفادتني هذه الدراسات السابق ذكرها كثيرا في خدمة هذا الموضوع.

➢ **المصادر والمراجع المتبعة:**

لتعزيز دراستنا هذه والإلمام بجوانبها المختلفة اعتمدت في إنجاز موضوع حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني على مجموعة مصادر ومراجع محلية وأجنبية، كما

استعنت ببعض الدراسات الأكاديمية التي تخدم الموضوع، ومن أهم المصادر التي تناولها الموضوع:

✓ **المخطوطات:**

فقد تحصلت على بعض المخطوطات من الخزانة الحسنية الملكية الموجودة في الرباط بالمملكة المغربية؛ مثل مخطوط "**زهر الشماريخ**" لأبي رأس الناصر تحت رقم: 13923، ومخطوطا آخر يحمل عنوان "**إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم**" لأبي رأس الناصر تحت رقم: 5553، وكذلك مخطوط "**الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**" تحت رقم: 13925، ومخطوطا لعبد القادر المشرفي بعنوان "**عقد الجمان**" تحت رقم: 6844، وله كذلك مجموعة إجازات مخطوطة تحت رقم: 14134.

✓ **المصادر المحققة:**

- كتاب "**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**" لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري بتحقيق محمد بن عبد الكريم، حيث تناول محمد بن ميمون في هذا الكتاب سيرة الداي محمد بكداش إبان توليته وحكمه، كما خصص جلّ الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران على يد هذا الداي وصهره أوزون حسن، وقد أفادني هذا المصدر كثيرا في التعريف بنسب الأديب محمد بن ميمون الجزائري وثقافته وعصره، كما تضمن أيضا أهم المراكز الثقافية من مساجد وزوايا ورباطات وكتاتيب قرآنية ومدارس خلال الفترة العثمانية بالجزائر.

- كتاب "**بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**" لمؤلفه عبد القادر المشرفي، بتحقيق محمد بن عبد الكريم أيضا وهو مصدر أساسي اعتمدت عليه في التعريف بمؤلفه، لأن المصادر نادرة في التعريف بهذه الشخصية، كما اعتمدت على جملة من المصادر المحققة للعلامة أبي رأس الناصري وهي:

- كتاب "**فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**" حياة أبي رأس الذاتية والعلمية لمؤلفه أبي رأس محمد الجزائري، قام بتحقيقه محمد بن عبد الكريم الجزائري اعتمدت عليه في التعريف بشخصية أبو رأس الناصري وأهم الشيوخ المغاربة الذين التقى بهم.

- كتاب "**زهر الشماريخ في علم التاريخ**" الذي قام بتحقيقه عمر بن حمدادو.

- كتاب "**الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**" قام بتقديمه أحمد الطويلي.

- كتاب "**لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنـه من بنـي زيان ملوك تلمسان**" حققه حمدادو بن عمر.

- كتاب "**نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينـة القيروان**" قدمه محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب.

- كتاب "**عجائب الأسفار ولطائف الإخبار**" قدمه محمد غانم.

- كتاب "**الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**" حققه أحمد أمين دلائي.

وقد أفادتني هذه المصادر كثيرا في التعريف بشخصية العلامة أبو رأس الناصري ومؤلفاته، كما تناولت الحديث عن الحياة الثقافية في الفترة المدروسة.

كما اعتمدت على كتاب "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**" لمؤلفها "الحسين بن محمد الورثيلاني"(1125هـ- 1713م/ 1193هـ- 1779م) حيث تناول هذا الكتاب التعريف بصاحب الرحلة وأهم المتصوفة الذين زارهم، وقد أفادني كثيرا في موضوع التصوف.

- كتاب "**رحلة لسان المقال في النبأ والحسب والحال**" لمؤلفها عبد الرزاق بن حمادوش (1107هـ-1695م/ ت 1200-1786 م) قام بتحقيقها أبو القاسم سعد الله، اعتمدت لكون مؤلفها من أعلام القرن الثامن عشر الميلادي، وهي عبارة عن سرد لرحلته تناولت قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية في الجزائر، والمغرب والمشرق الإسلاميين، استعنت بها في التعريف بشخصية المؤلف وفي فصل العلوم العقلية وخصوصا الطب.

- كتاب عبد الرزاق محمد بن حمادوش الجزائري "**كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب**" اعتمدت عليه في الحديث عن الطب عند عبد الرزاق بن حمادوش، وأهم الأمراض التي كانت منتشرة في الفترة المذكورة.

✓ **المراجع:**

من بين المراجع الكثيرة التي اعتمدت عليها في هذا الموضوع:

- أحمد مريوش في كتابه "الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني" حيث أفادني كثيرا في الفصل التمهيدي عند الحديث عن المؤسسات الثقافية التي كانت منتشرة في تلك الفترة ودورها الثقافي، كما تناول التصوف أيضا.

- أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" بجزئيه الجزء الأول والثاني، والذي يعتبر عملا ثقافيا موسوعيا، ويعد من أهم المراجع التي اعتمدت عليها لكون المؤلف مختص في الحياة الثقافية في الفترة المذكورة، وقد تناول المؤسسات الثقافية والدينية التي عرفتها الجزائر خلال العثماني.

- لزغم فوزية في كتابها "الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية" أفادني في الحديث عن الإجازات والتواصل الثقافي بين علماء الجزائر وعلماء الأقطار المغاربية.

- عبد العزيز شهبي في كتابه "الزاوية والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر" حيث أفادني عند الحديث عن موضوع التصوف والطرق الصوفية؛ كالطريقة القادرية والرحمانية.

- يحي بوعزيز في كتابه "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر" حيث استعنت به في ترجمة الأعلام الذين اعتمدت عليهم في هذا الموضوع.

- مصطفى خياطي في كتابه "الطب والأطباء في الجزائر العثمانية" حيث اعتمدت عليه في الحديث عن الطب في الجزائر خلال العهد العثماني.

أما المراجع الأجنبية نذكر:

- shaw, voyage dans la regence d'Alger.
- Gabriel kolin, abderezaq el jazairi, un medecin arabe du xii siecle de Algerie.

هذا إلى جانب عدد من الأطروحات الجامعية والمقالات ذات القيمة العلمية الكبيرة التي ساعدتني كثيرا في خدمة الموضوع ومن بينها:

✓ **الأطروحات الجامعية:**

- رقية شارف وأطروحتها المكملة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان: "التاريخ والؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/ 1850م - دراسة وصفية تحليلية نقدية مقارنة مقاربة في المنهج التاريخي".

- بوكعبر تقي الدين ومذكرته: "دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على أبي رأس الناصر في قضية نسب أسرة المشارفة .

- عبو إبراهيم وأطروحته المكملة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان "العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م).

-عبد العزيز بومدين ومذكرته: "الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري"، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية.

-لزغم فوزية وأطروحتها: "البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي.

✓ **المقالات:**

- رموم محفوظ بمقال "حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830م".
- رشيد مريخي ومقاله "ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني".
- صليحة بردي ومقالها "الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني- دراسة في الواقع والمعطيات-".
- ذهبية بوشيبة بمقال "العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني".

➢ **الصعوبات:**

كأي بحث علمي واجهتني أثناء إنجازي لهذا الموضوع الموسوم بعنوان "**حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني**"عدة صعوبات لعل من أهمها: قلة المصادر لكون الموضوع يعتمد على المخطوطات بالدرجة الأولى خاصة فيما يتعلق بالجانب الثقافي في الفترة العثمانية، فأغلب مصادر هذه الفترة تراوحت بين المصادر السياسية والعسكرية.

- عدم وجود دراسات تتناول موضوع العلوم العقلية وتشابه المادة العلمية إذ كثيرا ما نصادف التكرار والتشابه بين مؤلف وآخر.

- غلبة الظاهرة الشفوية على الحياة العلمية والثقافية حيث الحفظ والمناظرات والاستظهار والعزوف عن الكتابة.

وفي مقابل هذا فلقد قدمت لي مساعدات من البعض الذين أنوه بمجهودهم لما قدموه لي من عون بغية إكمال هذا البحث، وعلى رأسهم عمال الخزانة الحسنية بالرباط بالمملكة المغربية، حيث أفادوني ببعض المخطوطات التي تخدم هذا الموضوع.

وفي نهاية رحلتي العلمية هذه التي استمرت لنحو ثلاث سنوات فإن كل ما توصل إليه البحث الموسوم بعنوان "**حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني**"لا أدعي بلوغه

درجة الكمال لأن الكمال لله وحده، ولا أعتبره خال من النقائص والعلل بل، هو عمل قابل للزيادة والنقصان في ضوء ما يستجد من أفكار وآراء شأنه في ذلك شأن أي بحث آخر، غير أني أتمنى أن يكون نقطة بداية لبحوث ودراسات أخرى إن شاء الله، فإن كنت قد أصبت القصد من هذه الدراسة فذلك بفضل توفيق الله تعالى أولا، وبفضل أستاذي المشرف ثانيا الذي بذل لي مشكورا مأجورا من وقته وجهده الشيء الكثير.

ولا يفوتني في الأخير أن أتقدم بالشكر الجزيل للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على حرصهم في تقييم هذا العمل، والله من وراءه القصد إياه نسأل الهدى والتوفيق والسداد.

الفصل التمهيدي:
الحياة الثقافية والدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

إن ظهور المؤسسات الثقافية والدينية بالجزائر ليست وليدة العهد العثماني، وإنما ترجع جذورها إلى انطلاق الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب العربي، حيث برزت المؤسسات التربوية الدينية مستمدة روحها من المدرسة النبوية قولا وفعلا وتقريرا، وشكلت منارات للعلم والمعرفة، وكان أساسها المسجد الذي كان مهيمنا على جميع مناحي الحياة، يعلم ويربي ويرعى شؤون المسلمين، ويعمل على نشر مبادئ الدين وتحفيظ القرآن الكريم وتوعية الناس وتثقيفهم، ومعالجة مشاكلهم في مختلف مجالات الحياة الدينية والعلمية والقضائية، بالتالي فهو يؤدي وظيفة دينية وعلمية في آن واحد، ثم بدأت تظهر مؤسسات ثقافية ودينية أخرى تدريجيا، لكي تشارك المسجد في تبليغ رسالته الدينية والعلمية التي كان يؤديها داخل المجتمع، وبالتالي تقسيم المهام التي كان يؤديها المسجد كتحفيظ القران الكريم وتعليم العلوم الشرعية في مختلف المراحل، فظهرت الكتاتيب القرآنية والمدارس التعليمية إلى جانب ظهور الرباطات والزوايا عبر مختلف ربوع الوطن.

غير أن هذه المؤسسات الثقافية والدينية أصبحت في العهد العثماني بالجزائر أكثر تطورا، واهتمت بنشر التعليم بجميع مستوياته، ومما يلاحظ عليه أنه كان تعليما دينيا خاصا ينبع من حاجة المجتمع الجزائري لتربية أبنائه، لذا اعتمد على جهود الآباء الذين كانوا يسهرون على تعليم أبنائهم، إضافة إلى المؤسسات الخيرية وجهود بعض الحكام العثمانيين الذين كانوا وراء انتشار التعليم وازدهار حركة التأليف في الجزائر العثمانية، تحت إشراف الأوقاف المورد الرئيسي للتعليم، ولم يكن للدولة العثمانية دخل في هذا المجال فلم تطوره وفي المقابل لم تحاربه، لكون اهتمامها الكبير كان بالجانب السياسي والعسكري، واسترجاع المدن الجزائرية التي تعرضت لهجمات إسبانية متكررة مطلع القرن السادس عشر للميلاد، والاهتمام كذلك بالجانب الاقتصادي والتجاري.

وفي المقابل اهتم العثمانيون بالجانب الديني لهذا انتشر التصوف والقباب والأضرحة والأماكن المخصصة للزيارات في كامل أرجاء الوطن، سواء في المدن أو الأرياف، وهذا راجع إلى طبيعة التكوين الديني للعثمانيين، لكن في نهاية عهدهم تحول التصوف إلى دروشة مما أدى إلى ضعف التعليم وانحطاط العلوم، لكن رغم ذلك الضعف العلمي فقد ظل مستوى التعليم في الجزائر العثمانية يضاهي التعليم في العواصم العلمية الكبرى.

عرفت إيالة الجزائر خلال الفترة العثمانية كغيرها من الإيالات المغاربية انتشارا واسعا للمراكز الثقافية والدينية، والتي تمثلت أساسا في الزوايا والرباطات والمساجد والكتاتيب والمدارس، إضافة إلى القضاء والإفتاء والتصوف، وقد لعبت دورا محوريا في نشر التعليم بجميع مستوياته سواء في القرى أو المدن في ظل غياب معاهد كبرى وجامعات على غرار ما كان موجودا في البلاد الإسلامية الأخرى كتونس"الزيتونة"، والمغرب "القرويين"، وبلاد المشرق العربي "الأزهر"، لذا اشترك الجزائريون في صنع الثقافة الإسلامية لكون الثقافة هي جوهر الوجود وفي مقدمتها التعليم.

أولا: التعليم ومؤسساته:

كان التعليم وما يزال الأساس الحقيقي لكل ثقافة ولأي تقدم في المجتمع الإنساني، وقد ساعد على ازدهار الثقافة العربية الإسلامية وانتشارها في المجتمع عبر مختلف العصور، لهذا أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره الفعال في خدمة المجتمع، فحرصوا على تعليم أبنائهم.

لقد كان التعليم أهم مميزات الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني، وقد انتشر في مختلف أنحائها وهذا باعتراف الجنرال "فاليري" بأن وضعية التعليم في الجزائر كانت جيدة قبل التواجد الفرنسي[1]، بحيث كان معظم الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة[2] والحساب[3].

والملاحظ أنه كان تعليما دينيا خاصا، يقوم على جهود الآباء الذين كانوا يسهرون على تعليم أبنائهم، ومن الأغراض التي كانت تدفعهم لذلك:

امتثالا لحث الدين على التعلم لأن الله تعالى حث على طلب العلم لقوله تعالى: **{يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}**[4].

كما حثت أحاديث نبوية المسلمين صرف العناية إلى خدمته التي تعد من أعظم القربات إلى الله تعالى، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

---

[1] Charles Robert Ageron , algerienne musulmans de la France, paris, 1968, p318.

[2] عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، ط 1، دار ريحانة، الجزائر، 2002م، ص109.

[3] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ت، ص317.

[4] القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية 11.

«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما،إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذبحظ وافر» رواه مسلم[1].

ولأن الصبيان في سن معينة لا يحتاجهم أهلوهم في العمل، والرغبة أحيانا في مهنة التعليم أو القضاء أو الإفتاء وهي مهن كثيرا ما كانت وراثية في عدد من الأسر، ولأن كثيرا من المهن والحرف تقتضي معرفةً بالحساب والقراءة والكتابة ونحوه كالتجارة.

بالإضافة إلى كل هذه الأغراض لا يمكن أن نغفل الإشارة إلى قيم وتقاليد الجزائريين الراسخة والقائمة على احترام الإنسان المتعلم، وتقديس العلم في حد ذاته.

لذلك فقد كانت الأسرة الجزائرية هي التي تتحمل أعباء التعليم المالية وغيرها، والهدف كان تعلم القراءة والكتابة وتعلم المبادئ العامة للإسلام، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم[2]، إضافة إلى المؤسسات الخيرية، وكان يمول من قبل الأوقاف التي كانت المورد الرئيس للتعليم ويدخل في هذا العموم رجال الدولة أيضا ولكن كأفراد[3].

لقد تعددت المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني بالجزائر واختلفت أدوارها حسب مهام كل واحدة منها، لكن رغم ذلك فقد اشتركت في البساطة وفي تأدية نفس الوظيفة التعليمية، إضافة إلى أنها أعطت لنا صورة واضحة عن النشاط الثقافي في الجزائر.

ورغم اختلاف مواقف المؤرخين حول سياسة البايلك الثقافية في الجزائر والتي انطبعت إجمالا باللامبالاة وعدم الاهتمام بنواحي التعليم في مختلف مراحله، إلا أننا لا ننفي وجود مؤسسات ثقافية، وهيكل تنظيمي للمنشآت العلمية وموارد وقفية[4]، حيث كان التعليم في العهد

---

[1] أبي زكريا يحي بن أبي شرف النوي، الأربعون النووية في الأحاديث النبوية، ط2، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، 2012م، ص45.

[2] دباح عائشة،الحياة الثقافية والدينية في الجزائر على عهد الدايات (1671–1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للاساتذة، الجزائر، 2018/2017م، ص64.

[3] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م ص314.

[4] رموم محفوظ، حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500–1830م،مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، ع27، ص203.

العثماني بإيالة الجزائر يقدم من خلال مراكز مختلفة، وكل واحد منها يقوم بوظيفته أحسن قيام ومما يؤكد ذلك العدد الكبير من المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في البلاد[1] ومن بينها مايلي:

1/: مؤسسة الوقف:

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية فهو باب من أبواب الخير والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، تستمد فائدته في حال حياة الواقف وبعد وفاته، كما أنه نظام اجتماعي واقتصادي ومسلك تضامني بين أفراد المجتمع المسلم، ولا سيما المجتمع الجزائري الذي عرف الوقف وتعامل به منذ قرون.

لقد توسع وازدهر الوقف في الجزائر خلال الفترة العثمانية وذلك لاهتمام الحكام ومختلف فئات المجتمع بهذا النظام الخيري، فهو أساسا يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي[2]، وكونه صدقة محرمة لا تباع ولا تشتري، ولا توهب ولا تورث، ويصرف ريعها إلى جهة من جهات البر[3].

فالوقف في اللغة بمعنى الحبس وهو المنع والإمساك، وفي الاصطلاح نقصد به كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يورث من نخل أو كرم أو غيرها، كأرض مستغل وتسبل غلته[4]، وقد ثبت مشروعية الوقف لقوله تعالى: **{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم}**[5]، فهو عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية يقوم على توفير الواقف الذي له أهلية التبرع بما يملك من ذات أو منفعة على وجود الموقوف؛ وهو المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس، فضلا على توفر الموقوف عليه، وهو المستحق لصرف تلك الذات أو المنفعة[6].

---

[1] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005/2006م، ص332.

[2] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص227.

[3] محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار الكتب، القاهرة، 2014م، ص1.

[4] محمد عبد العظيم أبو النصر، الأوقاف في بغداد "العصر العباسي الثاني"، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ص7.

[5] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية92.

[6] أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ص46.

وقد عرف نظام الوقف تطورا كبيرا في الجزائر خلال العهد العثماني، ويرجع المؤرخين ذلك إلى المذهب الحنفي الذي دخل الجزائر مع التوسع التركي في المنطقة[1]، حيث رسخه الحكام الأوائل وسار عليه سائر الحكام بعدهم، فقد عرفت كل المدن الجزائرية الوقف كتنظيم له إجراءاته الخاصة، وهياكله المنظمة ومؤسساته المتميزة حيث تكاثرت الأوقاف بشكل مثير للانتباه[2].

فالوقف إذاً وثيقة شرعية يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه وكذلك السلطة[3]، وتقوم فكرة الأوقاف على مبدأ شرعي وعلى صيغة قضائية ملزمة[4] ترتكز عليها إدارة الأوقاف وتلك الأسس تكون ملزمة من الأهالي، ويلتزم باحترامها الواقف والمستفيدون منه، ولكن تلك الأسس لم تكن محل احترام دائم فقد يسيء الوكيل التصرف في الوقف، وقد تتدخل الدولة فتحول فوائد الوقف إليها، لذلك كان إهمالا لأوقاف أو سوء إدارتها محل شكوى من المسلمين وخصوصا علماء الدين[5].

وللوقف نظام داخلي دقيق فالوكيل أو (الناظر) هو المشرف الرئيسي عليه، وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط، وهو المسؤول على تنمية الوقف واستعماله في الأوجه المعينة له[6]، بينما الحاكم التركي أو الباي في الإقليم هو الذي كان يعين الناظر بناء على مواصفات معينة كالأخلاق والنزاهة والعلم[7].

ويختلف الوكيل الذي يتم تعينه من طرف الباي شخصيا في مسؤولياته حسب أهمية المؤسسة الوقفية المسندة إليه من حيث العقارات المحبسة، وكانت وظيفته تشمل إصلاح وصيانة المرفق المحبس، ودفع أجور العمال وجمع مداخيل المرافق من إيجار واستغلال[8].

---

[1] رموم محفوظ، مرجع سابق، ص204.

[2] يوسف أمير، إسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671-1830م)، دراسة لبعض النماذج، مجلة الدراسات التاريخية،جامعة الجزائر، الجزائر، ع14، 2012م، ص165.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص228.

[4] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص51.

[5] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكرت، مج5،ع 16، 2013م، ص431.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص229.

[7] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص51.

[8] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص431.

ولم يكن له مرتب محدد بل كان يتقاضى مبالغ رمزية، كما كان يأخذ من المداخيل التي يشرف عليها المبلغ اللازم لمصاريفه كما أنه ملزم في عمله بتطبيق قرارات المجلس العلمي ومن مهامه الإشراف على أوجه الإنفاق وحفظ مصادر الأوقاف وجمع المداخيل النقدية والعينية للوقف وحفظ نسخ سجلات الحسابات، وإرسال نسخ منها من المفتي أو القاضي وإرسال تقرير مفصل عن كل ما يقوم به المجلس العلمي[1].

وأنواع الوقف كثيرة وليس من السهل حصرها، فهناك من يوقف عقارا من أراضي أو دكان أو دار أو نحو ذلك، وبعضهم كان يوقف عينا أو بئرا لأبناء السبيل[2]، ومن يوقف غلة غلة حقل من الحقول أو غلة مجموعة من الأشجار[3]، وكان يستعمل في أغراض كثيرة: منها منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة والفقراء، والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والقيام عليها[4].

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات الدينية[5]، إضافة إلى ذلك أنه مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة[6]،وقد كان الحكام والوجهاء يقفون يقفون منذ الوهلة الأولى لأجل صيانتها ودوام صيرورتها لتأدية وظائفها الدينية والثقافية[7]ودفع والثقافية[7]ودفع وازع التقوى وطلب الأجر والثواب في الآخرة، للتقرب إلى الله تعالى عن طريق طريق وضع جزء من أملاكهم وثرواتهم وقفا على الأعمال الخيرية[8].

وبهذا لعب الوقف دورا بارزا في خدمة المجتمع الإسلامي من خلال ما يقدمه من أعمال جليلة أسهمت في الحفاظ على الهوية الإسلامية، والمؤسسات الدينية وأداء رسالتها

---

[1] طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بسوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2009م، ص34.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع السابق، ص230.

[3] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص51.

[4] عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007م، ص56.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص231.

[6] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص52.

[7] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص198.

[8] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830م)، ط 1، دار البصائر، الجزائر، د ت، ص133.

الدينية والتربوية والإصلاحية، والرعاية العامة لمختلف الشرائح المجتمعة، كما ساعد على نمو التقدم العلمي من خلال إنشاء المساجد والزوايا والمنارات العلمية والمدارس والكتاتيب، التي عملت على تعليم كتاب الله تعالى وفهم علومه والحفاظ على لغته[1].

والوقف على هذه المؤسسات يساعدها على أداء رسالتها بصفة دائمة، كما أسهم الوقف في الدفاع عن حوزة الإسلام من خلال إعداد العدة لمواجهة المعتدين، وإنشاء الحصون والقلاع والأسوار التي تحمي المدن وتجهيز المجاهدين بالسلاح والعتاد إلى غير ذلك من الأمور التي قام بها الوقف على مر العصور ومختلف الأزمان[2]، وهكذا أدى نظام الأوقاف إلى إيجاد نوع من الوحدة الثقافية، لأنه كان المورد الأساسي للمدارس القرآنية والمعاهد والمساجد[3].

ومن أشهر مؤسسات الوقف الجماعية:

- **مؤسسة سبل الخيرات:** استكملت مؤسسة سبل الخيرات تنظيماتها منذ فترة متقدمة تعود إلى نهاية القرن السادس عشر ميلادي، ويرجع تاريخ تأسيسها حسب بعض المؤرخين إلى (999هـ/ 1584م) على يد "شعبان خوجة"، وهي مؤسسة شبه رسمية كانت تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس ومساجد وموظفين وفقراء[4]، وفقراء[4]، وكانت تشرف على ثمانية مساجد وقد بلغ دخلها سنة 1837م حوالي 13.639 فرنكا[5] إضافة إلى أنها كانت تتكفل بدفع أجور الطلبة المكلفين بتلاوة القرآن الكريم بالمساجد، وتوزيع بعض الصدقات[6]، ولهذا كانت ذات نفوذ كبير في المجتمع والدولة، وذلك وذلك لأهمية الأوقاف التي كانت تتلقاها والمنشآت التي كانت تشرف عليها[7].

---

[1] محمد إبراهيم الكشر، تجربة الوقف في ليبيا، المجلة الدولية للمالية، جامعة محمد الخامس، الرباط،ع1 ، 2014م، ص348.

[2] نفسه، ص348.

[3] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص318.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص237.

[5] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، ط 3، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982م، ص160.

[6] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص134.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص238.

- **إدارة أوقاف مكة والمدينة:** كانت لا تقل أهمية عن مؤسسة سبل الخيرات، ويذهب بعضهم إلى أن مؤسسة مكة والمدينة أقدم من مؤسسة سبل الخيرات[1]، وقد كانت تشرف هذه المؤسسة على هبات المجتمع الجزائري لفقراء مكة والمدينة وترفق مع ركب الحج[2].

كما كانت لها أهمية سياسية أيضا، فقد كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي، وكان ركب الحج يحمل كل سنة كمية هائلة من النقود والذهب والفضة والألبسة وغيرها إلى فقراء مكة والمدينة، وخدام الحرمين الشريفين[3].

- **مؤسسة أوقاف مهاجرو الأندلس:** نشأت سنة 1572م من قبل أغنياء الجالية الأندلسية[4] وكانت لا تقل أهمية عن أوقاف الأولياء والأشراف، وذلك لاستقرار مهاجري الأندلس ببلاد الجزائر وامتلاكهم لثروات ضخمة، نتيجة أعمال الجهاد البحري والاشتغال بالزراعة وكان وكيلها الشيخ محمد الآبلي.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الأندلسيون يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري، وخصوصا لدى العثمانيين حتى أن بعضهم كان يعين على أوقاف حنفية مثل حميدة الأندلسي[5].

- **مؤسسة أوقاف الأولياء والأشراف:** لقد حظي أغلب الأولياء (المرابطين) بأوقاف خصصت للإنفاق على أضرحتهم، ففي مدينة الجزائر كانت تتوزع على تسعة أضرحة؛ أما الأشراف هم المسلمون الذين يُزعم أنهم من سلالة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وقد أعطاهم العثمانيون مكانة مرموقة في مجتمعهم[6]، وقد كان للأشراف في الجزائر نقابة خاصة خاصة ونقيب يسمى نقيب الأشراف، يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة والمجتمع، وكان فائضها من الوقف يوزع على فقراء الأشراف المولودين في الجزائر[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص238.

[2] رموم محفوظ، مرجع سابق، ص205.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص239.

[4] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص432.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص240.

[6] خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م، ص82.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص242.

- **مؤسسة بيت المال:** تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر، التي تدعمت في العهد العثماني، وأصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والأسرى[1]، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، كما تهتم بشؤون الخراج وتحرص على شراء العتاد، وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة من مساجد وزوايا[2]، كما كانت تهتم بالأملاك الشاغرة التي ليس لها ورثة، فتضعها تحت تصرف الخزينة العامة باعتبارها أملاكا للجماعة الإسلامية، وكذلك تتولى تصفية التركات وتحافظ على ثروات الغائبين وأملاكهم[3]، وكانت أيضا تقوم بأعمال خيرية وإنسانية واجتماعية؛ كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات على حوالي مائتي فقير كل يوم خميس[4]، خميس[4]، وهذه المهام الأخيرة هي التي أصبحت تشتهر بها، وتختص بها أواخر العهد العثماني[5].

- أوقاف الجامع الكبير وبعض الزوايا بالعاصمة وأوقاف الجامع الكبير في قسنطينة ومعسكر وتلمسان والمدية من المؤسسات الغنية في المجتمع الجزائري، وهي لذلك كانت وسائل للنفوذ والإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء[6].

وهكذا تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بتكاثر أوقافها وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد، وذلك راجع إلى اهتمام الحكام ومختلف فئات المجتمع بهذا النظام الخيري إضافة إلى الظروف التي عرفتها الجزائر منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلاد ومستهل القرن التاسع عشر ميلادي، والتي اتصفت أساسا بازدياد نفوذ الطرق والزوايا وتعمق الروح الدينية لدى السكان خلال هذه الفترة[7].

2/: المساجد:

---

[1] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص49.

[2] عبد الرزاق بوضياف، إدارة أموال الوقف وسبل استثماره في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، أطروحة دكتوراه، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2007/2006م، ص21.

[3] أحمد مريوش، مرجع سابق ، ص49.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق ، ص242.

[5] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص49.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص243.

[7] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984م، ص153.

تعتبر المرافق الدينية والتعليمية من أهم المعالم في المدن الإسلامية، وفي مقدمتها نجد المساجد فهي أعظم بيوت الله تعالى على وجه الأرض، كما أنها تمثل المدرسة الروحية والتربوية التي يرتادها المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة.

فالمسجد اسم لمكان السجود، أما شرعا فهو الموضع الذي يسجد فيه والسجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه لذا اشتق اسم المكان منه، فقيل "مسجد" ولم يقل "مركع" على المكان الذي تؤدي فيه الصلوات، وهي الوظيفة التي ميزته دون غيره من المؤسسات التعليمية الأخرى[1]، كما أنها تعد أيضا أماكن للعبادة[2]، لقوله تعالى:{**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**}[3].

وقد كانت فيما عدا أوقات الصلاة مرتعا لحلقات الدروس اليومية، ومحط لفنون العلوم التي كانت تدرس لذلك العهد، لاسيما في المدن والقرى[4]، ولهذا تعد المساجد من المظاهر والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلو أي مدينة من المدن الإسلامية منها، فهي تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة.

فالمساجد كانت من أبرز ميزات مدينة الجزائر التي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية والتأثيرات العثمانية[5]، وبالتالي فالمسجد أهمية بالغة في حياة المسلمين، وفي نشر الدعوة الإسلامية كما أنه له دور عظيم في بناء عقلية الفرد المسلم، وتقويم سلوكه وفقا لتعاليم ومبادئ الشريعة الإسلامية السمحة[6].

وتتمثل وظيفتها بالدرجة في المكان الخاص الذي يؤدي فيه المسلمون الصلوات المفروضة ،وصلاة الجمعة وصلاة العيدين، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفروض الدينية

---

[1] زينب رزيوي، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7هـ-9هـ/13-15م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر،2016/2015م، ص88.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص245.

[3] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 18.

[4] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمدبن عبد الكريم، ط 2، الشركة الوطنية، الجزائر،1981م، ص59.

[5] أشرف صالح محمد السيد، المراكز الثقافية في دار السلطان "الجزائر" أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك،مج 4،ع 7، 7، 2013م، ص64.

[6] محمد إبراهيم الكشر، مرجع سابق، ص349.

ومختلف العلوم الأخرى المتعلقة بحياة المسلمين، والتعريف بشؤون الناس ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع[1]، كما كانت مأوى للطلبة وعابري السبيل، لذلك كان الاهتمام بالمساجد يعتبر ميزة في المجتمع الجزائري المسلم فهو بمثابة ملتقى للناس ومبعثا للنشاط العلمي والاجتماعي[2].

كما أنه يمثل قلب القرية ورح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنشر المساكن والأسواق والكتاتيب، وكان المسجد أيضا هو الرابطة بين أهل القرية والمدينة لأنهم يشتركون جميعا في بنائه[3]، وقد تميزت المساجد بكثرة عددها وجمال هندستها، وهذا بشهادة العديد من المؤرخين الذين زاروا الجزائر حيث يذكر" فانتي ردي بارادي" أنه كان بمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر اثنا عشر مسجدا جامعا والعديد من المساجد[4]بلغت 159 مسجدا، وكان لهذه المساجد مكانة مركزية لا تعوض فهي ليست فقط مكانا للصلاة والعبادة، بل كانت دوما ملتقى للسكان الأهالي في مدن المغرب العربي[5] وكان يترددون إليها تلاميذ كثيرون[6].

وذكر "هايدو" في تصميمه الذي نشر سنة 1621م (topographied'Alger) أن عاصمة الجزائر يبلغ عدد مساجدها بين كبير وصغير مائة لكل منها وكيل وإمام للصلوات وأحباس خاصة من بينها سبعة مساجد كبيرة[7] أشهرها الجامع الأعظم ويسمى بالجامع الكبير، وهو أعظم مسجد للعاصمة؛ ومساحته نحو مائتي متر مربع وهو للمالكية، إذ قبل نزول الأتراك بالجزائر لم يكن مسجد للحنفية[8]، ومسجد سيدي أبي مروان في عنابة، ومسجد ومسجد صالح باي الذي عرف باسم المسجد الجديد وتلمسان كان بها أواخر العهد العثماني، 50 مسجدا منها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير، وجامع محمد السنوسي[9]، ويذكر السيد

[1] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص12.

[2] نفسه، ص13.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج 1، مرجع سابق، ص246.

[4] خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007م، ص60.

[5] العربي ايشبودان، مدينة الجزائر "تاريخ عاصمة"، تر: جناح مسعود، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص50.

[6] عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، موفم للنشر، الجزائر، 1985م، ص213.

[7] المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، إع: عبد الرحمان رويب، مج 2،ط 1،عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص55.

[8] نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص155.

[9] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص13.

السيد "البير ديفوكس"أنه كان بالجزائر العاصمة قرابة 176 مؤسسة دينية سنة 1830م، من بينها 109 مساجد، و13 جامع خطبة، و32 ضريحا، و12 زاوية[1].

يتضح مما سبق أن عدد المساجد في الجزائر لم يكن قليلا وقد اشترك في تأسيسها الأهالي والعثمانيون على السواء، وكان هؤلاء يهتمون ببناء المساجد بدوافع دينية محضة في أغلب الأحيان، كما جعلوها لخدمة المذهب الحنفي[2].

وهكذا نخلص إلى القول أن المساجد كانت مظهرا من مظاهر الثقافة، فإلى جانب كونها أماكن لأداء العبادة فإنها ملتقى لحلقات الدرس والعلم، وتبادل المعرفة وتدريس العلوم الدينية كالفقه والعقيدة والأصول والتفسير والحديث.

3/: الزوايا:

إنما يميز العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة مباني الزوايا ونحوها المخصصة لها، حيث احتلت الزوايا الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة في الأرياف، وقد كانت كل مدينة محروسة بولي صالح يحمل لها البركة ويحميها، ويمنع عنها الاعتداءات والمشاكل التي تواجهها.

ولفظ الزاوية في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية[3]، وتعرف الزاوية بأنها عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي، وقد بنيت لأداء وظيفة دينية بحتة، وكثيرا ما شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين، أو بنيت تخليدا لذكراهم[4]، فهي مؤسسات ذات طابع ديني واجتماعي وخيري نظرا للأدوار المتعددة التي تقوم بها في مختلف الميادين[5]، إذ تحتوي تحتوي على السكن والطعام والملجأ والعبادة، وكان بعضا يعتبر مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي بدأه الفتيان في الكتاتيب والمدارس القرآنية[6].

---

[1] عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 –1918م)، دار هومة، الجزائر، 2008م، ص175.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص262.

[3] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص13.

[4] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص149.

[5] ياسين بودريعة، زاوية الشرفة (1709–1848م)، نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر (2)، ع 15 –16،قسم التاريخ، 2013/2012م، ص179.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 –1954م)،ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص110.

يتجلى دورها الأساسي في تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطشين إلى العلم والمعرفة عبر كل القطر الجزائري، إضافة إلى الدور الجهادي والاجتماعي والصحي تحت إشراف شيخ الزاوية هذا الأخير الذي كان هو المدرس والمعلم، ويتمتع باحترام وتقدير الجميع داخل وخارج الزاوية[1]، ويقوم بتأسيسها في معظم الحالات رجال الدين المتصوفين الذين يرون بأن هذه الزوايا تمثل عملا خيريا دينيا لنشر الثقافة الإسلامية، والمحافظة عليها بين أبناء المجتمع الإسلامي[2].

وقد شهدت انتشارا واسعا في بداية العهد العثماني خاصة في الريف، بسبب افتقار الأرياف للمراكز التعليمية الأخرى إضافة إلى انتشار الطرق الصوفية، والتي عادة ما تتخذ من الزوايا مراكز لها[3]، وكان لها الفضل في انتشار التعليم بالمناطق البعيدة عن الحواضر بل نجحت في جعل بعضها من أهم المراكز الثقافية في الجزائر[4]، وأوجدت نوعا من التوازن بين الريف والمدينة، وحالت دون أن تتطور الثقافة في المدن خاصة دون الريف[5]، ويكمن دورها في تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس الفقهيات، والعقائد، وقواعد النحو، والصرف والبلاغة والحديث[6].

ويتم ذلك بطريقتين تسمى الأولى بالسرد، ويقتصرون فيها على تقرير المتن مفهوما ومنطوقا وما يعرض لذلك من إزالة إشكال، أو غموض، وتسمى الطريقة الثانية بالأصل لكون السرد فرعا منها، إذ يفتتحون الكتب المراد درسها أواخر الخريف وأوائل الشتاء فيقللون الحصص، ويطالعون عليها كثيرا من الشروح والحواشي وغيرها[7]، مما أعطى للثقافة الجزائرية في هذه الفترة صبغة دينية أكثر منها أدبية أو علمية.

---

[1] رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة، مج 5، ع 12، 2017م، ص234.

[2] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص22.

[3] صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني "دراسة في الواقع والمعطيات"، مجلة الذاكرة، ع 11 2018م، ص130.

[4] فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 2011م، ص67. ص67.

[5] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص317.

[6] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية ق 19 م "دراسة تحليلية نقدية"، ط 1، دار الملكية، الجزائر، 2007م، ص45.

[7] فوزية لزغم، مرجع سابق، ص68.

ويتألف الطاقم المسير للزاوية من شيخ الزاوية وهو المدرس والمعلم، ثم المقدم الذي يشرف على تسيير شؤون الزاوية وشؤون الطلبة، ثم الوكيل وهو بمثابة مقتصد الزاوية وأخيرا العاملين[1]، وقد كانت الزوايا مقسمة إلى قسمين اثنين، كل منهما يقوم بدوره أحسن قيام، فأما القسم الأول فيقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، وقد يؤمه غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم على الأقل[2].

أما القسم الثاني فإنه يقوم بتدريس بعض الفنون الفقهيات، وبعض المبادئ في علم الفلك والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق وبعض المبادئ في علم الفلك وهذا القسم لايؤمه غالبا، إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف[3].

وقد انتشرت الزوايا في كل الأرياف الجزائرية ومن أشهرها في الجزائر: زاوية عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية الوالي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلاني،وزاوية سيدي محمد الشريف[4]، وبلغت مجموعها حسب إحصائيات ديفوكس سنة 1830ممايفوق 32 قبة أو ضريح و12 زاوية، بينما ذكر مصدر آخر أنه كان بها 19 زاوية أورباطا[5].

وفي مدينة قسنطينة ونواحيها قائمة طويلة أخرى، بلغت حسب بعض الإحصائيات16 زاوية فهناك زاوية سيدي الكتاني،وزاوية سيدي راشد،وزاوية سيدي التلمساني،وزاوية أولاد الفكون[6]، وقد اشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها وأضرحتها نذكر منها: زاوية سيدي بومدين، زاوية سيدي الذيب، وضريح سيدي الحلوى الأندلسي[7]، وتعتبر منطقة القبائل وبجاية وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا فقد وصل عددها إلى خمسين زاوية، وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان: زاوية سيدي تيزي راشد يقصدها التلاميذ من

---

[1] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267 /1850 م "دراسة وصفية تحليلية نقدية" مقارنة في المنهج التاريخي، أطروحة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر (2)، 2017/2016م، ص35.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص58.

[3] نفسه، ص58.

[4] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص18.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص266.

[6] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص20.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص265.

النـواحي المجـاورة والبعيـدة، وزاويــة الشـيخ محمـد التـواتي ببجايــة، وزاويــة الأزهـري بايـت إسماعيل، وزاوية ابن علي شريف باقبوا[1].

وقد اختلفت المصادر في الأرقام المقدمة حول عدد الزوايا، والسبب يعود إلى التداخل بين مفهوم الزاوية والضريح والرباط، حيث قدرت عدد الزوايا وهي مؤسسة دينية وثقافية، في كل القطر الجزائري حوالي 2000 زاوية، تشرف على تثقيف وتعليم حوالي 28000 تلميذ جزائري من السكان[2].

وهكذا لعبت الزاوية دورا روحيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، فساهمت في نشر التعليم القرآني، وتوعية وتربية أفراد المجتمع، وحافظت على وحدة السكان.

4/: الرباطات:

تعد الرباطات من بين المراكز الثقافية الهامة في الجزائر مطلع القرن السادس عشر الميلاد ولم تكن تختلف عن الزوايا في هدفها التعليمي والتربوي، إلا أنها كانت مراكز دينية متقدمة جهادية لمقاومة العدو الأجنبي، وكان أغلبها على السواحل نظرا للهجمات الإسبانية المتكررة كما امتازت الجزائر بكثرة أوليائها في المدن ولذلك لقبت بالجزائر المحروسة لوجود كثرة المرابطين بها.

فالرباط هو الملازمة في سبيل الله أصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا فارسا كان أو راجلا[3]، ومنه قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[4]، ويطلق أيضا على البقاع التي تؤسس لاجتماع المنقطعين المتعبدين الذاكرين، وكذلك على المعتكفين لتعلم الدين وتعليمه[5].

وقد انتشرت الرباطات خاصة في بداية الفترة العثمانية، وأصبحت بمثابة نقاط أمامية ضد العدو الإسباني، حيث يقوم المرابطون بقيادة أتباعهم في الحروب وينصرون المجاهدين

---

[1] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص19.

[2] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص134.

[3] المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص87.

[4] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 200.

[5] المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص87.

ويطعمونهم[1]، وهي تشبه الزوايا من بعض الوجوه فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع، ولكن الرباطات كانت تمتاز بأنها قريبة من مواقع الأعداء[2].

إن تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا، وإيواء المجاهدين ومراكز لافتداء الأسرى[3]، فهي قلاعا من جهة، وزوايا ومدارس متنقلة من جهة أخرى.

5/: الكتاتيب القرآنية:

كانت الكتاتيب من أهم مراكز الإشعاع التعليمي انتشارا في الجزائر، لكونها أقل وحدة في التعليم الابتدائي، وهي من أقدم معاهد التربية، مأخوذة من الكتاب وجمعها كتاتيب وتعلم الكتابة، وهي المهمة التي اضطلع بها.

وكان يطلق عليه ولاسيما في العاصمة اسم "مسيد"، وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد[4]، وظيفتها الأساسية هي تحفيظ القرآن للأطفال وترتيله، وهي عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه، أو غرفة في منزل وقد خصصت لاستظهار كتاب الله العزيز، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي[5].

وكانت بمثابة مرحلة التعليم الأولى أو المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر، تدعى في الريف الشريعة لأنها تدرس بها الشريعة[6]، خاصة بتعليم الأطفال ويشرف عليها مؤدب يختاره سكان القرية لهذا الغرض[7]، أما في المدن والقرى الكبيرة فكانت تسمى بالمسيد.

دعت الضرورة إلى تأسيسها منفصلة عن المسجد بغرض المحافظة على نظافته ووقاره ولكي يتوفر على جو الخشوع المطلوب عند أداء الصلوات المفروضة[8]، وتعلم مبادئ القراءة القراءة والكتابة للأطفال المسلمين الذي تتراوح أعمارهم بين السادسة والرابعة عشر، وفي

---

[1] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص35.
[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص272.
[3] المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص164.
[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص276.
[5] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص58.
[6] رشيد مريخي، مرجع سابق، ص234.
[7] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص162.
[8] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص18.

السن الأخيرة يكون التلميذ النابه قد ختم القرآن الكريم مرة أو عدة مرات، وتعلم القرآن والكتابة وقواعد الدين وأوليات الحساب[1].

وتكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين[2]، هذه الأخيرة كانت هي الأخرى مكانا للمسامرة الأدبية ليلا وفي المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس[3]، وكانت الكتاتيب منتشرة لا يكاد يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف، بل كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما أبهر جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني[4]، حيث بلغ عددها في الجزائر نحو 10 كتاب، يضم الواحد منها ما بين 20 و30 تلميذا[5].

فبعضها كان يحمل اسم الحي الذي يقع فيه مثل مكتب سوق القندقجية، ومكتب الشماعين[6]، وبعضها كان يحمل اسم الزاوية، أو الشارع مثل مسيد كوشة بولعبة، ومسجد جامع السيدة وأحيانا كان المكتب يحمل اسم الواقف أو المؤدب المشهور، مثل مكتب علي باشا[7]. والملاحظ في هذه الكتاتيب أنه لا يوجد تميز بين ابن القاضي ولا بين ابن الحرفي فكلهم متساوون ويجلسون في وضع واحد، وكانت غير صحية ضيقة لا توجد فيها إنارة تعتمد على ضوء الشمس قليلة التهوية[8]، فراشها عبارة عن زرابي من الحلفة (الحصير) وعلى جدرانها مسامير لتعليق الألواح والعصا الطويلة للمدرس[9]، وكان المعلم يجلس في مكان مرتفع (سدة) وفي يده عصا يستعين بها لحفظ النظام ولإثارة انتباه الطلبة[10].

---

[1] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص60.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص58.

[3] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، مرجع سابق، ص45.

[4] فوزية لزغم، مرجع سابق، ص ص63-64.

[5] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص435.

[6] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص18.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص277.

[8] نفسه، ص278.

[9] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص30.

[10] وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تق:إسماعيل العربي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982م، ص82.

وكانت تتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية، وبعد أن يحفظ التلميذ ما في اللوحة كان يقوم بعملية ترتيلها على مسامع شيخه المدرس له[1].

وعلى الرغم من الأوضاع المزرية التي ميزت هذه الكتاتيب القرآنية، والأساليب المتخلفة والتي كانت تتبعها فإنها لعبت دورا هاما في تحفيظ القرآن الكريم، الذي كان هو أساس الثقافة الإسلامية ورفع الأمية عند المجتمع الإسلامي[2]، ومن هنا كان دور التعليم الابتدائي في العملية التعليمية يهدف إلى:

- إعداد التلاميذ لمرحلة التكميلي في الزوايا والمدارس العليا أو حلقات المساجد الجامعة في المدن.
- تقديم رصيد معرفي يسمح باكتساب خبرات، لمواجهة الحياة العملية.
- القضاء على الجهل بتعليم القراءة والكتابة.
- تقديم المعارف الأولية، لممارسة الشعائر الدينية[3].

6/: المدارس:

شكل اختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات الوافدة من خارج البلاد، نتج عن ذلك ظهور عدد من المدارس الجزائرية في الفترة الحديثة وقد انتشرت في المدن ولعبت نفس الدور الذي لعبته الزوايا في الريف من حيث كونها أمكنة خصصت لإلقاء الدروس بها، إضافة إلى أنها كانت مرفقة بغرف لإيواء الطلبة الوافدين عليها من كل جهات الوطن.

وتتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية كالقرآن والحديث والفقه والتصوف، وغير الدينية كالطب والفلك والحساب[4]، وهي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه[5]، وكانت تضم أيضا غرفا لإيواء الطلبة الوافدين عليها[6]، ومجهزة بشكل جيد وزاخرة

[1] أشرف صالح محمد السيد، مرجع سابق، ص69.

[2] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص19.

[3] رموم محفوظ، مرجع سابق، ص214.

[4] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص15.

[5] المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، إع: عبد الرحمان رويب، مج 3،ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2003م ص25.

[6] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19 م، مرجع سابق، ص46.

بالمخطوطات، ففي الجزائر هناك مدرسة بكل مسجد يجري التعليم فيها مجانا، ويتقاضى أساتذتها أجورهم من واردات المسجد[1]، ولا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية مثل قسنطينة والجزائر وبجاية ووهران وتلمسان[2].

كانت هذه المدارس موزعة على نوعين، مدارس للتعليم المتوسط والثانوي وهي كثيرة، ومدارس بمثابة معاهد عليا نظرا للمستوى العالي للدروس التي تقدمها، ويسمى ملقن الدروس في هذه المدارس مدرسا أو معلما، أما الطالب فيتحصل على إجازة بخط شيخه بعدما يقرأ عليه في مرحلة المتوسط والثانوي[3]، وهذه الإجازات تختلف حسب استعدادات الطالب وتحصيله، فهناك نوع من هذه الإجازات هو عبارة عن شهادة تمنح لحاملها بأنه حضر في الدروس المدة التي حضرها والفنون التي قرأها، وهناك شهادات تعطى لنبغاء الطلبة والمحصلين يأذن لهم فيها الأساتذة بالتدريس وبرواية الحديث[4].

ومن أشهر المدارس التي عرفتها الجزائر في الفترة العثمانية: المدرسة القشاشية وهي منسوبة إلى جامع القشاش، وكانت تدرس الشريعة الإسلامية والتوحيد، ومدرسة الجامع الكبير ومدرسة شيخ البلاد ومدرسة الأندلسيين[5]، وقد قدر عدد المدارس بمدينة الجزائر عند دخول الفرنسيين إليها بحوالي 100 مدرسة ابتدائية وغير ابتدائية[6].

وكانت تلمسان هي الأخرى قد اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء قبل مجيء العثمانيين رغم تدهورها السياسي، فقد كان بها خمس مدارس ثانوية وعالية ومن أشهرها مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام، وهذا بفضل عناية أهل تلمسان بتشييد المدارس والإنفاق عليها[7].
عليها[7].

ومن المدن الجزائرية أيضا التي أعطت عناية كبيرة للمؤسسات العلمية مدينة قسنطينة[8]
قسنطينة[8] وذلك لاستقرارها السياسي نسبيا ولقربها من تونس، وأشهر مدارسها المدرسة

---

[1] عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص214.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص59.

[3] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص40.

[4] المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، مج 3، مرجع سابق، ص42.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق،ص282.

[6] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص16.

[7] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص274.

[8] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص16.

الكتانية التي أنشاها صالح باي؛ وهي تشتمل على مسجد وخمس غرف واحدة للمدرس وأربعة للطلبة، وقد تخرج من هذه المدرسة فحول من أهل العلم أبرزهم الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي، والشيخ العباسي قاضي الملكية[1]، فكانت تنشر تعليما في المستوى الثانوي والعالي، ولعبت دورا أساسيا في الحياة الثقافية بالجزائر في العصر الحديث وهي لا تزال إلى اليوم، أما في أوساط القبائل فإن المدارس كانت ضمن الزوايا في شكل أضرحة أقيمت للمرابطين[2].

ونظرا لتنوع المعارف والعلوم، فقد صنفت المدارس العلمية بالجزائر خلال الفترة العثمانية إلى مدارس خاصة مهتمة بالعلوم الدينية، وذلك لاهتمامها بتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وشرح الحديث وتعليم الفقه والتوحيد وعلوم المنطق والأصول[3]، كمدرسة الخنقة التي التي اشتهرت بعلوم الفقه والحديث والنحو، تخرج منها عدد من العلماء منهم أحمد التليلي ومدرسة مازونة؛ التي كانت لها أهمية في الغرب الجزائري اشتهرت بالفقه والحديث وعلم الكلام، ومن أشهر المتخرجين منها أبو رأس الناصري[4].

وهناك مدارس خاصة بفروع العلوم الطبيعية والتجريبية، كعلم الفلك والحساب والطب وعلم صيدلة الأعشاب[5]، ومن هذه المدارس: مدرسة أبي مروان بعنابة ومدرسة سيدي بومدين بتلمسان[6]، كما اهتمت مدارس أخرى بعلوم اللغة والأدب كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي، وركزت على هذا النوع من العلوم لكونها تعد وسيلة أساسية لاستيعاب وإتقان الفهم في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه[7].

وفي الأخير نخلص إلى القول: إن المؤسسات التعليمية من مدارس وزوايا وكتاتيب سواء منها ما كان موجودا بالمدن أو الريف، عملت على نشر المعارف الميسرة، والثقافة الدينية المبسطة في أوساط عامة الناس، فقامت بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم، وبتلقين

---

[1] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)، المؤسسة الوطنية، الجزائر، ص134.

[2] عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص215.

[3] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص17.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص285.

[5] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص17.

[6] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص59.

[7] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص17.

ما هو ضروري من أمور العبادة[1]، فانتشر العلم بين الطبقات الراقية، وقلت الأمية بين الطبقات الوسطى والعاملة[2].

7/: المكتبات:

تعتبر المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية والتعليمية التي كان لها دور رئيسي في نشر الثقافة، وجميع أصناف المعرفة عبر مختلف العصور، ولكل فئات المجتمع سواء الطلبة والعلماء.

لقد كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، وقد شهد على وفرة المكتبات فيها حتى خصوم العثمانيين كالفرنسيين[3]، وكانت الكتب في الجزائر الجزائر تكتب محليا عن طريق التأليف أو النسخ أو تجلب من الخارج، ولا سيما من بلاد الأندلس ومصر واسطنبول والحجاز[4].

وقد كان التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات، وكانت حركة التأليف حية ونشطة، والسبب وراء ذلك الحج والرحلة في طلب العلم[5]، ومحتواها في معظمه عبارة عن رصيد للعلوم الدينية منها التفاسير والأحاديث الدينية والعلوم اللغوية والعقلية، إلى جانب العرض والبلاغة، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة فكانت قليلة، وبالنسبة لكتب الحساب والطب والفلك فكانت قليلة، وقد كانت المكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني مقسمة إلى قسمين:

- **المكتبات العامة:** هي التي كانت تضم أشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت، كما كان يرتادها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها[6]، وهي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس[7].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر ،تونس، طرابلس الغرب) من القرن 10هـ-14هـ/16-19م،حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت،ع31، 2010م، ص74.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص91.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص285.

[4] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص437.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق،ص294.

[6] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص61.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص296.

كما كانت وقفا وحبسا على المساجد والزوايا والمدارس، وقد كانت هذه المكتبات العامة موزعة على القطر الجزائري حسب أهمية الأماكن، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم[1]، ومن أشهرها مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة، مكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة، ومكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير[2].

- **المكتبات الخاصة:** وهي مكتبات لم تكن متغيرة من حيث وظيفتها مقارنة بالمكتبات العامة، فهي خاصة بالمطالعة والبحث ولكن في إطار العائلات العلمية، والأعيان الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها[3].

وهي كثيرة وليس من السهل حصرها، غير أن بعض العائلات قد اشتهرت لطول عهدها بالنفوذ بالمكتبات دون الآخر يمثل مكتبة عائلة الفكون بقسنطينة، ومكتبة شيخ العربي بن الصخري، ومكتبة الشيخ محمد بن إسماعيل بتكوران كانت تحتوي على حوالي 1500 تأليف، جلب معظمها من اسطنبول واليمن والسودان والعراق[4].

بالرغم من سياسة العثمانيين غير المشجعة للوضع الثقافي بالجزائر فإن الجزائريين لم يمنعهم الفضول العلمي والفني في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي الإنساني من الاهتمام بالمكتبات، وثرائها بالكتب والمخطوطات، والحفاظ عليها بشتى الوسائل، وهكذا ساهمت المكتبات في تنمية الروح العلمية والثقافية للمجتمع، وانتشرت في مختلف المؤسسات التعليمية.

ثانيا: مناهج التعليم ومراحله:

إن المراكز الثقافية التعليمية على اختلاف تسمياتها من كتاتيب وزوايا ورباطات ومساجد ومدراس قرآنية إلا أنها اجتمعت على الأداء التعليمي، وموروست تحت إشراف الأوقاف التي كانت المورد الرئيسي لها، كما كان التعليم في الجزائر لا يختلف عن بقية البلاد الإسلامية بصفة عامة، وعن بلاد المغرب العربي بصفة خاصة، وذلك في جميع مراحله، ويمكن أن نميز ثلاث مستويات تعليمية في الجزائر: المستوى الابتدائي والمستوى الثانوي والمستوى العالي.

---

[1] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر السابق، ص61.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص296.

[3] منصور درقاوي، مرجع سابق، ص138.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص297.

1/: المستوى الابتدائي:

كان التعليم الابتدائي منتشرا بكثرة بعد أن تولته المدارس القرآنية لأنه كان يقتصر على تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويتم هذا النوع من التعليم في بيوت تابعة لمرافق المسجد.

ويطلق على هذه البيوت تارة اسم الكتاب[1] أو المسيد والمعمرة[2]، بخصوص المدن والقرى الكبيرة أما في القرى الصغيرة (أو دوار) كانت تسمى الشريعة، وهو تعليم ديني مصدره الأول القرآن الكريم في تعليم الأطفال، حيث يزودهم بالمعارف والفهم، وكانت وسائله تتسم بالطابع التقليدي، لكون التلاميذ كانوا يكتبون بأقلام مصنوعة من القصب على ألواح مربعة مصنوعة من الخشب، تطلى بنوع من الصلصال الأبيض، وبعدها يحفظ الطالب درسه لتمحى اللوحة بغسلها بالماء.

أما برامجه وطرق تدريسه فهي بسيطة ببساطة التعليم نفسه، حيث كان التدريس لا يخرج عن حفظ القرآن الكريم وقليلا ما يتعداه إلى مواد أخرى؛ كتعليم مبادئ الحساب وقواعد الدين وحفظ بعض المتون، التي ستكون أساسا للتعليم الثانوي[3]، وفيه يدخل التلميذ الذي تتراوح سنه ما بين الرابعة والسادسة إلى الكتاب ويحفظ القرآن حيث كان هو كل شيء[4]، تحت إشراف معلمين يختارهم سكان القرية أو الحي، وتدفع أجورهم مما تدره أملاكا لأحباس أو من عند الأولياء أنفسهم[5].

والملاحظ أن هذا بخصوص الأطفال الذكور، أما الإناث فلا يذهبن إلى المدارس إلا نادرا، ولكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات، وبالنسبة للمدة التي يقتضيها التحصيل المعرفي في التعليم الابتدائي فكانت محددة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص203.

[2] مؤسسات ثقافية تشبه الكتاتيب القرآنية، كانت منتشرة في الأرياف الجزائرية أو القرى الجبلية خلال الفترة العثمانية ينتقل إليها التلاميذ الدارسون بها من مختلف الجهات الوطنية، وأحيانا حتى من خارج الجزائر من أجل حفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله مع إضافة علوم أخرى دينية ولغوية ذات صلة بفهم القرآن وتفسيره، للمزيد أنظر: أحمد مريوش، مرجع سابق، ص20.

[3] دباح عائشة، مرجع سابق ، ص71.

[4] shaw voyage dans la regence dalger,traduit de langlaispar,mc carlhy,paris,1830,p77.

[5] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشرك الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص48.

بحوالي أربع سنوات، يتعلم خلالها القراءة والكتابة ومبادئ اللغة وحفظ القرآن الكريم وأركان الإسلام وقواعد الحساب، وكانت أدواتهم الأساسية تتمثل في الألواح الخشبية والأقلام من القصب والصلصال[1].

بعض الأطفال يتوقفون عند هذه المرحلة خاصة الأطفال في الريف لظروفهم الاجتماعية الصعبة، وسواء توقف أو لم يتوقف فالتلميذ في الريف ملازما للقبيلة لأنه محتسبها وكاتبها وقاضيها ومعلم أبنائها، ومنهم من توجه للحياة الحرفية، إذا كان ينتمي لعائلة حرفية حيث كانت الحرفة تتوارث، ومنهم من انخرط في الجيش، ومنهم من واصل تعليمه، كانت بعض العائلات تتوارث العلم والتعليم مثل عائلة سعيد قدورة، وحمدان خوجة في عائلة الجزائر، وعائلة الفقون في قسنطينة[2].

وكان التعليم الابتدائي يعتمد على الحفظ فالتلميذ قد يختم القرآن حفظا وهو دون العاشرة، غير أن معدل سن حفظه كله هو الثانية عشر[3]، كما كان له نظام داخلي تحدد فيه بدقة أوقات العمل والاستراحة والعطل، ثم تحديد أجرة المعلم إذ كان في الغالب يتولى دفعها آباء التلاميذ[4]، ويستفيد الأطفال من عطلة أسبوعية عادة ما تكون يومي الثلاثاء والجمعة، وعطل دينية مثل حفلة عيدي الفطر والأضحى وعاشوراء.

أما الطرف الثاني في العملية التعليمية فهو المؤدب، توحي هذه التسمية بالأدب والأخلاق أكثر من أنها توحي بالمعرفة، وفعلا كانت غاية العائلات الجزائرية من تعليم أبنائها التربية حسب تعاليم الإسلام وقواعد سلوك المجتمع الجزائري، وربما هذا ما يفسر تقديم بعض العائلات الهدايا والهبات للمؤدب، خاصة عند نجاح طفلها إذاً كانت الحافز الأساسي في عملية التعلم هو الدين[5].

---

[1] أرزقي شويتام، مرجع سابق ، ص333.

[2] رقية شارف، مرجع سابق، ص43.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص340.

[4] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص203.

[5] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص43.

كان المؤدب يعين من طرف الواقف في المدينة، بينما في الريف من طرف رئيس الدوار أو الجماعة وفق عدة مقاييس؛ من بينها الاستقامة وحسن السيرة والسمعة الطيبة، وفي بعض الجهات تزكية المرشح بالتعديل والتجريح والكفاءة والورع[1].

2/: المستوى الثانوي:

كان التعليم في المرحلة الثانوية يتوسط الحلقة التعليمية بين الطورين الابتدائي والعالي، حيث كان التلميذ يستطيع أن يواصل تعليمه الثانوي بالمدارس والزوايا والمساجد، ملحقة بالأوقاف المورد الرئيسي لكل المستويات التعليمية، وكان طلبة العلم في الفترة العثمانية لا يتقدمون إلى حلقة الدرس إلا بعد حفظهم للقرآن الكريم، وكان من نتيجة ذلك أن الروح الدينية تسود الجميع، وتستولي على مشاعرهم فيتربون على البطولة والرجولة، مع التزود بنصيب وافر من علوم الدين والعلوم التي تتطلبها الحياة في ذلك العصر، وأما انتقالهم إلى باقي العلوم كالفقه وغيرها فلم يكن إلا بعد الحفظ الكامل والجيد للقرآن الكريم.

وكان التعليم الثانوي يمارس مجانا مثل التعليم الابتدائي، والأمر نفسه بالنسبة للسكن فالكثير من المدارس كانت تضمن نظاما داخليا ولو لعدد محدود من الطلبة، أما الأهالي فكانوا لا يبخلون على طلبة العلم وشيوخهم بالطعام والماء والحلوى والزيت للمصباح وغيرها من ضروريات الحياة[2]، فكان أبناء الفقراء إذا يبذولون جهودا مضاعفة في متابعة الدروس وتتبع الأساتذة والشيوخ، بالإضافة إلى العمل من أجل كسب لقمة العيش، لذلك قلما كان النجاح حليفهم في هذه المرحلة من مراحل التعليم[3].

أما عن المرحلة العمرية المعنية بهذا التعليم تكون عادة بين (14-20)عاما، وفي حالة ما إذا كان الطالب فقيرا أو قادما من مكان بعيد يسكن في الزاوية المعدة لاستقبال الطلبة الفقراء والغرباء[4]، وفيها يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة، والنحو والصرف والميراث والحساب[5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص203.

[2] محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص48.

[3] دباح عائشة، مرجع سابق، ص78.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص343.

[5] محمد العربي الزبيري، مرجع سابق ، ص48.

لقد كان بلوغ هذا المستوى كثيرا ما يقتصر على أبناء الأثرياء دون الفقراء إلا نادرا، رغم أن هذا المستوى من التعليم مجانا وقد قدر عددهم بحوالي (2000إلى 3000 طالبا في كل مقاطعة)، ويرجع ذلك إلى قسوة العيش التي كثيرا ما كانت تدفع بالتلاميذ إلى التوجه إلى القيام ببعض الأعمال في الزراعة أو الرعي أو الصناعة أو حتى التجارة لمساعدة أوليائهم على متاعب الحياة خاصة في الأرياف، التي عرفت ظروفا صعبة في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر[1]، ويعين المدرس "الشيخ" من طرف الباي وباقتراح من الناظر وهو يجمع بين التدريس والقضاء والإفتاء[2]، ويشترط فيه جملة من الصفات أهمها: الإخلاص في مهنته، فصاحة لسانه، سيطرته على المادة، قوة شخصيته، القدرة على الحفظ.

وقد كان المدرسون يحظون باحترام وتبجيل كبيرين من طرف السكان، فكانوا لا يبخلون بهداياتهم وصدقاتهم عليهم بطعام وماء وزيت للمصباح، بل حتى بحلويات رمضان ولباس العيد، وكان يتقاضى المدرس أجرته من الأوقاف في حدود مائة إلى مائتين 100−200 فرنك سنويا وكان سكنهم مجانا في المدرسة أو الزاوية، إضافة إلى هبات وهدايا بمناسبة الأعياد تكفل لهم عيشا محترما، لا سيما إذا عرفنا أن هؤلاء المدرسين غالبا ما كانوا يشتغلون في أعمال ثقافية أخرى في المساجد والزوايا تتعلق بالقضاء والإفتاء[3].

وكان المدرس حرا في وضع البرنامج الذي يراه لائقا ماعدا الأمور السياسية، لأنه مراقب من طرفها، وحرا في تحديد أوقات الدراسة، فهناك من يلقى دروسه ثلاث مرات في اليوم، والمواد التي تدرس في هذا المستوى هي: النحو والدين، وبعض التعاليق والشروح والقليل من الجغرافيا[4]، ومنهجية تدريس هذه المواد هي نفسها تقريبا طريقة الكتاب: الحفظ والاستظهار، ودور المدرس بالنسبة للطالب هنا هو نصحه بكيفية القراءة، والكتب التي يدرسها وبطريقة تحضير الدرس، وبالمتون التي عليه حفظها.

كما يقوم الشيخ بالشرح والإملاء لذلك وجدنا الشيخ يستعين بمقرئ، ويسمى أيضا مسمع يقرأ له النص أو جزء من الكتاب المدروس، ثم يأخذ المدرس في شرح المسألة وتوضيحها والاستشهاد لها من محفوظة ومنقولة، و يختم المدرس بإملاء خلاصات على

---

[1] دباح عائشة، مرجع سابق، ص77.

[2] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، مرجع سابق، ص48.

[3] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص130.

[4] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص46.

الطلبة فينسخونها بحذر وعناية، وبهذا الشكل يكونون قد ساهموا في حركة التأليف عن طريق النسخ، وينال الطالب في النهاية (إجازة) تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه[1]، وكان عددهم يصل في كل منطقة ما بين الألفين وثلاثة ألاف[2]، من خلال هذه الإجازات يمكن تسجيل الدور الإيجابي للعلماء الذين تحفل بهم كتب العهد العثماني في العملية التعليمية خاصة والعمل الثقافي عامة.

3/: التعليم العالي:

إن ما يمكن تسجيله بداية بالنسبة لهذا الطور التعليمي غياب الهياكل المتكلفة به، خصوصا حيث لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه، فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي توحد نظم التعليم وتحافظ على مستواه، وتعكس نشاط واتجاه العلماء وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة والذوق الأدبي العام.

مما يلاحظ أنه لم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي بل قد تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين[3]، لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فدروس سعيد المقري وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة، ودروس سعيد المقري في تلمسان وعبد القادر الراشيدي في قسنطينة وأحمد البوني في عنابة حيث شهد لهم بالعلم والدراية والنزاهة[4].

غير أن شهرة هؤلاء العلماء كانت نتيجة جهودهم الشخصية وليس نتيجة انتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها، وكان الأستاذ في هذا المستوى يسمى عالما، ويتقاضى أجره من الأوقاف التي كانت المورد الرئيسي للتعليم[5]، ويلقي في العادة ثلاثة دروسا يوميا واحدا في الصباح، والثاني بين الظهر والعصر، والثالث بين العصر والمغرب، وكان كل درس يستغرق من ساعتين إلى ساعتين ونصف[6]، أما الطالب فقد يكتفي بدروس

---

[1] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص165.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص145.

[3] صليحة بردي، مرجع سابق، ص133.

[4] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص304.

[5] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص165.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص336.

هذه المؤسسات وقد يسافر من أجل الاستزادة في العلم إلى الأزهر والزيتونة وفاس، وكانت هذه المعاهد لا يدخلها إلا المتفوقون من الدراسة[1]، وقد أشارت الإحصائيات إلى أن عدد الطلبة كان يتراوح من ستمائة إلى ثمانمائة طالب في هذا المستوى في كل إقليم[2].

أما بخصوص الدروس العالية تعطى في الزوايا المشهورة في العاصمة وقسنطينة وبجاية وتلمسان[3] كالزاوية القادرية، وفي إقليم الجزائر كانت زاوية ابن المبارك بالقليعة وزاوية ابن محي الدين وزاوية ابن علي الشريف في جرجرة، وفي أهم الجوامع في الناحية الغربية "وهران" نذكر الجامع الكبير في تلمسان، وجامع سيدي العربي، أما في إقليم قسنطينة فهناك الجامع الأخضر، يتضمن برنامج التعليم العالي تدريس العلوم النقلية كتفسير القرآن، والحديث والفقه[4]، والعلوم العقلية كالمنطق الميتافيزيقيا والحساب وعلم الفلك وعلم الجداول لتحديد مواقيت الصلاة ثم الطب والرسم لزخرفة المخطوطات بالإضافة إلى التاريخ[5]، وهكذا لقد أثبت التعليم العالي في الجزائر آنذاك كفاءته المعرفية، وبهذا بلغت مدينة الجزائر من مستوى الثقافة مصاف المدن الغنية بأدبائها وعلمائها؛ مثل مدن تونس، ومعاهد الأزهر والقرويين[6].

ثالثا: الإفتاء والقضاء والخطابة:

لاشك أن الحاجة الملحة إلى فهم طبيعة الدين الإسلامي في مجالي العبادات والمعاملات؛ كانت وراء التعجيل بظهور الإفتاء والقضاء والخطابة، من أجل تنظيم شؤون الناس وفق ما نص عليه الدين الإسلامي.

---

[1] محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص48.

[2] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، مرجع سابق، ص47.

[3] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص147-148.

[4] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص70.

[5] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص165.

[6] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص11.

1/: الإفتاء:

تعد وظيفة الإفتاء أول وأعلى وظيفة يتولاها العالم آنذاك لما تحتاجه من درجة عالية في العلم، وتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلوم الحديث والقياس، إذ لا يمكن الاجتهاد فيها لأنها مستندة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام.

فهو مؤسسة دينية واسعة المهام عالية المكان لكونها[1] تتطلب قوة الشخصية، والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، وكانت شهرة العالم بين الناس في هذه الأمور من بين عامل ترشيحه لهذه الوظيفة[2]، ولم يكن الإفتاء وظيفة رسمية قبل العثمانيين، فقد كان العلماء قبلهم يستشارون في المسائل الفقهية وغيرها كأساتذة وشيوخ علم وليس كموظفين، لأن المدرس كان يجمع بين التدريس والقضاء والإفتاء[3].

ولما جاء العثمانيون أحدثوا تغييرات في هذا النظام، فقد جعلوا الإفتاء وظيفة من الوظائف الرسمية يعين صاحبها ويعزل كباقي الموظفين، وجعله على مذهبين المذهب المالكي مذهب أغلبية الشعب، والمذهب الحنفي المذهب الرسمي للإيالة[4]، وكان الفقهاء يتمتعون بوضعية ممتازة، ومكانة مرموقة نظرا لصلتهم بالحكام وارتباطهم بالجهاز الإداري واعتمادهم على مردود الأوقاف وتأثيرهم على العامة، وتحكمهم إلى حد كبير في جماعة الطلبة والعاملين في المؤسسات الدينية، فكانوا بذلك صلة وصل بين الحكام والسكان وعاملا مهما في اكتساب أنظمة الحكم الشرعية السياسية لدى العامة[5].

وكانت الأحكام تصدر حسب الشريعة الإسلامية، ومن لا يقبل بحكم المفتي فبإمكانه مراجعة المجلس الكبير، ويضم المجلس الكبير علماء المذهب الحنفي والمالكي والمنسوبين إليها، والقاضي المعزول مع المفتيين وهم يجتمعون في الجامع الكبير وتدقق الأحكام الصادرة قبل تلاوتها، وأعضاء المجلس الكبير يستمعون إلى حكم الحاكم، فإذا كان غير

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص391.

[2] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246ه/1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014/2013م، ص410.

[3] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، مرجع سابق، ص48.

[4] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، مرجع سابق، ص411.

[5] ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص81.

مطابق للشرع ينقض[1]، وقد لقب العثمانيون المفتي الحنفي بشيخ الإسلام، كما كان يلقب نظيره في استانبول، وجعلوه مقدما على المفتي المالكي في الخطوة والرأي والاعتناء، وكان المفتي يتولى أيضا وظائف أخرى مثل التدريس ووكالة الأوقاف والإمامة والخطابة[2].

2/: القضاء:

يعتبر القضاء أحد المؤسسات الاجتماعية المهمة إذ يهتم بمعالجة قضايا ومشاكل المجتمع ورفض النزاعات والخلافات التي تقع بين الأفراد بمختلف أنواعها؛ كالصلح بين المتخاصمين والتغريم والأعمال الشاقة، بالإضافة إلى قطع اليد بالنسبة للسارق والإعدام سواء بقطع الرأس أو بالحرق وكذلك الجلد على القدمين.

ومن بين الشروط الواجب توفرها في القاضي؛ أن يكون المرشح عدلا ومتمكنا من وسائل الاجتهاد، كالحذق في اللغة العربية، وعلوم الشريعة[3]، وهو يحتل المرتبة الثانية بعد الإفتاء من حيث الأهمية الكبيرة التي يقوم بها[4]، إذ يعد مصدر السلطة السياسية والقضائية، ويمكن تفويض السلطات إلى البايات والقضاة، لكن إذا كانت الأحكام التي يصدرها القضاة لا تحظى بالموافقة من قبل الحاكم فبإمكانه أن يسحب التفويض من القاضي أو الباي[5].

ومع مجيء العثمانيين إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر الميلاد، وارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية استقدموا معهم المذهب الحنفي، الذي كان هو المذهب الرسمي لدولة العثمانية[6]، ومن آثاره تعيين شيخ الإسلام الحنفي للرئاسة الدينية بالبلاد، وكانت له مكانة حيث أنه كان الشخصية الثانية بعد الباشا[7]، وهكذا أصبح يتمتع بالأسبقية والأولوية على المذهب المالكي، غير أن ذلك لا يعني تهميش هذا الأخير أو بروز تنافر وخلاف بين المذهبين، فكانت العلاقة بينهما تتميز بالتعاون والتنسيق في القضايا الفقهية التي تتعلق بالمجتمع.

---

[1] عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر،ط 1، دار النهضة العربية،بيروت 1989م، ص140.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص393.

[3] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، مرجع سابق، ص413.

[4] نفسه، ص414.

[5] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص429.

[6] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص91.

[7] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص126.

كان المفتي الحنفي يتقاضى شهريا ثمانين صائمة، والمفتي والقاضي المالكيين يستلم كل واحد منهما خمسين صائمة[1]، أدى الوضع الجديد الذي عرفته الجزائر في المجال المذهبي إلى بروز محكمتين محاكم خاصة بالمسلمين الذين ينتمون إلى المذهب الحنفي ومحاكم أخرى خاصة بالسكان، الذين ينتمون إلى المذهب المالكي، كما كانت توجد محاكم خاصة بالأسرى المسيحيين، ومحاكم أخرى خاصة باليهود[2] التي لا تتعدى1% من مجموع السكان، لها معابدها الخاصة، وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية[3] وفي حالة ما إذا كانت هناك خصومات بين المسيحيين والمسلمين، فإن الداي هو الذي يفصل في هذه القضايا[4].

ومهام القضاء لم تكن مقتصرة على القضايا التي تتعلق بالمجتمع فقط، كقضايا الأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والميراث، أو المعاملات كالبيع والشراء والقرض، بل كانت تتجاوزها إلى النظر في بعض القضايا التي كان لها طابع سياسي، وتخص علاقات الايالة بالدول الأوربية[5].

3/: الخطابة:

تعد الخطابة الوظيفة الثالثة في الأهمية الدينية بعد وظيفتي الإفتاء والقضاء؛ وهي ضرورية في الحياة اليومية لكل فرد من أفراد المجتمع، ولا يمكن الاستغناء عنها خاصة يوم صلاة الجمعة.

نظرا لأهمية الكبيرة لوظيفة الخطابة وجب أن تتوفر في الخطيب مجموعة من الشروط أهمها: الفصاحة، وجودة الصوت، وسعة الاطلاع، والجرأة الأدبية، ودوره يكمن في أداء صلاة الجمعة وصلاة العيدين، وأحيانا يجمع إلى ذلك الصلوات الخمس، فهو بذلك إمام أيضا، وقد احتكرت بعض الأسر الخطابة في الجوامع الكبرى لارتباطها بالإفتاء كأسرة قدورة بالجامع الأعظم والكتروسي بمازونة، وأما الخطابة في الجامع الجديد فقد احتكرتها بعض

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م، مرجع سابق، ص129.

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص71.

[3] عمار عمورة، مرجع سابق، ص109.

[4] عمار بوحوش، مرجع سابق، ص71.

[5] خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، القاهرة، 1988م، ص81.

الأسر الحنفية كأسرة ابن العنابي وأسرة ابن علي[1]، أما آل الفكون فعلى الرغم من عدم توليهم للإفتاء إلا أنهم احتكروا الخطابة بالجامع الكبير بالبطحاء أحد الأحياء الرئيسية بمدينة قسنطينة،كما تورارثت آل باديس الخطبة بجامع القصبة أحد الجوامع الرئيسية بقسنطينة[2].

رابعا: التصوف:

اتسم العهد العثماني في الجزائر باشتداد نفوذ المرابطين وانتشار أمر الولاية والصلاح والزهد والتصوف، وكثرة الشروح والحواشي على أعمال المتقدمين، وهو تكريس للمبدأ الحضاري الذي تميزت به الأمة الإسلامية والعربية عموما.

أ: أصل كلمة التصوف:

اختلف العلماء في أصل كلمة الصوفية هل هي من الصفة أو من الصفاء بمعنى" أن الصوفي رجل صافاه الله أو من لفظة "سوفيا" اليونانية التي تعني الحكمة وقد اجمع أكثرهم على أنها من الصوف اللباس الغالب على الزهاد، وهو ما يرجحه أحمد أمين لأنهم في أول أمرهم كانت هذه الفرقة تلبس الصوف اخشيشانا وزهادة، كما يعتبر التصوف من الظواهر المناقضة لحياة الترف والبذخ[3].

إن لفظ الصوفي لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام ابن حنبل (ت241) فقد روي أن ابن حنبل كان يسأل الحارث المحاسبي (ت242) في بعض المسائل ويقول: "ما تقول فيها يا صوفي؟ "[4]، والتصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف[5]، فهو حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري تدعو للزهد وشدة العبادة تعبيرا

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص395.

[2] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص431 .

[3] دخية فاطمة، مرجع سابق، ص22.

[4] أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام أقلام عربية، القاهرة، 2018م، ص31.

[5] نفسه، ص60.

عن فعل مضاد للانغماس في الترف، ثم تطور حتى صار طرقا مميزة تبنت مجموعة من العقائد المختلفة والرسوم العملية المخترعة تكونت من مناهج كثيرة[1].

والتصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها[2]، ويعد حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو للزهد وشدة العبادة، فهو تعبير عن فعل مضاد للانغماس في الترف ثم تطور حتى صار طرقا مميزة[3].

ب: أنواعه:

ينقسم التصوف إلى نوعين:

- **التصوف السني:** ذو البعد العملي والتربوي؛ ويعني الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه وإتباع سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وما تنطوي عليه من زهد وتقشف، يتميز ببساطته وتقيده بتعاليم الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح وهذا ما جاء به ابن خلدون "الانقطاع إلى الله تعالى ..."[4].

- **التصوف الفلسفي:** وهو الذي يتحدث عن وحدة الوجود والانقطاع، يحتاج الدارس لفهم مسائله وأبعاده إلى جهد ذهني غير عادي، وباعتباره فكرا غربيا مشبعا بأفكار الفلسفة اليونانية وغيره[5].

وقد بدأ التصوف في الجزائر، تصوفا نظريا ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري، واتجه إلى الناحية العملية الصوف وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية[6]، حيث وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل والمناطق المحيطة بها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن[7]، فلقد انطلق منها رجالات التصوف الكبار من

---

[1] عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها، ط 1، دار كنوز، الرياض، 2005م، ص9.

[2] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص95.

[3] عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، ط 1، دار كنوز، الرياض، 2005م، ص10.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، مج 2، مصدر سابق، ص225.

[5] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص30.

[6] عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر،مجلة الواحات،الجزائر،ع 15،2011م، ص463.

[7] طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، الجزائر، ع 14، 2013، ص 136.

أمثال: أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحي العيدلي والشيخ أبي مدين الذي إنتقل فيما بعد إلى تلمسان وتوفى (595هـ -1197م).

ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى المحيطة بها كتلمسان، وهران، قسنطينة، الجزائر[1]، وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسه عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ، وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق ومن غرب الجزائر، ويرجع عوامل وأسباب انتشار التصوف بالجزائر إلى أسباب فكرية وأسباب سياسية واجتماعية:

وتتجلى الأسباب الفكرية في وجود أعلام صوفية عملوا على نشر هذه الطريقة بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم وبعلمهم وبمؤلفاتهم من أمثال الشيخ آبي مدين الملياني، ويضاف إلى ذلك تأثر كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة[2].

أما الأسباب السياسية تمثلت في سقوط الدولة الموحدية التي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو الاسباني ولأسباب داخلية وخارجية تدهورت أوضاعها، وكسقوط الأندلس نتيجة التدهور السياسي الذي أصابها عقب سقوط الدولة الأموية، ونتج عن سقوط الأندلس أمران:

سيطرة الإسبان على معظم موانئ المغرب العربي من جهة، ومن جهة أخرى كان هناك تنازع بين الدويلات الثلاث (بني مرين، بنو عبد الواد، الحفصيون)[3]، أما الأمر الثاني تمثل في هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية، بينما الأسباب الاجتماعية تجلت في انتشار البذخ والترف عند طبقات معينة نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية، حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف وقاموا بكل السبل والطرق هذه الإختلالات، مما أدى إلى انتشار

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص463.

[2] عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة الواحات، الجزائر، ع 15، 2011م ص463.

[3] أحمد البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب، تعليق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص22.

مذهبهم[1]، وازدهر خلال العهد العثماني لكون العثمانيين كانوا في تكوينهم الديني والنفسي والحربي من أتباع الطرق الصوفية[2].

وقد اكتسح التصوف في هذه الفترة الأرياف بعدما كان منتشرا في المدن خاصة، وربما يعود هذا إلى كون الريف بعيدا عن ضغوطات السلطة[3]، وظهر دوره الروحي والاجتماعي والتربوي لاسيما في إقامة الزوايا والقيام بالتعليم وإيواء اللاجئين ومساعدة المحتاجين والإصلاح بين أفراد المجتمع، ليكون بذلك الشيخ الذي يترأس أو يمثل الطريقة الصوفية هو بمثابة المسؤول والحاكم بين الأفراد، والذي يفصل في جميع القضايا والخلافات الاجتماعية[4].

وبهذا حافظ على مقومات الشخصية الجزائرية في هذه الفترة حيث نتج عنه كما هائلا من الأشعار والتأليف في الجهاد والمناقب والسير والتصوف، ومن أهم الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في الجزائر خلال هذه الفترة: " الطريقة القادرية، الطريقة الشاذلية، الطريقة البكداشية...".

ومما يجب الإشارة إليه أن في بداية العهد العثماني كانت هناك علاقة قوية بين العثمانيين والمرابطين حيث كان العثمانيون يتقربون إلى المرابطين بشتى الوسائل؛ كبناء المشاهد والزوايا والوقف عليها والإكثار لهم من الهدايا والعطاياإرضاء لهم وتقربا منهم[5]، لكن نهاية الحكم العثماني تحول التصوف إلى دروشة تتبلور في التوسلات بالأضرحة والقبور ومنافسة شيخ الطرق الصوفية للعالم، وهذا ما أدى إلى انحطاط الأمة علميا ودينيا من خلال تفشي الممارسات والمعتقدات الخرافية[6].

خامسا: موقف الدولة العثمانية من الشأن الثقافي والديني:

إن واقع الجزائر الثقافي والديني في الفترة العثمانية لم يكن يختلف كثيرا عن واقع الدولة العثمانية؛ الذي تميز بالجمود الفكري والاعتماد على التقليد وأعمال السابقين، وفي المقابل الاهتمام بالجانب السياسي والاقتصادي وفي هذا الشأن يقول بن خلدون: "إن العلوم إنما

---

[1] عبد العالي بوعلام، مرجع سابق، ص464.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص459.

[3] عبد الله بن دجين السهلي، مرجع سابق، ص95.

[4] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص6.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص469.

[6] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص48.

تكثر حيث العمران وتعظم الحضارة والسبب في ذلك أن تعليم العلم –كما قدمناه– من جملة الصانع"، فإذا اعتبرنا نظرية ابن خلدون صحيحة وأخذنا بمقتضى رأيه وجدنا الثقافة في الجزائر– على عهد الأتراك – رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير.

والسبب في ذلك أن الدولة العثمانية لم يكن لها أي دخل في هذا الميدان، فلم يكن في الحكومة الجزائرية عندئذ وزيرا لشؤون التعليم[1]، ولم توليه اهتماما، خاصة من الناحية المادية لذلك قام التعليم واستمر بفضل عائدات أملاك الزوايا والأوقاف وهبات المحسنين وذوي البر والصدقات والهدايا، أي كان التعليم حرا من سيطرة الدولة ومن سيطرة الحكام العثمانيين[2] ولم تكن هناك وزارة ولا إدارة للتعليم لا في اسطنبول ولا في الجزائر[3].

أيضا كانت هموم الدولة العثمانية حينئذ منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود الجزائرية التي تعرضت للهجمات الإسبانية المتكررة مطلع القرن السادس عشر ميلاد[4]، وبعد تحرير كل سواحل الجزائرية انتقلت إلى حركة التجارة والكسب البحري[5]، فالأتراك لم يكونوا يعنون بالثقافة فعنايتهم بالحرب أكبر[6]، ولم تكن هذه المداخيل وغيرها تستعمل في نشر التعليم وترقيته وتنميته الثقافية وتنشيطها، بل أجور الجنود كثيري القلاقل والثورات وفي المعدات الحربية وخصوصا البحرية، وفي توزيع الهدايا والعطايا على السلطان العثماني[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص313.

[2] دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015/2014م، ص21.

[3] محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادرالمحلية والأجنبية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر،ع 8، 2018م، ص568.

[4] عبد الحميد بن أبي زياد بن شنهوا، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماحي، الجزائر، 1972م، ص 47.

[5] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر "الجزائر الحديثة "، ج 2، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، 2009م، ص67.

[6] مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص318.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص313.

لقد ارتبط الوجود العثماني بالجهاد ضد الخطر الصليبي الذي بات يهدد السواحل والمدن الجزائرية، وأن العثمانيين أعطوا لسيادتهم على الجزائر صبغة دينية[1]، إضافة إلى عدم فهم الحكام للغة العربية حال دون اهتمامهم بالأدباء كاهتمامهم برجال الحرب، فهم ليسوا بمثقفين ثقافة عربية النزعة تدفع بهم أن يبثوها في مجتمع طالما أحب العربية حبا جما وقديما قيل "الناس على دين ملوكهم"، و"فاقد الشيء لا يعطيه"[2].

فانعدام الإنتاج العلمي والأدبي والفني مرده إلى اختلاف اللغة بين العثمانيين والأهالي وعدم التشجيع الرسمي في معظم الأحوال، ومن أسباب ضعف الدعم هو أن عدد الأتراك طيلة أيام الدولة الجزائرية العثمانية أي أكثر من ثلاثمائة سنة قليلا ضئيلا لم يتجاوز الثلاثة ألاف رجل في أي وقت من الأوقات قليلا[3].

إضافة إلى ذلك اشتداد نفوذ المرابطين وانتشار أمر الولاية والصلاح والزهد والتصوف، فأخذ الناس يقبلون على الطرق الصوفية جموعا، وأخذت هذه تنتظم وتعمر زواياها، وكانت الزوايا في أغلب الأحيان تتلقى من المريدين النذور وتنفق قسما كبيرا من ذلك على الطلبة الذين يستقرون بالزاوية لتعلم القرآن والعلوم الدينية، فلا يبرحونها حتى تتم معلوماتهم ويقوم رجال الزاوية بكل ما يلزم أولئك المجاورين[4].

وبهذا فقد أدت مبالغة الاعتقاد في الشيخ كسلطة روحية وانتشار الزوايا والأضرحة إلى تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد، لأن نقل التعليم إلى الزوايا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه وكانت الزاوية تنافس المدرسة والجامع في نشر التعليم لكن اكتفاء الزوايا بالحد الأدنى منه وتقديمه بطريقة جافة جعل مستوى التعليم فيها يتدهور، ومن ثمة منافسة الشيخ المرابط أو شيخ الطريقة الصوفية لعالم الدين أجبرت علماء المساجد والمدارس على تبسيط الدروس حتى لا يذهب الطلبة إلى الزوايا، وأضحى التنافس من أجل الأتباع وضمان لقمة

---

[1] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519–1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015م، ص103.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص46.

[3] أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار "نقيب أشراف الجزائر"(1754–1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص7.

[4] صليحة بردي، مرجع سابق ، ص129.

العيش بدل أن يكون من أجل رفع مستوى التعليم أو ترقية الحياة الفكرية، مما أعاق الاجتهاد وحرية الرأي.

وهكذا تميز العهد العثماني في الجزائر بالركود الثقافي والديني شأنه في بقية البلاد العربية[1]، فلم تكن هناك حركات تجديد فكرية ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوربية[2]، بالرغم من أن العربية ظلت لغة التعليم ولغة الشعب، فإن الدولة قد اتخذت التركية لغة رسمية[3].

وختاما لمن سبق يمكن القول بأنه رغم أهمية التعليم في حياة الفرد والمجتمع، إلا أنه لم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسة للتعليم، ولا خطة رسمية للتشجيع والعناية بأهله وتطويره وتوجيهه، وقد تكفل بذلك الأولياء الجزائريين والمؤسسات الخيرية وبعض الحكام العثمانيين به، وكانت الأوقاف هي المورد الرئيس الذي يتغذى منه التعليم بجميع مستوياته الابتدائية والثانوية والعالية، وبهذا نشطت المؤسسات الثقافية والدينية ممثلة في المساجد والزوايا والرباطات والكتاتيب القرآنية والمدارس في الفترة العثمانية، مما جعل التعليم في الجزائر خلال الفترة العثمانية يضاهي التعليم في العواصم العلمية الكبرى؛ كالزيتونة والقرويين والأزهر وهذا بفضل جهود العلماء والأولياء وبعض الحكام العثمانيين.

أيضا عرفت الجزائر في هذه الفترة انتشار التصوف والطرق الصوفية، وذلك نظرا لطبيعة التكوين الديني للعثمانيين فمنذ وصولهم إلى الجزائر تقربوا من العلماء والمرابطين بكل الوسائل نظرا لمكانتهم العلمية الكبيرة ونفوذهم الروحي، مقابل منحهم امتيازات لكن في النهاية تحول التصوف إلى دروشة وكثر التقليد والاعتماد على أعمال السابقين.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص159.

[2] دخية فاطمة، مرجع سابق، ص20.

[3] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص159.

الفصل الأول:
حركة التأليف
وعوامل إنتشارها في
الجزائر العثمانية

من الملاحظ أن العثمانيين لم تكن لهم سياسة واضحة في الحياة الثقافية والتعليمية للنهوض بالبلاد، لكنهم لم يقفوا في وجه ممارساتها حيث اعتبروها من الأمور الخارجة عن مسؤوليتهم التي تمثلت بالدرجة الأولى في الجانب السياسي والاقتصادي والعسكري، ولهذا تكلف بالجانب الثقافي وانتشار حركة التأليف في الجزائر العثمانية جهود الآباء الذين كانوا يسهرون على تعليم أبنائهم، ومؤسسة الوقف التي كانت المورد الرئيسي للتعليم، إضافة إلى المؤسسات الخيرية وتوفر عوامل داخلية وأخرى خارجية كان في مقدمتها نمو العديد من المدن مثل؛ بجاية وتلمسان وقسنطينة وظهور المدارس والمساجد والزوايا كقلاع ثقافية يتغذى منها المجتمع الجزائري روحيا وعقليا، والذي أدى إلى ظهور البيوتات العلمية مثل: عائلة الشيخ المقري وأسرة ابن باديس وأسرة الفكون وأسرة قدورة...، وانتشار الطرق الصوفية التي ساعدت على نشر الثقافة والمعارف وانتشار مختلف المؤلفات.

لكن يمكن الإشارة إلى جهود بعض الحكام العثمانيين مثل باي قسنطينة صالح باي "1185-1207هـ/1771-1792م" وباي وهران محمد الكبير "1129هـ-1797م / 1211هـ-1796م" الذين كانوا من الشخصيات العلمية التي ساهمت في إثراء الحقل الفكري والعلمي والأدبي أواخر القرن الثامن عشر الميلاد، أيضا احتكاك الجزائر بالأندلس وهجرة بعض الأندلسيين إلى الحواضر الجزائرية، وإعانتهم للحركة الثقافية بما حملوه من علوم وآداب، تعتبر من العناصر التي كونت الملامح الأساسية للشخصية الثقافية، وساعدت على إبرازها في صورة خاصة، كما ساعدت على رقيها وازدهارها فانتعشت حركة التأليف في الجزائر العثمانية.

كما ساهم التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها الخارجي سواء في المغرب العربي ومعاهده (الزيتونة والقرويين) أو المشرق العربي ومعاهده (الأزهر...) عن طريق الرحلات العلمية والحجازية، كل هذا ساهم في جعل الجزائر تزخر برصيد ثقافي هام ويتجلى ذلك في عدد علمائها الذين تركوا بصماتهم في شتى العلوم وكان لهم دورا بارزا في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب والمشرق العربي، ولم تمنع منهم الوظائف الدينية والثقافية التي تولاها العلماء من وجود حركة التأليف والنسخ من خلال جهود العلماء أنفسهم، أو بتشجيع الحكام السابق ذكرهم الذين شجعوا الطلبة والعلماء على نسخ الكتب، فظهرت مؤلفات أرخت للأحداث التي عرفتها إيالة الجزائر العثمانية، وهكذا كانت حركة التأليف نشطة في الجزائر خلال العهد العثماني.

أولًا: تعريف التأليف:

تعتبر حركة التأليف بالجزائر خلال العهد العثماني من أهم الكتابات في هذا المجال لأنها تعطي صورة شاملة عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن الجزائر خلال الفترة العثمانية.

1/: لغة:

تعددت وتنوعت تعاريف التأليف من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية؛ فمن الناحية اللغوية جاء في معجم "لسان العرب" لابن منظور التعريف اللغوي لمصطلح التأليف جمعها تأليفات فنقول ألّفت بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرّق، مثلا ألف بين الحبال جمعها ووصل بعضها ببعض.

وألفتُ الشيء تأليفًا إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب،"فنقول هذا الكتاب من تأليفه: من وضعه أي هو الذي كتبه، أي بمعنى "ألفه"ويتطلب تأليف كتاب معرفة تامة بمادته لتجميع معلوماته أو تحليلها أو نقدها في علم من العلوم، وألفت الشيء أي وصلته، والفت فلانا الشيء إذا ألزمته، ونقول ألّفتبين الشيئين تأليفا فتالفا واتلفا[1].

من عادته أن يؤلف بين الناس: أن يصلح ذات بينهم أن يوقع الألفة بينهم ومنه **قوله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**[2].

– ألف قلبه: أي استماله.

أما عند الفيروز آبادي في قاموسه "المحيط" التأليف لغة: إيقاع الإلف بين شيئين أو أكثر بمعنى الجمع ضد المتفرق فنقول: أجمع المطر الأرض سال رغابها وجهادها كلها[3] وعرفًا مرادف التركيب، وهو جعل الأشياء بحيث يُطلق عليه اسم واحد وقد يُقال: التأليف: جمع أشياء متناسبة ويُشعِر به اشتقاقه من الألفة فهو أخصّ من التركيب"، وقد انصرف المعنى العُرفي للتأليف إلى جمع الأشياء المتناسبة في علم من العلوم أو فنّ من الفنون

---

[1] لسان الدين ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ط 3 ، دار صادر، لبنان، 2004م، ص8101.

[2] القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية 63.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 1، ط 8، مؤسسة الرسالة للطباعة، لبنان، 2005م، ص692.

واتّخذ التأليف مرادفات عدّة عرفتها أدبيات التدوين مثل: التصنيف والإملاء فيُقال مثلًا: هذا الكتاب تصنيف فلان أو صنفه فلان أو أملاء فلان أو إملاء فلان[1].

2/: التعريف الاصطلاحي:

نقصد به أن يعكف المؤلف بنفسه على جمع كتابته بنفسه ومراجعتها وتنقيحها ثم يخرجها للناس، وكانت حركة التأليف هي المصدر الأول للمخطوطات، هذه الأخيرة التي تعرف بأنها كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه لزال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره.

أو أخذت عنه صور فوتوغرافية وأن يكون مصورا بالمايكرو فيلم عند المخطوط الأصلي[2]، والتأليف كل ما يكتب بالمداد على الورق سواء كان الورق مصنوعا من قراطيس البردي أو من الكاغد أو الأكتاف، وسواء كان المخطوط على شكل لفائف أو مجموعة من الكراريس[3]، فالمؤلف عادة يجمع مادته العلمية من مصادرها المختلفة ويحللها ويناقشها ويكتبها في صورة مبدئية تسمى "المُسَودة"، وهذه المسودة تخضع للتغيير والتبديل والتقديم والتأخير والحذف والإضافة، حتى إذا استقر صاحبها على الصيغة التي يرتضيها، بيضها في صورة نهائية ينشرها على الناس.

فالتأليف إذن هو التجميع مثل تأليف القرآن؛ أي جمعه في عهد النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ ثم في عهد أبي بكر ثم في عهد عثمان ومن شواهده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله عليه الصلاة والسلام نؤلف القرآن من الرقاع[4]، وتكون أشكال التأليف بحسب أشكال أوعية المعلومات غير أنها تكاد تنحصر في تأليف النصوص، سواء كانت على شكل كتاب مخطوط أو مطبوع أو مخزن بشكل إلكتروني أو نحو ذلك[5].

---

[1] إياد خالد الطباع، الوجيز في أصول البحث والتأليف، وزارة الثقافة، سوريا، 2006م، ص5.

[2] فهمي سعد وطلال مجذوب، تح: المخطوطات – بين النظرية والتطبيق –، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1993م، ص13.

[3] شوقي مصطفى علي الموسوي، القيم الجمالية للأشكال الهندسية في المخطوطات القرآنية، جامعة بابل، العراق، 2013م، ص166.

[4] مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات العلوم الشرعية، ط 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2017م، ص375.

[5] إياد خالد الطباع، مرجع سابق ، ص5.

ثانيًا: نشأة وتطور حركة التأليف في الجزائر العثمانية:

إن عملية التدوين ابتدأت في أول الأمر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باعتبارهما النواة الأولى للحركة العلمية التي عرفها العرب فيما بعد، فكل الإنتاجات المعرفية كانت خدمة للقرآن والحديث وما يتصل بهما من لغة وآداب وتاريخ، وهكذا نشطت وازدهرت حركة التأليف عند العرب عبر مختلف المراحل.

إن بداية التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين يمكن تلمسها في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم التاريخ[1] مدين بظهوره وروايته وتدوينه لتلك السيرة العطرة، فقد فرضت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسها على عدد من المسلمين للعناية والاهتمام بها عن طريق حفظها وروايتها، ومن ثم نشرها بين الناس.

وكان هذا الاهتمام يعود إلى أهمية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته بالنسبة للمسلمين في أقواله وأفعاله؛ هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم[2]، كما أن المسلمين كانوا بحاجة ماسة لها في التنظيمات الإدارية بالبحث عن السيرة التي قام بها في هذا الخصوص، إضافة إلى أن أحاديث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام تفسر الكثير من آيات القرآن الكريم، كما إن جهاد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وغزواته الكبرى التي قام بها وما أحدثه الإسلام من انقلاب شامل في حياة العرب، جعل المسلمين أكثر حرصا ولهفة على تجميع كل ما يتعلق بحياة مبلغ هذه الرسالة العظيمة، فلكل ذلك أصبحت سيرته عليه السلام أول ما جمع ودون في الإسلام[3].

فولدت مع هذا كافة فروع التدوين وكافة مناهجه، وحدد هذا مسيرة علم التاريخ وتطوره[4] وبعد انتشار المسلمين في الأقطار التي فتحوها واتساع الآفاق العلمية والفكرية، تزايدت التجارب وبدأوا في تدوين العلوم الأخرى، وتذكر بعض المصادر أن أقدم مخطوط عربي

---

[1] التاريخ هو حياة الشعوب وهو النبض الحي الذي يتجدد في حياة الدول والمجتمعات، ويسجل تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية والخارجية بما يتضمنه من جهود الإنسان الفكرية وتجاربه وتفاعله، مع كل الظواهر التي حوله. للمزيد ينظر: مفيد الزبيدي، منهج البحث التاريخي، دار المناهج، الأردن، 2008م، ص13.

[2] سالم أحمد محل، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، ع 60، مجلة الأمة، 1997م، ص96.

[3] نفسه، ص97.

[4] محمد نصر مهنا، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، ط 2، دار الفجر، القاهرة، 2001م، ص76.

عشر عليه يرجع لعام 228هـ/884م مكتوبا على ورق البردي من 27 صفحة على شكل كراسة[1].

اتسعت بعد ذلك حركة التأليف لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم والحديث الشريف، وامتدت إلى القصص والأخبار والتاريخ والأدب والعلوم، وبلغت ذروتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين اللَذين شهدا ذروة النشاط العقلي، أضيف إليها مع تطور الزمن دوافع جديدة نتيجة عدد كبير من المؤثرات لعل أهمها: عملية المشافهة من الشهود المباشرين للحدث التاريخي، حيث كان فيها الشاهد هو المصدر الأساسي للمعلومات، ومعظم معلومات التاريخ الإسلامي الأولية جاءت عن هذا الطريق الشفوي[2].

أما العملية الثانية فهي مرحلة التسجيل والتدوين الكتابي والشخصي، لقد حظيت الروايات الشفوية بالتدوين بداية من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي من قبل الإخباريين الذين أمدونا بمعلومات هامة عن سير الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، كما أدت صناعة الورق وانتشار استعماله وظهور طبقة من الناس يعملون بالورق ظهور الكتابة وصناعة الكتب أطلق عليهم الوراقون[3]حيث كان لهم دور كبير في انتشار حركة التأليف بلغت عصرها الذهبي في القرن الرابع هجري وتخللها حركة ترجمة أغنت المكتبات العربية بالعلوم المختلفة، وقد قام العباسيون في عهد المأمون ببناء بيت الحكمة التي شكلت أول صرح لهذه الحركة، حيث غير أغلب المترجمين باكتسابهم لملكية التأليف[4].

وقد عرفت حركة التأليف تطورا كبيرا في العهد الأموي والعباسي، وهذا راجع إلى عدة عوامل أهمها: استقرار العرب في عهد الدولة العباسية وظهور الورق وانتشار صناعته وظهور الحاجة لخدمة كتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، هذا بالإضافة للترجمة التي نقلت علوم اليونان والفرس والروم وغيرهم، وتنوعت أساليب التأليفوتفردت

---

[1] عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى أخر القرن الرابع هجري، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1978م، ص295.

[2] محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص69.

[3] عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص295.

[4] عبد الستار الحلوجي، مرجع سابق ، ص295.

بأنماط جديدة برز فيها نوع من المؤلفين، فظهر النمط الموسوعي الذي كان يضم فيها فنون ومعارف كثيرة كالموسوعات الحديثة[1].

ومما يجب الإشارة إليه إلى أن الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعلوم الدينية الأخرى، فكان المؤرخون يكتبون في السيرة النبوية العطرة[2]، ومن هنا استمرت حركة التأليف وتطورت عبر المراحل التاريخية الأخرى فمثلا عند الحديث عن بداية التدوين في المغرب الأوسط لا يمكن فصله عما عرفته الرواية التاريخية في افريقية خلال القرون الثلاثة الأولى، ذلك أن المنطقة كانت تعتبر مركز ثقل هام في بلاد المغرب الإسلامي الذي استقبل الثقافة العربية إلى المناطق المتعددة التي دخلها الإسلام ،ومنها افريقية[3]، وبظهور الدولة الأغلبية على مسرح الأحداث في بلاد المغرب، تطورت الحركة العلمية في افريقية تطورا ملحوظا.

وكان من نتائج ذلك ظهور اهتمام واضح بالكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وأراء تاريخية لا يمنع من فحص مختلف للمصادر التاريخية، ونقد رواياتها والاتجاهات المختلفة لهؤلاء المؤرخين وأسلوبهم ونظراتهم للحياة الثقافية والاجتماعية بصفة عامة[4].

إن الكتابة التاريخية عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها والوثائق المتوفرة لديه والمستجدات الحضارية التي تحيط به، وتخضع عملية الكتابة التاريخية عندئذ لما عليه الجيل من ثقافة ووثائق وإبداعات حضارية.

فإذا كان الجيل المدون للتاريخ مثقفا جدا فإنتاجه سيكون مرآة لثقافته وقدرته العقلية وإذا كان متوسط الثقافة أوحتى قريبا من الأمية، فان إنتاجه الكتابي سيكون مرآة له أيضا وكل جيل يحاول أن يعثر على وثائق جديدة، أو يحاول أن يفسر الوثائق المتوفرة تفسيرا جديدا

---

[1] السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ص45.

[2] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، إشراف دحو فغرور 2015/2016م ص27.

[3] حساين عبد الكريم، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم العلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، إشراف بلعربي خالد، 2017 /2018م، ص14.

[4] محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية، جامعة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر، ع 8، 2018م، ص567.

حسب المعطيات والرؤى التي عليها الجيل الكاتب وهذا معنى التجدد في الكتابة التاريخية[1]، حيث بدأ التدوين التاريخي منذ القرن التاسع هجري الموافق لـ الخامس عشر ميلادي بوصفه اتجاها للكتابة التاريخية، وما وجد في القرن التاسع هجري هو حصيلة لإنتاج فترة امتدت طيلة ثلاثة قرون، بداية من دولة الموحدين التي كانت قاعدة للإنتاج العلمي، حيث ركزت على كتابة تاريخ المغرب بشكل كبير ونعني بها تجميع الأحداث على نطاق المغاربة وهناك من أضاف إليهاالأندلس مسايرة لعملية التوحيد على الرغم من خصوصية التأليف التاريخي الأندلسي[2].

وبعدما سيطرت الدولة الموحدية على معظم مناطق الغرب الإسلامي عرفت الكتابة التاريخية توجهات جديدة لم تكن مألوفة من قبل، حيث ركزت على كتابة تاريخ المغرب بشكل أكثر شمولية، وهكذا تطورت حركة التأليف خلال العهد الموحدي، حيث كانت بمثابة قاعدة للإنتاج العلمي إلى عهد العثمانيين بالجزائر، حيث عرفت بلاد الجزائر تطورا هاما في المجال الفكري، فقد انتقلت الحياة الثقافية بالجزائر من مرحلة التقليد والنقل إلى مرحلة التفتح والاجتهاد والإبداع، حيث اقتصر اهتمام رجال السلطة بالقضايا الفكرية على اختيار القضاة والكتاب من بين الفقهاء والأدباء واستدعاء مشاهير العلماء إلى بلاطهم[3].

أمَا العهد العثماني فتميز بجغرافية سياسية موحدة ومركزية سياسية واحدة لذلك نلاحظ أن التشرذم الثقافي قد تواصل، ومن هنا جاءت عمليات التدوين المختلفة لمختلف الوقائع التي شهدتها الجزائر خاصة خلال العهد العثماني بمختلف جوانبه المختلفة[4]، ففي الفترة العثمانية ازدهرت حركة التأليف التاريخي، واستمرت بعلماء شابهوا كبار المفكرين والمؤرخين في التأليف.

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 م، ص7.

[2] حساين عبد الكريم، مرجع سابق، ص39.

[3] عبد الحميد حاجيات، ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين، مجلة الحوار المتوسطي،جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ع 15-16، 2017م، ص316.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، مرجع سابق، ص8.

ثالثًا: عوامل انتشار حركة التأليف في الجزائر العثمانية:

إن المتتبع لحركة التأليف التاريخي يدرك أن القرون الثلاثة الأولى العاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجري، قد تميزت بندرة في الإنتاج الثقافي والفكري، خصوصا في القرن العاشر الهجري (16م) الذي شهد نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفات لذلك أطلق عليها المؤرخون بعصر الانحطاط الثقافي والجمود الفكري.

ويقابل ذلك شيوع حركة النسخ حيث تميز الناسخون في هذه الفترة بجودة الخط وحسن اختيارهم الورق وإتقان صناعة الورق واستمرت أثناء العهد العثماني، حيث عرفت حركة النسخ والتأليف في هذه الفترة ازدهار نوع ما[1]وقد تضافرت عدة عوامل متنوعة كان لها الأثر البالغ في انتشار حركة التأليف في الجزائر العثمانية ومن بينها:

1/: عوامل داخلية:

لاشك أن الأوضاع السياسية المضطربة التي شهدتها الجزائر لم تكن عائقا في تطور المدن خلال الوجود العثماني بالجزائر، بل عرفت نمو سكانيا وثقافيا بحيث كانت تشع بمدارسها ومساجدها الثقافية، يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا أسهمت في ظهور بيوتات علمية وأنجبت عددا من العلماء الذين ساهموا في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية بالجزائر العثمانية.

ومن بين العوامل الداخلية التي ساهمت في انتشار حركة التأليف في الجزائر العثمانية هي:

نمو العديد من المدن وظهور المدارس والمساجد والزوايا كقلاع ثقافية يتغذى منها المجتمع الجزائري روحيا وعقليا في مدينة الجزائر وعنابة وقسنطينة وبسكرة ووهران وتلمسان، والذي أدى إلى ظهور البيوتات العلمية، التي كانت بمثابة القاطرة التي ساعدت على نشر الثقافة والمعارف وانتشار مختلف المؤلفات والمصنفات في الجزائر العثمانية، هذه البيوتات العلمية هي أسر متنفذة أنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدروا للتدريس والتأليف والإفتاء والقضاء وغيرها من المجالات العلمية والثقافية[2]، كما حازت تلك الأسر

---

[1] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص30.

[2] فوزية لزغم، البيوتات العلمية بقسنطية وبجاية في ظل الحفصين، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 13-14، 2014م، ص197.

على المجد والتعظيم ولم يتسنى لها ذلك إلا بإحراز العلم والثروة والجود والشجاعة ونحو ذلك من الأوصاف[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن حركة الثقافة والتعليم في الجزائر قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر كانت تتركز في ثلاث حواضر رئيسية؛ تلمسان وبجاية وقسنطينة بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى بينما لم يأخذ الريف حظه من التعليم.

أ: مدينة تلمسان:

في غرب الجزائر حيث كانت من أهم المراكز العلمية في الجزائر ومن أزهى المدن بعد القيروان وتونس وفأس ومراكش[2] إن لم تكن أهمها على الإطلاق خلال عدة قرون باعتبارها مقصد الكثيرين من الطلبة المغاربة والعلماء وغيرهم، واستمرت كأحد مراكز التبادل الهامة بين العلماء الجزائريين والمغاربة في الفترة العثمانية[3].

حيث قال عنها الأستاذ مارسيل ايمريث في الحياة الثقافية بها "أن تلمسان كانت مركزا ثقافيا، وكانت تحتوي على خمسين مدرسة يتعلم بها ألف تلميذ، أما التعليم الثانوي والعالي تحتوي على مدرستين هما الجامع الأعظم وجامع ابني الإمام والزاوية الشهيرة في عين الحوت"[4].

ومن بين أبرز مظاهر النشاط الحضاري في تلمسان الزيانية أيضا انتشار بيوتات العلماء؛ وهي الأسر التي اشتهرت بالعلم وتوارثته أبا عن جد، فتميزت فيه وتركت بصمتها على الساحة الفكرية، وقامت بأدوار سياسية واجتماعية وثقافية حيث رصدت لنا المصادر التاريخية خاصة كتب التراجم؛ منها سير العلماء ونذكر منها بيت المقري وبيت العقباني[5].

---

[1] نعيمة بوكرديمي، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي واسهامها الثقافي، مجلة عصور، الجزائر، ع 18، 2015م، ص81.

[2] إبن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية تلمسان، تح هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م، ص47.

[3] عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ج 2، دار الأمل، الجزائر، 2008م ص158.

[4] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص114.

[5] حساين عبد الكريم، مرجع سابق، ص88.

ب: مدينة بجاية:

تقع شرقي الجزائر على شاطئ البحر المتوسط فهي مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط وكانت معقلا من أهم معاقل الحركة العقلية في المغرب الأوسط ينتقل إليها عشاق الأدب وطلاب العلم والمعرفة من مختلف المدن والقرى، وقبلة تهوي إليها أفئدة المسلمين من بلاد الأندلس غربا إلى أصفهان في بلاد العجم شرقا، فاستهويت الباب عدد غير قليل من مشاهير العلماء ومدرسي العلوم[1].

ج: مدينة قسنطينة:

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الأكثر عراقة وقدما تقع في الشرق الجزائري وقد كان مجتمع مدينة قسنطينة مجتمعا حضريا متماسكا، وكانت تلعب فيه العائلات الكبيرة ولا سيما الدينية منها دورا فعالا ونافذا فهي التي تنظم العلاقات العامة فمعظم العائلات في قسنطينة كانت تعيش على العلم والتجارة لأن قيمة العائلة كانت تراثها العلمي وتنشئة أبنائها عليه من حفظ القرآن الكريم إلى تولية القضاء والفتوى والتدريس[2].

وهي التي تعين أو تبارك مشيخة المدينة وتسهر على الأمن داخل المدينة وتنشط الحياة الاقتصادية وتتحرك في الأزمات بطريقة جماعية منسقة[3]، وكانت معظم العائلات في قسنطينة، تعيش على التجارة والزراعة والتعليم لأن قيمة العائلة كانت في تراثها العلمي وتنشئة أبنائها عليه من حفظ القرآن الكريم إلى تولية القضاء والفتوى والتدريس، ومن اعتناق المذاهب الصوفية إلى بناء الزوايا، وهكذا كان التراث العلمي لكل عائلة مما تعتز به وتفاخر بأنه طريقها إلى المجد والشهرة والنفوذ، وكانت التجارة هي عصب الحياة وامتازت بوفرة عدد

---

[1] أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط 2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص7.

[2] أبو القاسم سعد الله، عبد الكريم الفكون –داعية السلفية–، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص ص22-23.

[3] أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع وتق عبد الله حمادي، دار الفائز، الجزائر، 2011م، ص43.

كبير من رجال العلم كالفقهاء والأدباء الذين اعتمد عليهم الحفصيون في الجهاز الإداري للدولة العثمانية ككتاب ووزراء وقضاة وخطباء[1].

إضافة إلى ذلك فقد أخذت الصدارة بتواجد مدارسها العلمية بالإضافة إلى المساجد في الشرق الجزائري، كانت ثاني مدينة بعد الجزائر العاصمة تضاهي فاس وتلمسان والقاهرة من حيث العلماء والتعليم[2]، وكانت مراكز للتعليم والثقافة والإشعاع الفكري مما ساهم في انتشار حركة التأليف وظهور المؤلفين، ويتضح من خلال ماسبق ذكره أن الجزائر كانت تزخر برصيد ثقافي هام قبل أن تلحق بالدولة العثمانية وتجلى ذلك في عدد علمائها الذين تركوا بصماتهم في شتى فروع المعرفة[3]، رغم الاحتلال الاسباني للجزائر[4] وتعرض سواحلها للهجمات الاسبانية المتكررة في القرن (9هـ/15م) وتردي الأوضاع السياسية وقدوم العثمانيين خلال القرن 10هـ/16م[5]، إلا أنه لم يكن عائقا في تطور المدن خلال الوجود العثماني بالجزائر ولم تخمد الحركة العلمية في هذا العصر، ولم يقف دولاب العلم والتعليم في أي ناحية من نواحي البلاد، بل كان الكثير من الأتراك وأعيانهم ينشطون العلم والمتعلمين بما حبسوه على تلك المشاريع من الأوقاف لغنية ذات الريع الكبير فتطورت المؤسسات الثقافية وأصبح يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا[6].

كما عرف المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية كغيره من المجتمعات الإنسانية ظاهرة البيوتات الدينية والعلمية، وأنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدوا للتدريس والتأليف والإفتاء والقضاء، إذاً فالتعليم كان منتشرا تقريبا في كامل أنحاء البلاد لكنه بقى تقليديا وغلب عليه التصوف الذي راج في هذا العهد[7]، ولم يعد التعليم منحصرا في

---

[1] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، إشراف محمد بن معمر، 2014/2013م، ص 146.

[2] عميراوي احميدة، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط 2، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص139.

[3] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص322.

[4] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة، الجزائر، 2013م، ص13.

[5] بن عودة المزاري، طلع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 1، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص250.

[6] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص89.

[7] العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال، ط 2، الجزائر، 1984م، ص28.

الحواضر الكبرى المذكورة وإنما انتقل إلى الريف محدثا شبه توازن بينه وبين المدينة في هذا المجال، حيث تميز العهد العثماني ببروز حواضر ثقافية جديدة واختفاء أخرى فقد احتلت مدينة الجزائر مركز الريادة في مدن المغرب الأوسط في العهد العثماني، وانتزعت الأهمية التي كانت لتلمسان هذه الأخيرة التي فقدت سمعتها وقيمتها بسبب الاحتلال الإسباني لمدينة وهران، الذي أثر سلبا على المدينة وكذلك الأمر نفسه بالنسبة لبجاية في القرن (10هـ/16م).

فقد كانت مدينة الجزائر أكبر الحواضر السياسية والثقافية في تاريخ الجزائر العثمانية وهذا بشهادة الرحالة المغاربة وفي هذا الصدد يقول ابن زاكور الفاسي: "مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر وحلول مغانيها النواظر التي غص ببهجتها كل عدو كافر غرر أعلام ينجلي بها الإظلال وشموس أئمة تتفرج بهم كل أمة تفتخر بهم أخبار هذه الأمة[1] من رجال كالجبال أحبار كالأقمار طلعوا في بروج سعودها بدورا ألبسوها رواء ونورا فاهتديت بأنوارها السينة إلى قطف ماراق من أنوارهم الجنية، وارتقت في رياض آدابهم فتمتعت ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت ..."[2].

وقال عنها علي التمقروتي التي دخلها سنة (997هـ/1589م)[3] بأنها كانت تسمى إسطنبول الصغرى وبأن الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية في حين شبهها عبد الرحمان الجامعي بفاس بقوله: "أما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي، وبها تذكرت بعض ما كان بينه خلدي وبأنها لا تخلوا من قراء نجباء وعلماء وأدباء وأعلام خطباء حيث كانت مساجدها بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة مشهورة"[4].

وهذا يدل على أنها عرفت تطورا كبيرا من الناحية الفكرية خلال العهد العثماني فلم تعد عاصمة سياسية للدولة الناشئة فحسب بل أصبحت عاصمة ثقافية، مما جعلها من المدن

---

[1] ابن زاكور الفاسي، نشر أزهار البستان فيما أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء وأكابر الأعيان، تح: مصطفى ضيف وآخرون، المعرفة الدولية، الجزائر، 2001م، ص40.

[2] نفسه، ص41.

[3] عبد اللطيف الشاذلي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تق وتح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ص5.

[4] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص204.

الدولية المعروفة آنذاك بثقلها الثقافي، بحيث حملت في طياتها مختلف الفنون الثقافية التي انعكست على الحياة اليومية للفرد الجزائري، وازدهرت حلقات الدروس العليا بها[1] وكانت تعج بالكتب في أواخر القرن السادس عشر ميلادي ومن بين أشهر البيوتات العلمية عائلة الشيخ قدورة، حيث تعد من أكثر البيوتات العلمية شهرة بالجزائر العثمانية، وقد حاز من النفوذ ما مكنها من تولي خطة الإفتاء المالكي بمدينة الجزائر أكثر من قرن بدون انقطاع رغم المنافسة الحادة التي كانت بين رجال العلم حول المناقب العلمية والدينية الرفيعة ومنها الإفتاء[2] بزعامة الشيخ السعيد قدورة الذي كانت كتبه عبارة عن دفاتر صغيرة وشروح وحواشي وعائلة الشيخ علي الأنصاري الذي كان تأليفه عبارة عن منظومات وشروح وهكذا اشتهر علماء الجزائر بمؤلفاتهم التي أرخت للأحداث التي عرفتها إيالة الجزائر العثمانية خصوصا بعد الفتح النهائي لوهران 1792م بفضل تشجيع بعض الحكام العثمانيين مثل الباي محمد الكبير[3].

وكانت مقصد للطلبة سواء من داخل أو خارج الجزائر، وشاع فيها أيضا النسخ للانتشار الكتب[4]، حيث كانت مساجدها بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة مشهورة[5]وبهذا تعد مدينة الجزائر أكبر الحواضر السياسية والثقافية في تاريخ الجزائر العثمانية، فقد عرفت تطورا كبيرا من الناحية الفكرية خلال العهد العثماني[6].

وأما حاضرة قسنطينة فقد اكتسبت مكانة كبيرة في هذه الفترة لكونها كانت عاصمة بايلك الشرق وحكمها الشبه المستقل عن السلطة المركزية، كما عرفت كغيرها من المدن الجزائرية العريقة نهضة[7] علمية وثقافية كبيرة ويعود الفضل في ذلك إلى كثرة المؤسسات

---

[1] لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر، مرجع سابق، ص61.

[2] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1850م، مرجع سابق، ص59.

[3] عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، إشراف بوشنافي محمد، 2018/2017م، ص102.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص276.

[5] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص204.

[6] لزغم فوزية، مرجع سابق، ص78.

[7] يقصد بها البعث أو إعادة إحياء التراث الفكري والحضاري للأمة الجزائرية، حتى تعي ما يدور حولها، فتستيقظ وتنهض لتغيير واقعها المر واثبات حقيقتها التاريخية، للمزيد ينظر: إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962م)، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص228.

الثقافية والدينية المنتشرة بها مثل المساجد كجامع سوق الغزل؛ الذي أمر ببنائه الباي حسن وكان ذلك عام 1730م، وجامع سيدي الأخضر حيث أمر ببنائه الباي حسن بن حسين الملقب أبو حنك 1743م وغيرها من المساجد الأخرى والجوامع والمدارس والزوايا، حيث كانت هذه المؤسسات منارات علمية شامخة تشع بالعلوم والمعارف[1].

إضافة إلى دور البيوتات والأسر العلمية القسنطينية في حمل مشعل العلم والثقافة وبروزها في عدة مجالات فقد أنجبت هذه البيوتات العلمية العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدروا للتدريس والإفتاء والقضاء[2] والإمامة والخطابة والتأليف في بعض العلوم وكان بينهم تنافس واضح كعائلة الفكون التي تعد من أقدم العائلات في قسنطينة وهي عائلة اشتهرت بالعلم والصلاح وأسرة "ابن باديس" وأسرة "ابن عبد الجليل"[3].

ومما لاحظ كانت هناك ثقة متبادلة بين الأتراك وبين الأسر المرموقة الجاه " كبني الفقون"، فكان كلما عز الأمر وتأزم استأنس الدايات بمشهورة هؤلاء الأكابر، وكان في الغالب لا يرد لهم طلب أو اقتراح، كانت مدينة قسنطينة تدخل مرحلة من الازدهار الاقتصادي والفكري يكاد يكون علامة بارزة في تاريخ التواجد العثماني التركي بهذه الديار وخاصة خلال القرن (11هـ-17م / 12هـ/ 18م).

وقد خلقت مثل هذه الثقة بين السلطة المركزية والفرعية جوا من التنافس بين الأسر المرموقة في هذه المدينة، وكان كل منها لا يخفي مساعيه للفوز بحظورة مقاليد إدارة شؤون المدينة الاجتماعية ومنصب شيخ الإسلام وأمير الركب للبقاع المقدسة وإمامة المسجد الكبير الجامع وإلقاء الخطبة باسم السلطة وإدارة الحبوس مهام ظلت طوال الوجود العثماني التركي بقسنطينة من نصيب أسرة "ابن الفقون" التي توارثتها كابرا عن كابر نظرا للولاء والوفاء الذي أبدته هذه الأسرة لهم منذ دخولهم إلى قسنطينة، وهكذا حصلت تلك البيوتات على الجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة[4].

---

[1] محمد سعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة -صرح ثقافي يصارع النسيان-مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 18، 2015م، ص155.

[2] نعيمة بوكرديمي، مرجع سابق، ص80.

[3] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص219.

[4] أحمد بن المبارك بن العطار، مصدر سابق، ص54.

وبخصوص مدينة بجاية فقد فقدت زعامتها السياسية ورصيدها الثقافي خلال الفترة العثمانية، وتغير وضعها جذريا منذ تعرضها للاحتلال الإسباني 1510م وبقاءه بها حوالي 45 سنة ورغم الطرد النهائي للإسبان فإن المدينة لم تسترجع مكانتها السياسية والحضارية والثقافية طيلة العهد العثماني، ولما فر سكانها إلى المناطق المجاورة واستقروا بها أنشأؤوا بها العديد من الزوايا التي أشرفت عليها البيوتات والأسر العلمية ومن أشهرها[1]، عائلة المنجلاتي والمشدالي في بجاية التي استفادت من هجرة الأندلسيين، وازدهرت بالعلوم من كثرة الواردين عليها من الفقهاء والمحدثين والأدباء والفنانين والفلاسفة، وهكذا تكونت في بجاية بفضل هؤلاء المهاجرين نهضة علمية امتزجت فيها العلوم والآداب الأندلسية بالعلوم والآداب الإفريقية[2].

أما مدينة عنابة فكانت أسرة "البوني" من مشاهير البيوتات العلمية بالجزائر، حيث انتقل أسلاف هذه الأسرة إلى الجزائر من إستانبول والظاهر أنها استقرت أولا بعنابة ثم انتقلت إلى مدينة الجزائر مركز السلطة وتوفر الوظائف الدينية، تولى عدد من أفراد هذه البيوت الفتوى والقضاء الحنفية بمدينة الجزائر وكانت قريبة من مقاليد السلطة وذوي النفوذ في البلاد، قد جمعت بين العلم والصلاح وسيطرت روحياعلى عنابة ونواحيها مدة طويلة بلغت القرنيين تقريبا[3]، ومن أشهر أعضائها "أحمد البوني"[4] إضافة إلى عائلة "العقباني" بتلمسان.

كما اشتهرت مدينة بسكرة بعلمائها أبي زيان ناصر بن مزني وعيسى بن سلامة وأبي محمد عبد الله المعروف بقصيدته في المديح النبوي، كما عرفت مدينة وهران مجموعة من الأسر العلميةالتي اشتهرت بمختلف العلوم الدينية والأدبية مثل "أسرة المشارفة" حيث تعد من أشهر الأسر بالغرب الجزائري بنسبها وحسبها وأدوارها التاريخية والاجتماعية والسياسية وهم رجال أعلام ذوو فضائل وأحلام وعلوم ضاهت بها في المغرب ناحية الراشيدية على وجه

---

[1] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، مرجع سابق، ص147.

[2] المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، إعداد: عبد الرحمان دويب، مج 3، عالم المعرفة، الجزائر، 2012، ص20.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص64.

[2] هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني ولد ببونة المعروفة الآن بعنابة في شرقي الجزائر سنة (1063هـ/ 1653م) وتوفى فيها (1139هـ/ 1726م) للمزيد ينظر: أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق سعيد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007م، ص12.

الخصوص والعموم[1]، إضافة إلى ذلك فقد لعبت مدينة "مازونة" دورا هاما وخاصة في القرن الثاني هجري (18م)، وهذا راجع إلى موقعها الجغرافي فكانت مركزا اقتصاديا مارس أهاليها التجارة والصناعات التقليدية، وكانت عاصمة بايلك الغرب ومنها انطلقت بعثات لتحرير وهران من الإسبان منذ سنة 1543م[2]، وهكذا رغم تردي الأوضاع السياسية فإن ذلك لم يمنع من بروز علماء في الدين استطاعوا بعصاميتهم وانقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة، ويساهموا في ازدهار حركة التأليف.

يذكر في هذا الإطار مشاركة المتطوعين من مازونة والطلبة في هذه المعارك لتحرير وهران وأروع مثل لهذا التجنيد هو ذهاب العالم الشهير محمد بن علي أبو طالب المازوني على رأس مائتي طالب، وكان عمره يتجاوز الثمانين سنة، فذهب إلى معسكر ثم إلى وهران ماشيا وأمتنع عن الركوب وترك راحلته للمرضى من طلبته وأضافه الباي إلى أعضاء قيادة الرباط، وبعد الفتح بنت له الدولة التركية مدرسته الفقهية الشهيرة بمازونة ومازلت المدرسة تحتفظ بجزء من صحيح مسلم أهداه عثمان باي دائم بايلك الغرب للفقيه سنة 1799م وعرفت مازونة بعدد من الفقهاء أمثال: موسى بن عيسى وابنه يحي[3]، ومن أشهر العلماء الذين درسوا بمازونة مصطفى الرماصي ومحمد بن علي السنوسي المجاهري مؤسس الزاوية السنوسية في ليبيا والشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر المعروف باسم أبو راس المعسكري حيث كان يتولى نفقة الطلبة بمازونة.

د:عامل التصوف:

إن الاهتمام بالتعليم والتأليف لم يقتصر على الحواضر الكبرى التي سبق الإشارة إليها بل حتى سكان الأرياف أيضا كان لهم نصيب في ذلك خاصة بعد هجرة بعض العلماء إلى داخل البلاد وتأسيسهم للزوايا، حتى أصبحت هذه الزوايا عبارة عن مدن كعين ماضي وتماسين وطولقة.

مما تجدر الإشارة إليه لقد جاء العثمانيون إلى الجزائر حكاما وجنودا؛ وهم ومن أتباع الطريقة الصوفية البكداشية وطبعوا وجودهم في الإيالة الجزائرية بصبغة دينية في إطار

---

[1] عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، إشراف أحمد الحمدي، 2013- 2014م، ص153.

[2] بن عودة المزاري ، مصدر سابق، ص250.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر القافي، ج 1، مرجع سابق، ص44.

الجهاد ضد الكفار، وأما مظاهرة التمسك بالدين التي عمت المجتمع، فإن الكثير من العلماء آثروا السفر بهدف أخذ علوم الدين عن علماء المشرق وزيارة المراكز العلمية هناك في تونس بجامع الزيتونة وجامع الأزهر والحرمين الشريفين أوإلقاء المحاضرات في جوامع قسنطينة[1].

فانتشر التصوف في الجزائر شرقا وغربا وكان الفقهاء في طليعة المثقفين في المجتمع رفقة شيوخ الطرق الصوفية[2]، لذلك حظي العلماء والمرابطون في الجزائر العثمانية بمكانة اجتماعية وسياسية خاصة أنهم لعبوا دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم مكنتهم من تبوئ وظائف دينية وعلمية خلال فترة العهد العثماني، وحتى في السلم الاجتماعي اعتبرت طبقة العلماء في المدن من طبقة الحضر حيث احتلت المرتبة الثالثة في المجتمع الجزائري بعد العثمانيين والكراغلة[3].

ونتيجة لذلك انتشرت عدة تآليف خلال العهد العثماني تناولت التصوف مثل كتاب أبي عبد الله محمد بن مريم المديوني التلمساني يسمّى"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" أنهاه سنة 1603م، تميز فيه إبن مريم بميله إلى الورع وبنزعته إلى التصوف[4]، بالإضافة إلى أحمد بن قاسم البوني صاحب كتاب "الدرة المكنونة في علماء بونة" وكتب كذلك ابن عمر في هذا المجال بتأليفه "لواء النصر في فضلاء العصر"[5]، أيضا ألف ابن الفكون[6]"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" في القرن السابع عشر ميلادي منتقدا فيه انحراف المتصوفة عن التصوف الحقيقي وتحالفهم مع الولاة الفاسدين[7].

---

[1] حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، إشراف: عبد المجبد بن نعيمة، 2013/2012 م، ص ص111، 116.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص127.

[3] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص93.

[4] إبن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، إعداد محمد إبن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص5.

[5] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، ج 1، ص183.

[6] أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، مصدر سابق، ص12.

[7] هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون، ولد بمدينة قسنطينة سنة 988هـ-1580م وتوفي سنة سنة 1073هـ-1662م ففي عهده بلغت عائلة الفكون، مكانة كبيرة وأصبحت تتمتع بنفوذ روحي بلغ درجة قصوى، للمزيد ينظر: أبو القاسم سعدالله، عبد الكريم الفكون، مرجع سابق، ص57.

فهؤلاء المؤلفين الذين أرخوا للمرابطين والأولياء الصالحين وتناولوهم بالدرس والتعريف بالتراجم الأولياء خاصة الذين عاصروهم وكان التصوف أحد أسباب التأليف،وهكذا احتلت الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري مكانة هامة إذ كان لها الدور الفاعل في مختلف الأحداث المختلفة، كدورها في توطيد العلاقات بين الايالات كالطريقة القادرية والرحمانية والطيبية والتيجانية[1]، مما ساعد على انتشار وتطور المؤلفات الجزائرية، خصوصا في ميدان التصوف.

ومن هنا اكتسبت الظاهرة الصوفية في شكلها الطرقي وأهميتها وخصوصياتها المتميزة عن طريق الانتشار خارج الحدود الجغرافية، وبروز التصوف المغاربي كعامل موحد بين الشعوب والأقطار المغاربية، وساهمت فيه الثقافة المشتركة التي سمحت بالتأصل وتعزيز الروابط ووحدة الانتماء وخلق صلات روحية بين سكان الإيالات المغاربية العثمانية وأثرها في توطيد الاتجاه الوحدوي للمنطقة المغاربية وفي المقابل ساهم هو أيضا في انتشار المؤلفات الجزائرية[2].

هـ: وجود شخصيات عثمانية حاكمة لها ميول ثقافية:

كما هو معلوم أن الاهتمام بالوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني كان ينبع من حاجة المجتمع الجزائري لتربية أبنائه، لذلك اعتمد على جهود الأفراد والعائلات والمؤسسات الخيرية والمبادرات الفردية، وعلى أساس المهام المنوطة بجماعة العلماء والفقهاء في المدن وعلى نشاط شيوخ الزوايا في الريف.

إن أغلب المصادر العربية والأجنبية قد نوهت بجهود بعض بايات الجزائر، وذلك من خلال تشجيعهم لحركة الثقافة والتعليم ببناء المساجد والزوايا وتقديم الهبات وتفعيل الأوقاف وإكرام العلماء[3]، ومن أشهر هؤلاء البايات:

---

[1] حصام صورية، مرجع سابق، ص119.

[1] سليم بوتدارة، التواصل الثقافي بين الإيالات المغاربية العثمانية، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، ع 9، 2018م، ص187.

[3] محمد الأمين شرويك، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية –على ضوء ضوء المصادر المحلية والأجنبية –، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر، ع 8، 2018م، ص566.

- صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م) في بايلك الشرق:

يعتبر صالح باي من أبرز بايات الجزائر في بايلك الشرق فقد كان ذا شهرة واسعة وذاع صيته بفضل إنجازاته حيث عرف عصره ازدهارا وانتعاشا، وهو صالح بن مصطفى ازميرلي ولد بمدينة أزمير على ساحل بحر إيجة غرب الأناضول بتركيا في عام (1138هـ الموافق لـ 1725م) من أسرة متوسطة الحال عاش سنواته الأولى بصفة عادية وفي عام 1755م تسبب في مقتل أحد أقربائه خطأ ولكي يتفادى العقاب أرغم على الفرار من بيته وجاء إلى الجزائر وعمره نحو السادسة عشر[1]، وبعد استقراره بالجزائر عمل بمقهى الأوجاق يساعد صاحب المقهى، ولقد اضطر إلى هذا العمل نظرا لصغر سنه وعدم خبرته بالحياة ولجهله بأوضاع البلاد، إلا أن هذا الوضع سمح لصالح باي في التعرف على واقع الجزائر وطبيعة الحكم وأسلوب الإدارة السائدة بها آنذاك، ولم يلبث غير قليل حتى التحق بسلك الجندية فيها وهنا تعرف على الكثير من الأتراك في مجلس الأوجاق الذين لم يبخل بمساندته فيما بعد للحصول على إذن من مجلس الديوان يسمح له بالانخراط في فرقة الإنكشارية، تميز في منصبه الجديد بانضباطه وامتثاله للأوامر التي كان يصدرها العسكر وقد أظهر شجاعته وقوته في جميع الفنون القتالية التي عرفت في عصره.

لقد اشتهر صالح باي بشهرة واسعة وذاع صيته في مختلف البلاد وكان عصره من الناحية الشرقية (قسنطينة)عصر نهضة ورخاء وانتعاش وأصبح يدير أمور مملكته وكأنه الملك المستقل فيها، وبقي طيلة أيام محمد عثمان باشا حافظا على عهد الولاء والطاعة دافعا ما عليه من إثارات بغاية النظام، وقد شارك مشاركة فعالة مع قومه في دحر قوات الإسبان والقضاء عليها، عندما حاولت الاستيلاء على مدينة الجزائر، لقد وصف صالح باي بأنه رجل عاقل له سيرة حسنة وسياسة حميدة يسمع كلام الشاكين ويقوم بنصرة المظلومين[2]، فقد تميز بحسن السياسة والخبرة الحربية[3].

---

[1] محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر –تاريخ مدينة قسنطينة –، مطبعة البعث، الجزائر، 1985م، ص383.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، مرجع سابق، ص133.

[3] محمد بن المبارك الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم الحديث، ج 3، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص ص243-244.

أما أعماله ومنجزاته ومآثره الأخرى فمن الناحية العمرانية أعاد للمدينة قسنطينة ازدهارها الذي عرفته في الماضي وانتشاره داخل المدينة وخارجها من خلال تجميل وتنظيم وإشادة بعض المعالم العمرانية من خلال إنشائه "حي سيدي الكتاني" حيث بادرا بتجميله سنة (1189هـ/ 1775م) وأنشأ به مسجد ومدرسة سيدي الكتاني، أما الجامع الحنفي الذي يعتبر من أشهر أثار صالح باي فقد جلب له دعائمه الرخامية وأهم مواد بنائه وزينته المعمارية من إيطاليا[1].

إضافة إلى ذلك قام بترميم وإصلاح لجسر القنطرة الروماني الذي تعطل مدة خمس سنوات، فجلب لهم الحجارة من حصن المنصورة الروماني المهدم ووفر لهذا المشروع مادة البناء وخبراء وعمال فنيون استقدمهم من البلاد الأوربية، واضطر صالح باي إلى أن يصرف على هذا المشروع مبالغ مالية طارئة.

مما تجدر الإشارة إليه أن الحكام أولوا عناية خاصة للتعليم في النصف الثاني من القرن (12هـ/ 18م) ومما شجعهم على ذلك الاستقرار السياسي الذي عرفته البلاد في الفترة المذكورة وتشجيع رجال الفكر والثقافة وتأسيس المؤسسات التعليمية والدينية كالمساجد والجوامع والزوايا وما أنجزه صالح باي في بايلك قسنطينة في مجال التعليم دلالة على أن هناك منافسة بين الحكام[2].

ولقد ساعد صالح باي استقرار الأحوال وطول البقاء في الحكم على القيام بأعمال عظيمة في ميدان العلم والثقافة، وتوسيع نطاق حركته العلمية من خلال منشأته وتأسيسه للمساجد والمدارس وتشجيعه للحركة العلمية والتربوية، فقد عمل صالح باي على تحسين المستوى الثقافي للعامة ومن أشهر ما أسسه الجامع الحنفي سيدي الكتاني سنة (1190هـ/ 1776م) و في عام 1189هـ/ 1775م أنشأ عدة مدارس كالمدرسة الكتانية الملاصقة للمسجد سيدي الكتاني من الجانب الشرقي بحي سوق العصر[3]، وكانت مدرسة سيدي

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، مرجع سابق، ص64.

[2] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص575.

[2] سميت بالمدرسة الكتانية تبركا بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني، أطلق عليها اسم المدرسة الكتانية، وهي حسنة من حسنات المجاهد صالح باي ارتبط اسمها ومعها المسجد بالولي الصالح سيدي الكتاني وكانت بحق مصدر للتنوير وتخريج القضاة للمزيد ينظر: عبد القادر المجاوي، الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، تح: عبد الرحمان دويب، دار زمورة، الجزائر، 2011م، ص43.

الكتاني تحتوي عدة أساتذة يعينهم الباي بنفسه ويتم الدفع لهم من ميزانية المساجد ويدرسون مختلف العلوم (النحو– الفقه– تفسير القرآن– التوحيد– علم الحديث والحساب) وقد استحدث صالح باي نظاما دقيقا يسمح لهذه المدارس بتأدية دورها وقد تقيد به الطلبة والمدرسون وذلك في شوال (1194هـ/ 1780م)[1].

إن من بين ما يميز المدرسة الكتانية عن غيرها من المدارس التعليمية انفرادها بقانون خاص تمت صياغته من طرف صالح باي والأعضاء الذين يشكلون مجلس المدرسة في شهر سبتمبر 1780م، أي بعد مرور خمس سنوات من تأسيسها ويتضمن هذا القانون مجموعة من المواد أو النصوص التشريعية التي يمكن حصرها في النقاط التالية[2]:

– يتم إلقاء ثلاثة دروس في اليوم الدرس الأول يبدأ عند مطلع الشمس ويدوم حتى الساعة الحادية عشر، أما الدرس الثاني من منتصف النهار حتى وقت العصر، بينما الدرس الثالث من العصر حتى غروب الشمس، وكان على التلاميذ قراءة أربعة أحزاب من القرآن كل يوم اثنان عند صلاة الصبح واثنان بعد صلاة العصر، ويختمونها بصلاة يدعون فيها لمؤسس المدرسة صالح باي[3].

–لا يقبل في المدرسة إلا الشبان الحافظين للقرآن جيدا سواء كانوا يسكنون البادية أم المدرسة من المذهب الحنفي أو المالكي على سواء على شرط أن يكونوا متزوجين.

–كل تلميذ يقضي عشر سنوات في المدرسة دون أن يحصل على تقدم ودون أن يظهر قابلية للدراسة العلوم يطرد ويعوض بأخر.

–كل تلميذ لا يثابرا على دروس الأستاذ يطرد.

–لا يمكن إدخال المواد الغذائية، والثياب وأدوات الطبخ إلى المدرسة، اللهم لا ماكان ضروريا لاستعمال سكانها.

–لا يسخن التلاميذ أكلهم إلا بالفحم ولا يكون ذلك أبدا بالحطب ولا يجوز غسل ثيابهم داخل المدرسة[4].

---

[3] طاهري عبد الحليم، صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الآثارالإسلامية، معهدالآثار، جامعةالجزائر، إشراف عبد العزيز لعرج، 2008–2009م، ص68.

[2] محمد سعيد قاصري، المدرسة الكتانية بقسنطينة،مرجع سابق، ص157.

[3] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791م، مرجع سابق، ص135.

[4] طاهري عبد الحليم، مرجع سابق، ص69.

كما أنشأ مدرسة أخرى ملحقة بالجامع الأخضر سنة (1193 هـ/1779م) وجعل لها نظاما خاصا محكما، واشترط أن يكون الطالب حافظا للقرآن الكريم[1]، وأسس لها نظاما بديعا وتشمل المدرسة مسجدا وخمسة من البيوت منها بيت للمدرس والأربعة للطلبة وميضاءة وبيت لوضع الأدباش والطلبة الذين يجاورون بالمدرسة ثمانية يختص كل اثنين منهما ببيت، ويقف على المدرسة وكيل مكلف بمداخيلها ومصارفها وبواب لمباشرة أعمال التنظيف[2].

ونظرا لكون العناية بالمساجد كانت واضحة في المجتمع الجزائري باعتباره مؤسسة دينية وثقافية واجتماعية وهي ملتقى الناس لأداء العبادات ومناقشة أمور دينهم ودنياهم، فلا نجد حيا في المدينة إلا وبه مسجد خاص حيث كان يتم بناء المساجد من تبرعات وأعيان البلد أو الحكام من بايات ودايات وكانوا يتبرعون ويبنون المساجد وينسبونها لأنفسهم، وهذا ماقام به صالح باي من خلال جامع آخر يحمل اسمه بعنابة في أواخر أيامه سنة 1206هـ/1791م، ويعرف بالجامع الجديد وقد بلغ عدد الجوامع الكبرى على عهده خمسة أما المساجد الصغيرة كان عددها 79 مسجدا[3].

في حين قدر عدد الزوايا بثلاثة عشر زاوية ويذكر أبو القاسم سعد الله أنه قد ثبت من السجل الذي أمر به صالح باي، أنه كان في قسنطينة على عهده مدرستان ثانويتان وهما سيدي بوقصيعة وسيدي بن خلوف ولكنه لم يذكر عدد المدارس الابتدائية آنذاك[4]، كما استحدث صالح باي نظام دقيق يتقيد به المدرسون والطلبة ويخضع له الموظفون بأماكن الدرس والعبادة وتوفير الظروف الملائمة لهم، حيث قام بتوظيف وكيل يسهر على نظام الدراسة والسير الحسن للمدرسة ويساعده على ذلك معاون يدعى القيم كما استحدث في كل مدرسة قاعة للصلاة وميضاءة وخمس غرف؛ واحدة للمدرس والأربعة الأخرى للطلبة للثمانية حيث يتوزع كل طالبين على غرفة.

كما أنه وفر الإقامة للتلاميذ الذين يأتون من قبائلهم خارج المدينة فمنهم من كان يستفيد من مداخيل المساجد ومنهم من أسكنهم لدى العائلات القسنطينية الكبيرة أمثال عائلات ابن الفكون- باش تارزي، وبالتالي من خلال ماسبق من هذه القوانين الصارمة

---

[1] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص219.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، مرجع سابق، ص134.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص275.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص248.

نستشف أنه كان لها جانب كبير من الحكمة في تسيير أمور التعليم وقد سن هذه القوانين أكبر علماء ذلك الوقت كالشيخ عبد القادر الراشيدي مفتي الحنفية[1] والشيخ شعبان بن جلول قاضي الحنفية والشيخ العباسي قاضي الملكية هؤلاء وحدوا معارفهم لتزويد الناس بالفتاوي وكانوا كلهم رحمهم الله من رجال العلم والعمل[2].

أما في المناطق النائية فقام صالح باي ببناء الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وكان صالح باي يهدف من هذه المؤسسات العلمية لنشر التعليم بين الناس على نطاق واسع ليتمكنوا من أمور دينهم ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس وكل ما يتعلق بالشؤون الدينية، كل هذا ساهم في انتشار وتطور حركة التأليف[3]،بالإضافة إلى حفظ علوم الدين من الضياع والنسيان والعمل على تحسينها فهما وتعليما، ويهدف كذلك إلى إعداد الفرد السليم للحياة إعدادا جيدا ليفيد نفسه ومجتمعه والإنسانية كافة.

إن القوانين التي طبقت في عهد صالح باي ما تزال الأنظمة التعليمية والمدارس الداخلية تعمل بها إلى اليوم وهذا دليل واضح على بعد النظر والتطور الكبير التي وصلت إليه مدينة قسنطينة بصفة عامة والنظام التعليمي ممثلا في المدارس بصفة خاصة.

كما كان صالح باي من المبادرين الأوائل في وقف بعض ممتلكاته منها ما وقفه على المدرسة والمسجد اللذان بناهما مما دفع بأعيان المدينة الإقتداء به في هذا المنهج، وقد قام صالح باي بمجهودات كبيرة لتنظيم الأوقاف وحمايتها حيث وصلت أخبار لصالح باي بأن التقصير قد وقع في أوقاف المساجد وعاش فيها الوكلاء فسادا وإهمالا فعطلت عن وظائفها فأصدر صالح باي قرارا في عام (1190هـ/1776م)، كلف بموجبه القضاة والمفتيين (كل من الشيخ عبد القادر الراشيدي المفتي الحنفي وشعبان بن جلول القاضي الحنفي والقاضي المالكي) بالبحث عن أوقاف المساجد بعد أن حولت عن أغراضها الأساسية، وأمرهم بتقييد نتائج تحقيقاتهم في سجل خاص[4]، ويشرف على الوقف وكيل يعينه الباي بناء على أوصاف معينة كالأخلاق الفاضلة والنزاهة والعلم والسمعة الطبية بين الناس[5].

---

[1] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص577.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، مرجع سابق، ص135.

[3] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص578.

[4] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص338.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص229.

كما وضعت دفاتر صغيرة الحجم خص كل مسجد بصفة مستقلة وقد بلغ عددها المائة، وللحفاظ على هذه الدفاتر من الضياع أمر بنقلها في أربع نسخ تكون موزعة على أربعة موظفين سامين، وأربعة مؤسسات تحفظ الأولى عند وكيل بيت المال والثانية عند شيخ البلد والثالثة عند قاضي الحنفية والرابعة عند قاضي المالكية[1]، كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة أشهر وعهد إلى المجلس العلمي المكنون من العملاء وصاحب بيت المال بالنظر في شؤون الأوقاف وفائضها في كل سنة على أن يستعمل الفائض في شراء عقار أخر يصبح يصبح بدوره وقفا وهكذا[2].

أما بالنسبة لوفاته فقد نقذ فيه حكم الإعدام صبيحة يوم الأحد 16 محرم سنة 1792م ودفن بالمدرسة الكتانية، ولا يزال ضريحه معروفا بها إلى اليوم، وهكذا حكم صالح بن مصطفى الزمير لي بايلك الشرق لمدة واحد وعشرين سنة من (1185هـ/1771م إلى 1207هـ/ 1792م) وتميز بالإقدام والمثابرة في مشاريعه السياسية والعمرانية والثقافية، وربما انفرد باهتمامه في التنظيم الإداري للمؤسسات[3].

- الباي محمد الكبير في بايلك الغرب(1192هـ-1797م/1211هـ-1796م):

اتسمت الحياة الثقافية والعلمية قبل تولي الباي محمد الكبير على إقليم الغرب بالجمود وذلك راجع إلى انصراف سكان هذا الإقليم إلى التجارة خاصة، والاهتمام بالشؤون الاقتصادية بشكل عام وذلك أن التجارة كانت تدر عليهم أرباحا طائلة إلى جانب أنهم كانوا يضمنون بواسطتها حصولهم على حاجياتهم اليومية، وهذا راجع إلى التدهور السياسي والتأزم الاقتصادي والتفكك الاجتماعي الذي عاناه بايلك الغرب خلال القرنيين (16-17 م).

وقد افتقر التعليم في كل حواضر البايلك إلى وسائل التشجيع والتنشيط المعنوي والمادي[4] وقد وجد ذلك في عهد الباي محمد الكبير، هذا الأخير يعتبر من أبرز البايات الذين ساهموا في خلق حركة ثقافية داخل المجتمع الجزائري ومن الذين اهتموا بالإنتاج

---

[1] فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1185هـ-1207هـ/ 1771-1792م)، دار بهاء، الجزائر، 2009م، ص9.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص229.

[3] عبد الجليل التميمي، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207هـ/ 1771- 1792م)، تح: فاطمة الزهراء قشي، ط 2، دار مداد، الجزائر، 2013م، ص11.

[4] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص570.

الثقافي خلال العهد العثماني من خلال إنجازاته الثقافية، حيث نمت في عهده حركة التأليف[1]هو محمد بن عثمان الكردي و يسميه العرب في الناحية الغربية محمد الأكحل لأنه كان أسمر اللون؛ وكان من رجال العلم والنزاهة وتحت رعاية إبراهيم باي فقد نشأ محمد نشأة صالحة، وأقبل على العلم والفروسية فنبغ في كليهما ثم زوجه إبراهيم باي ابنته وأشركه معه في أعمال الإدارة.

لما انتقل إبراهيم لولاية الغرب فأخذ معه محمد وولاه قائدا على قبيلته ثم رقاه سنة 1768م إلى منصب خليفة لهوبعد وفاة الباي تقلد الباي محمد الكبير منصب بايلك الغرب (1192هـ/ 1779م)، بتعين من الداي محمد عثمان باشا داي الجزائر،منذ تولية شؤون هذا البايلك ساهم محمد الكبير في النهوض بالحياة الثقافية وجعلها من أولوياته، وعمل على تقريب العلماء إلى ديوانه ومجالسه خاصة في الأعياد والمناسبات، وبدأ في تشجيع الثقافة وتنشيطها والاهتمام بأعلامها وفقهائها ومفكريها، حيث فاق نشاطه في ذلك ما كان في الناحية الشرقية وبالتالي كان نصيب معسكر وعلمائها من هذا الإصلاح الثقافي بمثابة الانتعاش والازدهار لهاته الحاضرة بفعل وسائل التشجيع المادي والمعنوي[2].

حيث كان في الأعياد يعم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمؤدبين والمدرسين، وكان يوجههم ويرشدهم إلى المناصب مثل أحمد ابن هطال قد شغل عدة مناصب سياسية، وكان مستشارا للباي وكاتبه الخاص ومبعوثه في المهام الخارجية، كما قام هذا الباي بوضع مرتبات للعلماء والمدرسين يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا لخطة أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وكثر طلبة العلم وتشوف كل أحد للتدريس واشتد الحرص على العلم[3]، وكان من أهل البلاغة واللسان الفصيح محب للعلماء والصلحاء[4].

---

[1] درعي فاطمة، العالم مصطفى بن زرفة الدحاوي ورحلته القمرية، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، ع 13-14، 2016م، ص150.

[2] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص571.

[3] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق،ص143.

[4] ابن عودة المزاري، مصدر سابق، ص289.

لقد عمل الباي محمد الكبير من أجل توطيد صلته بالعلماء أن قام بتشيد المدارس فقد أسس المدرسة المحمدية بجانب الجامع الأعظم وذلك تماشيا مع التقاليد الإسلامية كما هو الحال في تونس، باعتبار أن فكرة المدرسة المستقلة عن الجامع لم تكن تدور في خيال الباي محمد الكبير، وقد ضمت هذه المدرسة أساتذة أكفاء متفرغين لمهنة التعليم إلى جانب الآلاف من الطلبة، حتى وصفت بالمدرسة التي كاد العلم ينفجر من جوانبها، واتبع الباي محمد الكبير في معسكر طريقة مشابهة[1].

كما قام ببناء المسجد الأعظم الذي شيده باسمه وانفق عليه من ماله الخاص، وأوقف عليه أوقافا واسعة وألصق به مقبرة المسلمين ثم قام ببناء جنبه مدرسة فسيحة لتعليم العلوم العالية، ورتب لها أوقافا للمدرسين وعمرت بالعلماء والمتعلمين، كما شيد هذا الباي أيضا مسجد سيدي حسن أو مسجد المبايعة أو عين البيضاء نسبة إلى الحي الذي بني فيه والذي فرغ من بنائه في سنة 1781م، ورتب له خطيبا وإماما وأربعة مدرسين، ورتب لكل بيت في المدرسة ما يكفيه من لوازم وجعل لمقدم الطلبة راتبا معلوما، ولمن يصحح ألواحهم كذلك وكذا لمن يقرؤون الحزب، كما أعاد بناء المسجد العتيق بصفة عتيقة بعد أن وسع مجاله وكذلك تجديد جامع السوق وإضافة رواقات جديدة بديعة إليه[2]، وبعد فتح وهران شيد هناك عدة مساجد منها جامع الباي في خنق النطاح 1793م، والجامع الكبير أو مسجد الباشا سنة 1796م، وذلك بأمر من باشا الجزائر بابا حسن تخليدا لفتح وهران وجامع سيدي الهواري 1799م[3].

وكانت أشهر مدرسة تلك التي بناها الباي محمد في معسكر التي تعرف بالمحمدية حيث كانت من المعاهد العليا التي عرفتها الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني مثلها مثل المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي في قسنطينة، والمدرسة القشاشية في مدينة الجزائر غير أن سمعتها ومكانتها العلمية فاقت المدرستين الأخيرتين لأهميتها الوظيفية في تلبية حاجيات السلطة العثمانية من الإطارات والكفاءات العلمية المختصة، وكان يزودها بالمكتبات والكتب وتشجيع العلماء على التأليف[4].

---

[1] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص571.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، مرجع سابق، ص140.

[3] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص573.

[4] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص336.

وضف إلى ذلك تشجيعه لحركة النسخ والتأليف حيث كان يشجع على حركة الكتابة والتأليف[1]، حيث أمر محمد بن رقية التلمساني بالكتابة عن الحملة التي شنها أوريلي سنة 1775م، فتناولها هذا الكتاب في تأليف فسماه "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة"[2]، ويقول ابن رقية في هذا الصدد أنه ألف هذا الكتاب استجابة منه لطلب الباي كما أمر الباي أيضا مصطفى بن عبد الله بن زرفة بتدوين الأحداث التاريخية[3].

من جهة أخرى كان الباي حريصا كان حريصا على إحياء العلوم والفنون، فكان يجزل العطاء للعلماء والأدباء الذين يؤمنون ساحته من ذلك أنه أعطى مائة دينار ذهب إلى الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، لأنه لخص له في جزء واحد كتاب الأغاني ومنحه خمسين دينارا ذهب لكتاب في علم الطب واقتبسه من مؤلفات أخرى[4]، كما جمع الباي محمد في قصره جماعة من الناسخين المشهورين بجودة الخط كانوا يشتغلون بصفة مستمرة بنسخ الكتب وتعمير مكتبة القصر الخاصة ومكتبة المسجد العامة، وكان في أوقات الراحة يركن إلى مكتبته ويعتكف على المطالعة والدرس مطالعا العلوم العربية حافظا لجانب عظيم من أدب العرب متوسعا في علوم الدين[5].

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يقتصر الباي على تشجيع الحركة العلمية داخل البلاد فقط بل كان يمد طلبة العلم الملتحقين بالأزهر، ويبعث لهم سنويا إعانات ضمن الهدية التي التزم بها شيخ الإسلام الذائع الصيت الشيخ مرتضى الزبيدي، وقد تبادل معه بعض الرسائل في الموضوع ذكرها إبن سحنون الراشيدي[6]، إلى أن توفى إلى رحمة الله ورضوانه سنة 1796م، ولقد خلد تاريخه ومآثره العالم أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي في كتابه المشهور" الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"[7]، فقد كان من أبرز البايات الذين

---

[1] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص72.

[2] Alphonse Rousseau, el zohrat el nyerat, imprimerie de gouverment, alger, 1841, p1.

[3] محمد الأمين شرويك، مرجع سابق، ص572.

[4] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، مرجع سابق، ص141.

[5] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، مرجع سابق، ص142.

[6] ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص72.

[7] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، مرجع سابق، ص142.

ساهموا في خلق حركة ثقافية داخل المجتمع الجزائري، ومن الذين اهتموا بالإنتاج الثقافي خلال العهد العثماني من خلال إنجازاته الثقافية حيث نمت في عهده حركة التأليف.

2/:عوامل خارجية:

لقد شكل اختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات الوافدة من خارج البلاد، فنتج عن ذلك ظهور عدد من المدارس الدينية والفقهية التي انتشرت في أنحاء الجزائر لهم مراكز للثقافة العربية، فحمل المجتمع الجزائري على عاتقه نشر التعليم، متأثرا بعوامل خارجية التي ساهمت في ازدهار حركة التأليف في الجزائر العثمانية ومن بينها مايلي:

أ: هجرة الأندلسيين:

لقد كان اختيار الأندلس للمغرب الأوسط والإقبال عليه ليس على مبدأ الصدفة وإنما للعلاقة المتينة للغاية بين البلدين لدرجة أن حكام الجزائر وسكانها منذ قدوم الأتراك يعتبرون قضية الأندلس هي قضيتهم وأن مأساة الأندلس إنما هي كارثة حلت بالأمة الإسلامية.

حيث كان للهجرة في تلك الفترة أثر كبير على المجتمع الجزائري لكونهم احتكروا ميدان التعليم في الجزائر ولا سيما في الحواضر ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم إليها[1]، وهذا بشهادة الكثير من المصادر على ماحمله الأندلسيون أثناء هجراتهم إلى الجزائر من كتب كثيرة وفي شتى العلوم كما أضافوا أيضا إلى تحفيظ القرآن الكريم تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدارس بعضها، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته ونشر الأندلسيون خطهم الخاص بهم كما شمل التأثير الأندلسي أيضا ميادين النحو والأدب والعلوم والموسيقى[2].

فمدينة الجزائر مثلا كانت تعج بالكتب في أواخر القرن السادس عشر ميلادي خاصة كتب الأندلس، إضافة إلى المدن الأخرى أمثال بجاية، تلمسان، قسنطينة، ووهران...كل ذلك ساهم في بروز حركة التأليف[3]،وهكذا نصل إلى القول: بأن احتكاك الجزائر بالأندلس وهجرة بعض الأندلسيين إلى الحواضر الجزائرية وإعانتهم للحركة الثقافية بما حملوه من علوم

---

[1] عبد الرحمان الثعالبي، حياته وأعماله، تح: محمد فؤاد بن الخليل القاسمي الحسني، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص25.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص47.

[3] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1850م، مرجع سابق، ص59.

وآداب تعتبر من العناصر التي كونت الملامح الأساسية للشخصية الثقافية وساعدت على إبرازها في صورة خاصة كما ساعدت على رقيها وازدهارها فانتعشت حركة التأليف في الجزائر العثمانية.

ب:التواصل الثقافي بين الجزائر ودول المغرب والمشرق العربي:

إن الهجرة الجزائرية في حقيقة الأمر لم تكن وليدة العهد العثماني بل تعود جذورها إلى فترات أبعد من ذلك، حيث كان ذلك في شكل رحلات يقوم بها علماء الجزائر مع مختلف المناطق المجاورة، سواء المشرق أو المغرب العربي ولا سيما خلال القرن الثاني عشر هجري (18م).

كثيرا ما حتمت ظروف وأسباب عدة علماء البلاد على مغادرة أوطانهم والهجرة نحو البلاد العربية والإسلامية كالاضطرابات السياسية، والتعسف والظلم والنفي السياسي المسلط عليهم، وأحيانا أخرى لأسباب اقتصادية كتحصيل أرباح ومكاسب مالية، وتارة أخرى كانت الهجرة لدوافع علمية لتوفير الأقطار المقصودة على مغريات علمية من مراكز علمية ودور كتب كثيرة هذا فضلا عن ذلك التشجيع الذي يبذله حكام تلك البلاد للعلم والعلماء، ومن هنا كانت هجرة العلماء اتجاه الأماكن التي توفر لهم الظروف الملائمة لممارسة نشاطهم العلمي بكل فاعلية وأريحية[1]، ومن هنا ازدهر فن الرحلات ومن العوامل التي ساهمت في ازدهار هذا النشاط:

- استقرار الوضع السياسي خلال هذه الفترة مما ساعد على حرية التنقل دون خوف من مخاطر الطريق.
- ازدهار الحياة العلمية والأدبية ونشاط حركة التأليف بتشجيع من الحكام، ومن أبرزهم الداي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م) ومحمد الكبير بايلك الغرب (1779-1796م) وصالح باي (1771-1792م)[2].

[1] كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711- 1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، إشراف محمد سعيد عقيب،2013/2014م، ص99.

[2] حصام صورية، مرجع سابق، ص115.

فالرحلة تعتبر فنا من الفنون الأدبية الراقية التي اهتم بها العرب قديما وحديثا لما فيها من إخبار وغرائب ومشاهدات ومسجلات ومناظرات عاشها مؤلفوها[1]، فالرحلة نعني بها حركة تنقل يقوم بها فرد أو أفراد من مكان إلى مكان أخر لتحقيق مقاصد عديدة في الحياة سواء كانت علمية أو دينية[2].

تعتبر الرحلة في طلب العلم مظهرا من مظاهر الحركة العلمية والنشاط الثقافي وهي أحد أهم الأسس التي يرتكز عليها طالب العلم لاكتساب ملكات جديدة فلقاء أهم العلوم وتعدد المشايخ يفيده في تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم، فالرحلة العلمية هي تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ من علمائها[3].

وتميز العلماء والمثقفون الجزائريون عامة بكثرة التنقل إلى منابع ثقافتهم لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم فكانوا ينتقلون بين أرجاء الدول العربية والإسلامية مشرقا ومغربا لتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية، وكانوا يلازمون مشاهير العلماء والشيوخ في النوادي والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي، وبعد التحصيل يعود بعضهم إلى بلدهم لنشر علمهم ومعارفهم بين أبناء وطنهم، وهناك من كان يفضل البقاء والاستقرار بإحدى الدول الشقيقة يتقلد فيها منصبا معينا مثل التدريس والإفتاء والقضاء وغيرها[4].

انطلاقا مما سبق كان العلماء الجزائريون يستفيدون من العلم داخل بلادهم وفي حالة عدم توفر ما يبحثون عنه كانوا يرحلون للبحث عنه وطلب الأسانيد، كما أن الرحلة العلمية كانت سببًا في جلب أمهات الكتب وملأ خزائن المكتبات بنفائس المصنفات العلمية وفيها تحصل الملاقاة بأعيان العلماء ونبهاء الطلبة مما يرسخ المحبة فيتراجع العلماء في القضايا لا على وجه التضاد بل على وجه التناصح والتحاور وفيها يتعرف الطالب على اختلاف العادات وتنوع الأعراف ويستفيد من مناهج العلماء في التعامل مع تلك الأعراف والعادات[5].

---

[1] ابن زاكور، رحلة ابن زاكور الفاسي المسماة "نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011م، ص9.

[2] كوثر العايب، مرجع سابق، ص90.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص383.

[4] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص ص326-327.

[5] سليم بوتدارة، مرجع سابق، ص185.

أما الرحلة الدينية "الحجازية" فقد كانت إلى البقاع المقدسة بغرض أداء فريضة الحج أو العمرة[1] حيث كان الحج دافعا كبيرا لقيام المغاربة بالرحلة إلى البقاع المقدسة لأداء هذا الركن مرورا ببلاد الجزائر، إذ يتيح فرص اللقاء بين الجزائريين والمغاربة بما في ذلك مثقفي البلدين والاحتكاك بينهم وتلاقح أفكارهم والتداول في المسائل العلمية المطروحة على العلماء، وتبادل الكتب وتداولها وإنشاء الصدقات بينهم[2].

فشكلت محطة من محطات تواصل وترابط الشعوب المغاربة بعضها البعض من خلال المظاهر الإنسانية والأخوية والثقافية التي تتجسد أثناء هذا السفر الشاق والطويل إلى البقاع المقدسة، كما أنها فرصة سائحة لتلاقي وتعارف علماء ومثقفي المناطق الإسلامية من علماء البلدان المجاورة[3]، حيث يسمح لهم بالتبادل المعرفي وتلقي المزيد من التكوين العلمي واكتشاف التطورات والأنشطة الثقافية المختلفة بمختلف الأماكن التي يحلون بها، وكان أصحاب تلك الرحلات غالبا ما يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفاتهم التي تعرف بالرحلات الحجازية، فكانت تلك لرحلات تحتوي على المسالك والمحطات التي مر بها أصحابها وأسماء العلماء والصالحين الذين التقى بهم.

وتفيد تلك الرحلات المسجلة للباحثين في معرفة بعض جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لمعظم الأقطار التي توقف عندها صاحب الرحلة[4]، ومما تجدر الإشارة إليه إن الجزائريين الذين توجهوا إلى الجزيرة العربية خلال العهد العثماني لم يذهبوا إليها كجغرافيين أو مؤرخين وإنما توجهوا إليها حجاجا يؤدون الفريضة ويزورون البقاع المقدسة[5].

انطلاقا مما سبق يمكن القول أنه كان للرحلات التي قام بها الجزائريون إلى الإيالات المغاربية سواء كانت علمية أو حجية أو طلب للرزق أثر بالغ في نسج علاقات مختلفة مع

---

[1] محمد بن سمينة، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها بدايتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003م، ص61.

[2] عمار بن خروف، مرجع سابق، ص116.

[3] كوثر بلعايب، مرجع سابق، ص105.

[4] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص327.

[5] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1850م، مرجع سابق، ص72.

كثير من البلدان والشعوب وتعريفهم بمختلف الحواضر المغاربية وبالمسالك المؤدية إليها وكذلك بعلومها وأعلامها.

وهناك أيضا الهجرة الإجبارية حيث اضطر بعض العلماء والمثقفين الجزائريين إلى ترك بلادهم ليستقروا في إحدى الدول العربية أو الإسلامية، وقد تعود أسباب هجرتهم إلى الهروب من الأوضاع السيئة والتي تعود إلى تعفن الأوضاع السياسية وسطوة العثمانيين على المجتمع الجزائري وكثرة الفساد الإداري والاقتصادي، حيث اتبع بعض الحكام العثمانيين سياسة القسوة والعنف مع الجزائريين فاستبدوا بالحكم رغم أنهم دخلوا للجزائر بعد طلب سكان الجزائر الاستنجاد بهم مما أدى إلى زوال ثقة المحكوم بالحاكم وتغيرت نظرة الشعب للحكام[1]، وهنا وجد العثمانيون أمامهم فئة العلماء الذين رفضوا ذلك الظلم والتعسف واصطدم الطرفان واستخدم العثمانيون مختلف الأساليب والطرق التي خلفت الرهبة في نفوس هؤلاء العلماء، فما كان أمامهم سوى الهجرة إلى الخارج من أجل طلب ونشر العلم وتوسيع المؤلفات ولقاء العلماء والاستفادة منهم[2].

من هنا يمكن القول أن تلك الهجرات قد دلت على الطموح العلمي للمثقفين الجزائريين الذين ضاقوا ذرعا بالحالة الثقافية الخانقة في الجزائر بلا منازع واعتبرت الرحلات مصادر أساسية من مصادر التاريخ لاحتوائها على معلومات ذات قدر كبير من الأهمية، بل من أوفى المصادر وأوثقها وأشملها وهي نمط خاص من أنماط الكتابة التاريخية ومنهجا معينا من مناهج المؤرخين الجزائريين في العصر الحديث[3].

- مع دول المغرب الإسلامي:

جذب موضوع الصلات الثقافية بين أقطار المغرب اهتمام الباحثين خصوصا أن مجتمعات المغرب العربي اشتركت وتقاطعت في مجموعة من الموروثات الحضارية، ولعل أبرز هذه الموروثات تقاسمهم الرقعة الجغرافية وتجانس شعوبها في العادات والتقاليد والسمات اللغوية والثقافية والدينية لأفرادها، هذه القواسم المشتركة زادت من انتعاش التبادل

---

[1] عبد العزيز بومدين،الابريز والاكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري الجزائري -دراسة وتحقيق-، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، الجزائر، 2016/2017م، ص13.

[2] عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري -رحلة أبو رأس الناصري نموذجا-، مجلة عصور، الجزائر، ع 19- 20، 2015م، ص216.

[3] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني، مرجع سابق، ص189.

والتواصل الثقافي والمعرفي، وقدمت دلالات على أن العلاقات الثقافية ببلاد المغرب ظلت قائمة ومستمرة لم تؤثر عليها الظروف السياسية عبر التاريخ.

واستمرت هذه الصلات الثقافية والعلمية في فترة العصور الحديثة بواسطة انتقال طلبة العلم بين الحواضر الثقافية في هذا المجتمع المغربي الكبير[1]، فقد كانت تونس أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي التي يشد إليها طلاب العلم الرحال بغية الارتواء من منابعها العلمية[2]، كانت نقطة عبور إلزامية ودليل ذلك أن جل كتب الرحلات تحدثت عن هذه المدينة وعن علمائها ودورها الكبير في ازدهار حركة التأليف.

لقد كان جامع الزيتونة أهم مراكز التعليم في القطر التونسي على الإطلاق لهذا رحل الجزائريون إلى تونس لطلب العلم، كما اتصلوا بعلمائها أثناء ترددهم على المشرق ذهابا وإيابا لهذا رحل إليها الكثير من العلماء الجزائريين مثل أحمد المقري الذي أجاز عددا من علماء تونس حينما نزل مدينة سوسة 1618م أمثال الشيخ محمد تاج العارفين وساهموا في تنشيط الحركة الفكرية[3].

والأمر نفسه بالنسبة للمغرب الأقصى فقد تحدث عنه رحالة الجزائر وعن الحركة الثقافية فيه، ويعود هذا إلى المكانة العلمية وشهرة مراكزه التعليمية مثل جامعة القرويين التي كانت المركز الثقافي الأول في الغرب الإسلامي منذ تأسيسها على يد فاطمة الفهرية في بداية القرن التاسع الميلادي باستقطابها لوفود العلماء والشيوخ وطلاب المعرفة ليس فقط من المغرب الكبير وخاصة الجزائر وإنما أيضا من الأندلس وإفريقيا[4] ووفرة المكتبات ووجود

---

[1] ليلى غويني، التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع علماء المغاربة في العصر الحديث، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، ع 14، 2012م، ص213.

[2] كوثر العايب، مرجع سابق، ص91.

[3] محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م، ص58.

[4] محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب مابين سنتي 1830-1962م، تق: محمد كنبيب، ط 1، دار أبي قراق، الرباط، 2008م، ص29.

معهدا القرويين[1] ومدينة فاس لما كانت تحتله هذه المدينة من مكانة دينية وعلمية، كونها أصل الشرفاء الأدارسة ومنبر العلم والدعوة الإسلامية[2].

إضافة إلى استغلال السلاطين المغاربة لهجرة هؤلاء العلماء الجزائريين نحو بلادهم طمعا في استغلالهم علميا أو سياسيا كل ذلك ساهم في جلب علماء الجزائر إلى هناك، حيث استفادوا كثيرا من العلوم والمعارف وقاموا بنشرها في بلادهم عن طريق المؤلفات.

ومما يلاحظ أن الجزائريين تنقلوا شرقا وغرباطلبا للمعرفة ورجعوا متبحرين في شتى الفنون مما أفاد الثقافة في الجزائر، فكل من بجاية وقسنطينة وعنابة كانت زاخرة برجال العلم والأدب[3]، كما تجدر الإشارة إلى أن علاقة العلماء الجزائريين بأقرانهم في المغرب الأقصى كانت أكثر متانة مما هي عليه بينهم وبين علماء تونس رغم ازدهار الحركة العلمية بين القطرين[4]، ولعل ذلك راجع للعوامل التالية:

- التشابه القائم بين النظامين السياسيين في كل الايالتين الجزائرية والتونسية خاصة فيما يتعلق بالاضطرابات السياسية ومحاربة العلماء المعارضين للسلطة.
- عدم توفر تونس على نفس حجم المغريات العلمية التي تتمتع بها بلدان المشرق والمغرب الأقصى[5].

وهكذا تغذت الحركة الفكرية في الجزائر خلال الفترة العثمانية بعدة روافد ومن أهمها روافد الاحتكاك والتقاء العلماء ببعضهم البعض، والذي أسهم إسهاما كبيرا في الحركة الثقافية فقد أتاحت التبادلات العلمية رسم معالم حركة التواصل العلمي والمعرفي وبينت مدى أهميتها في التأثير والتأثر على الصعيد العلمي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص428.

[2] بوكعبر تقي الدين، دراسة وتحقيق مخطوط للعربي المشرفي في الرد على أبي رأس الناصر في قضية نسب أسرة المشارفة، مذكرة ماجستير في الدولة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519- 1830م، قسم التاريخ،جامعة وهران، الجزائر، إشراف فغرور دحو،2014/2013م، ص80.

[3] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983م، ص212.

[4] لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، مرجع سابق، ص175.

[5] كوثر العايب، مرجع سابق، ص99.

- مع دول المشرق العربي:

إضافة إلى حواضر المغرب العربي فقد كان المشرق العربي هو أيضا مركزا هاما لنشر العلوم بمختلف أنواعها وتلقينها أيضا ويعود إلى ذلك إلى ما يزخر به من مراكز علمية هامة كالأزهر والحرمين الشريفين، ولهذا كان العلماء الجزائريون يتحملون عناء السفر من أجل ملاقاة العلماء والأخذ عنهم أو التدريس فيها ونشر مؤلفاتهم هناك،وترجع أسباب انتقال الجزائريون إلى هناك للأسباب التالية:

- ملاءمة بيئته الدينية والثقافية واحتضانه لأهم الأماكن المقدسة الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس ولأكبر منارات العلم في العالم كالجامع الأزهر بالقاهرة، هذا الأخير الذي يعد من أهم المؤسسات التعليمية والعلمية في العالم الإسلامي لكونه أهم مركز في المشرق العربي خلال الفترة العثمانية، إضافة إلى جوامع أخرى في الشام والحجاز [1].

- كما سافر العلماء من أجل نشر التعليم ونشر صيته هناك مثل أحمد المقري التلمساني (ت1631) ويحي الشاوي (ت1685م)[2]، وخلال العهد العثماني كان العلماء الجزائريون يكثرون الترحال إلى المشرق خاصة الحجاز لإغراض دينية وعلمية، وكانت مصر من بين الدول المشرقية التي استضافت أكبر عدد من العلماء الجزائريين، وذلك لدور جامع الأزهر[3] كما شهد على ذلك رواق المغاربة بالأزهر، وكان أعلى منصب يتولاه العالم من علماء المغرب هو مشيخة المغاربة مقابل رواتب محترمة.

كما وفر هذا الرواق الظروف الاجتماعية اللائقة لعلماء المغرب عامة والجزائريين خاصة وبالتالي كان مؤسسة ثقافية اجتماعية[4] وهكذا فقد اتخذ العلماء الجزائريون بعد أن عرفت الحياة الثقافية ركودا في بلدان المغرب الأقطار المشرقية ولاسيما مصر قبلة لهم لكونها كانت منذ ظهور المذهب المالكي منبعا لمعظم المؤلفات المتداولة بينهم في الفقه

---

[1] حسام عبد المعطي، شيخ جامع الأزهر في العصر العثماني، مكتبو الإسكندرية، مصر، 2016م، ص16.

[2] حصام صورية، مرجع سابق، ص116.

[3] سعاد لبصير، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني، الملتقى العلمي الأول حول سيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009م، ص ص47- 48.

[4] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1850م، مرجع سابق، ص71.

المالكي، فهناك عدد كبير من العلماء والطلبة الذين زاولوا تعليمهم بالأزهر ومنهم من تقلد مناصب عليا كالتدريس والإفتاء[1].

كما كان الهدف من وراء الهجرة إلى المشرق العربي إضافة إلى أداء فريضة الحج هو الاتصال بكبار العلماء والأخذ منهم وإستجازتهم والرواية عنهم وحرص على الإسناد العالي كان من أهم واشد الدوافع أيضا[2]، وهكذا شكل الجزائريون وحدة متماسكة مع علماء الأزهر وتبادلوا العلوم فيما بينهم مما ساعد على ازدهار حركة التأليف، لذا تميزت الرحلة بكونها مرآة لمختلف مظاهر النشاط الثقافي للمغرب والمشرق وتجسدت أهم مظاهر الصلات الثقافية في:

- الإجازات:

كثيرا ما كان الطالب الراغب في الاستزادة من العلم يشد الرحال إلى كبار العلماء داخل الجزائر وإلى أشهر المراكز الإسلامية بالمغرب كالزيتونة والقرويين والمشرق كالأزهر وذلك في وقت لم تكن فيه الحدود السياسية تتحكم في تنقلات الأفراد، كما كان الجزائريون حريصين في أسفارهم على التعليم والتعلم فكانوا يتتلمذون أينما حلوا على أبرز العلماء إلى أن ينالوا سعة الاطلاع والتعمق في المعارف ويحصلوا منهم على إجازات في مختلف العلوم المتداولة آنذاك.

والإجازة في الأصل هي طريقة من طرق تحمل الحديث النبوي ثم عممت لتشمل إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مقروءاته أو مؤلفاته أو أشعاره[3]، وهي شهادة يمنحها الشيخ لتلميذه وتكون عادة بطلب من هذا الأخير وتسمى في المصطلح استدعاء وقد يكون الاستدعاء شعرا أو نثرا أو معا[4]، وتعتبر (شهادة كفاءة) أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها[5]، فهي إذن في تولي منصب ما كالفتوى والتدريس وغيره وعليه فإن ما يجمع أنواعها تحت مفهوم واحد هو أنها إذن في أمر يتعلق بالعلم وتقابلها اليوم الشهادات الجامعية وشهادة الكفاءة التي تؤهل حاملها للتدريس الفقه أوالمنطقأو

---

[1] أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص329.

[2] عبد القادر بكاري، مرجع سابق، ص195.

[3] الحسن شاهدي، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، الرباط، 2006م، ص142.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، مرجع سابق، ص54.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص39.

علم من العلوم الكثيرة أو تخوله حق الرواية وتلقين المعارف على الصورة التي تلقاها بها[1]، ويشترط أن يكون الشيخ المجيز من أعيان العلماء في عصرهم ومن أكثرهم فضلا وشهرة فلا يمنحها عالم مغمور لعدم إقبال الطلبة في الغالب إلا على فطاحل العلماء فالشهرة كانت مقياس لكفاءة العالم واعتراف له بالفضل والتقدم خاصة في العلوم التي يشتهر بها[2]وقد عرفت الإجازة تطورا كبيرا في العهد العثماني.

- المراسلات المتبادلة:

وطدت المراسلات بين العلماء والرحالة العلاقات العلمية وشكلت همزة وصل دائمة ومستمرة فكانت محورا أساسيا من محاور التفاعل الثقافي في مختلف المجالات وظلت تلعب الدور الفعال في مد جسور التواصل بين أقطاب العلم في مختلف الميادين.

حيث قدمت الرحلات الحجازية نماذج عديدة ومتنوعة من الرسائل لكون موسم الحج لم يساهم في دفع الحركة العلمية فحسب بل كان مجالا لتدعيم الروابط وتبادل الرسائل وأهم ميزة في هذه المكاتبات تنوع موضوعاتها مع طرح المسائل على بساط الأخذ والرد، كما أنها تشعرنا بالحرية الأدبية والقدرة المعرفية لمرسلها ومستقبلها لكون المراسلات بين العلماء تعد حجر الزاوية في دفع العلاقات العلمية والثقافية وتوسيع رقعتها وتعميقها وتتنوع هذه المراسلات بحسب الغرض المقصود من كتابتها وكانت تهدف عموما إلى التعاون العلمي وتبرز مدى تواصل العلماء المغاربة فيما بينهم وبين إخوانهم في المشرق إلا أنه ينبغي تمييز الأصناف التالية رسائل إخوانية وعلمية وترفيهية[3].

- الرسائل الاخوانية:

تعد الرسائل الإخوانية نوع أخر من نماذج التواصل العلمي والثقافي بين العلماء وتراوحت ممارستها بين عالم وأخر[4] وتكون هذه المراسلات بين الأصدقاء والأحباب والدافع لكابتها يتأرجح بين تقديم التهاني في المناسبات السعيدة (كالزواج أو ازدياد مولود أو تأليف جديد أو مواساة عند فقدان عزيز بتعزية تشد الأزر أو تكون للاستفسار عن الأحوال الشخصية وأحوال البلاد.

---

[1] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص34.

[2] لزغم فوزية،الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، مرجع سابق، ص19.

[3] ليلى غويني، التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين، مرجع سابق، ص222.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص188.

وعليه يمكن اعتبارها رسائل مجاملات والملاحظ في هذا النوع من الكتابات احتواؤها على نصوص نثرية وشعرية تعتبر نوادر أدبية تتسم بتقنيات في الأسلوب كما أنها تقدم معطيات تاريخية وثقافية هامة عن الفترة، ومن نماذج ذلك المراسلات المتبادلة بين أحمد المقري وعبد الرحمان أبهلول حيث تبادل معه الرسائل وهو بفاس عام (1026هـ/ 1671م) حيث بعث عبد الرحمان أبهلول برسالة نظمية يستفسر فيها عن أحوال فاس وصاحبه فيها كان مطلعها[1]:

أسائـــل عـن أحـوال حـــــلة فـــــأس *** صـديقا صـدوق القـــول خيـر مـــــــؤاس

فرد عليه أحمد المقري بقصيدة طويلة وأتم كلامه بنص نثري شرح له في كل الأوضاع التي مرت بها البلاد، بعد موت المنصور الذهبي وصراع أولاده على العرش وقضية الفتوى حول ثغر العرائش والقصيدة طويلة ومما جاء فيها:

ولا تذكـــرن أمر الــعرائــــش إنـــــه*** تميـــــد لـــــه الأعــــــلام وهــــــي رواس

وتعتبر هذه المراسلة ذات أهمية تاريخية، حيث أنها سلطت الضوء على الأجواء السياسية التي مرت بها فأس في هذه المرحلة الحرجة، وهناك رسالة التعزية من المفتي محمد ابن حسن إلى عبد الرزاق ابن حمادوش عند وفاة أحد أبنائه.

- المراسلات العلمية:

تحتل الرسائل العلمية أهمية بالغة في تغذية روافد الحركة الثقافية وتعود هذه المكانة إلى تنوع المواضيع والمسائل العلمية الواردة فيها حيث تطرح لنا القضايا الفقهية ومسائل التفسير والشروح النحوية كما تتطرق إلى القضايا العامة التي تهم الأمة[2]، وتنقسم إلى مراسلات فقهية وهذا ما نجده عند المقري حيث أكد فيها على تواصله العلمي وعدم انقطاع صلته بالجزائر وعلمائها وهو بالمشرق العربي متواصلا معهم عبر المراسلات التي دعمت الروابط الفكرية ونشطت الحركة الثقافية وكانت جسرا بين العلماء.

أما الرسائل الترفيهية لقد كان تداول الألغاز والتنافس في حلها نوع من الرياضة الأدبية يتعاطها الفقراء والشعراء على السواء ففي وقت انعدمت فيه أو كادت وسائل الترفية

---

[1] أحمد بن أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح احان عباس، مج 1، دار صادر، بيروت، 1988م، ص5.

[2] ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، إشراف الأستاذة: عائشة غطاس،2011/2010م، ص95.

والتسلية آنذاك، وكان اللجوء إلى التلغيز بالشعر إحدى هذه الوسائل وكان الملغز يعبر عن حادثته بالبيت أو الأبيات ولكنه لا يلجأ إلى القصيدة الطويلة وليس من الضروري أن ينظم الملغزون ألغازا جديدة فقد كان بعضهم يعود إلى كتب الأدب العربي ويأخذ منها نموذجا أو أكثر ويرسل به إلى زملائه فيعلمون فيه الرأي والذكاء محاولين الإجابة التي قلما تكون صائبة[1]،وهي أيضا فرصة لاستعراض القدرات الأدبية والذكاء في طرح اللغز والحذاقة في فهمه وحله وكان هذا النوع من الوسائل أكثر انتشارا بين العلماء وأهم وسيلة للتواصل.

- المجالس والمناظرات العلمية:

تعتبر المجالس والمناظرات العلمية من أهم المظاهر الايجابية التي ساهمت في إثراء الحركة الفكرية كما ساعدت على امتزاج عناصر المجتمع باحتكاك الفقهاء وأدباء العصر وامتد تأثيرها إلى معالم الحياة كلها.

كانت المجالس العلمية تقام في المساجد والزوايا وفي بيوت كبار الأعيان وكان العلماء يتبادلون وجهات النظر حول المسائل العلمية والدينيةالتي تهم الأمة الإسلامية بصفة عامة ومجتمعاتهم بصفة خاصة ولا شك أن مثل هذه المناظرات كانت تتيح الفرصة للتعرف على عدد كبير من كبار الفقهاء والأدباء والقضاة ورجال الفكر[2]، أما المناظرات العلمية فتعد من بين أبرز مظاهر النشاط العلمي وإظهار التفوق وسعة الباع العلمي لكل مناظر بحيث يفرغ ما في جعبته ليثبت أراء ومعارف رأيه وموقفه ليتفوق على رأي مناظرة في قضية معينة وانحصرت أغلبها حول المسائل الدينية[3]، إذن هي مظهر أخر لهذا التفاعل الثقافي والفكري، فكتب هذه الفترة غنية والمناقشات والمناظرات العلمية المختلفة في اللغة والأدب والتصوف وغيرها[4].

---

[2] فاطمة مقدم، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري، شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، إشراف الأستاذ: سكران عبد القادر، 2010/2011م، ص73.

[2] ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مرجع سابق، ص102.

[3] حساين عبد الكريم، مرجع سابق، ص91.

[4] الحسن شاهدي، مرجع سابق، ص145.

- المصنفات العلمية المتداولة:

تشكل المصنفات العلمية مؤشرات على المستوى العلمي وروافد تغذي الحركة الثقافية كما أنها توفر المناخ المناسب للتواصل بين الأفراد وأهل العلم.

إن النشاط الذي عرفته حركة تبادل الكتب وشرائها ونسخها هي من أهم أوجه التفاعل الثقافي بين بلدان المغرب والمشرق العربي،وقد ذكر الرحالة الجزائريون عددا لاباس به من عناوين الكتب التي اشتروها أو نسخوها وساهم كل ذلك في انتشار حركة التأليف في الجزائر العثمانية[1].

وختاما لما سبق يمكن القول أن حركة التأليف في الجزائر خلال العهد العثماني نشيطة فلا نكاد نجد عالما وله مجموعة من المؤلفات المتنوعة في مختلف العلوم المتداولة وخصوصا العلوم الشرعية وتمثل ذلك في مجموع الشروح والحواشي والتقاليد والرسائل وغيرها مثل احمد المقري ومؤلفه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" وعبد الكريم الفكون وكتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" وخصوصا بعد الفتح النهائي لوهران 1792م في عهد الباي محمد الكبير الذي كان يشجع في عملية النسخ والتأليف.

كما كان النشاط العلمي هو أحد مظاهر التواصل بين بلدان المغرب خلال العهد العثماني لهذا ساهم العلماء الجزائريون مساهمة كبيرة في التفاعل الثقافي خاصة في عصر انعدمت فيه وسائل الاتصال الحديثة، كل هذا ساهم في انتشار وتطور حركة التأليف في الجزائر العثمانية.

وهكذا فإن حركة التأليف ساعدت على رسم الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفتها الجزائر خلال الحكم العثماني، سواء من خلال تراجم لشخصيات سياسية والتاريخ للحوادث السياسية والاجتماعية والثقافية.

---

[1] ليلى غويني، التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين، مرجع سابق، ص229.

الفصل الثاني:
نماذج من مؤلفي القرن 18م وبداية القرن 19م

تعد الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر وخصوصا القرن (12هـ/18 م) وبداية القرن(13هـ/19م) مرحلة هامة في تاريخ الجزائر، حيث يعتبر المؤرخون هذه المرحلة الانتقالية من أحلك الفترات في تاريخ الجزائر، وذلك بسبب سيطرة الأوربيين على حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، وسياسة الحكام والسلاطين العثمانيين اتجاه الرعية وانتشار الرشوة والوشايات الكاذبة من جهة أخرى.

إلى جانب هذا شهدت البلاد سلسلة من الاغتيالات والانتقامات الشخصية والصراع على الحكم في أوساط الحكام العثمانيين، فقد كان الانقلاب على الحكام وعزلهم أحد السمات البارزة في المسار السياسي في الجزائر، ولعل من نتائج ذلك انتشار الفساد في الجهاز الإداري، لكن هذا لم يمنع من وجود نقاط ايجابية ساهمت في إعطاء دفع قوي لمختلف الشرائح الاجتماعية في أن تعبر عن رأيها ومشاركتها في كل ميادين الحياة المختلفة؛ مثل الجهاد في سبيل الله كما حدث مع استرجاع وهران من الإسبان (1206هـ/ 1792م).

كان فتح وهران عملية تحريرية كبرى تمت على يد الباي محمد بن عثمان الكبير مما دفع بعلماء وشعراء عصره إلى مدحه في حياته ورثائه بعد مماته، فبفضله استكملت وحدة البلاد وحدتها الترابية (الجغرافية) وذلك بتحرير وهران والمرسى الكبير نهائيا 1792م، فهذا العامل السياسي أثر في حياة الدول من جهة وفي حياة العلماء والأدباء من جهة أخرى على كتاباتهم وتوجهاتهم بطريقة أو بأخرى، فيصبح المؤرخ أو المؤلف يؤرخ لحدث ما انطلاقا من البيئة السياسية التي وجد فيها فيعبر بقلمه عن ذلك الحدث التاريخي الذي يراه مهما وله تأثيره الكبير على الحياة السياسية والاجتماعية والنفسية والأدبية في البلاد.

أما الحياة الاجتماعية والاقتصادية فكانت جد مضطربة باضطراب النظام السياسي وهو ما أدى إلى سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وتدني المستوى المعيشي، بسبب عدة عوامل تتمثل في انتشار الأمراض الأوبئة والأمراض الفتاكة مثل الطاعون؛ حيث أصبح كثير الظهور بفعل احتكاك الأسطول الجزائري بموانئ المشرق التي انتشر بها فكانت النتيجة هلاك عدد كبير من السكان.

كما عرفت الجزائر وباء1817م الذي دام ثلاث سنوات وعم جميع أنحاء البلاد، أما المجاعات فقد استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد، ويعود هذا إلى قلة المواد

الغذائية خاصة الحبوب مما دفع بالسلطة إلى استيرادها[1]، وظهور المجاعات وتناقص سكان الجزائر وغزو الجراد الذي تسبب مع الجفاف في أزمة غذائية انعكست مباشرة على الأمن الغذائي والوضع الصحي، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية مثل الزلزال العنيف التي شهدته البلاد خلال الفترة المذكورة كزلزال عام 1818م لمدينة الجزائر، وزلزال 1825م بمدينة البليدة، مما أدى إلى تخريب مدينة البليدة.

كما عرفت هذه الفترة تطبيق سياسية إخضاع القبائل بالدواخل عن طريق شن الحملات العسكرية الفصلية، وتشجيع الصراع بين الأحلاف والعشائر، فضلا عن انقطاع سبل الهجرة الأندلسية وانحصار أثرها في المناطق التي استقرت بها أثناء القرن (12هـ/ 18م)[2]، وجعلت من الأتراك طبقة حاكمة لها كل الحقوق السياسية والامتيازات الاقتصادية، في حين جعلت من سكان الجزائر الأصليين طبقة محكومة عليها؛ تقديم الضرائب والقيام بالواجبات المفروضة عليهم وقد ترتب عن ذلك فقر السكان وبؤسهم.

كل هذا أدى إلى كثرة الثورات والتمردات على الحكم العثماني فمن بين الثورات التي ظهرت ضد الحكم العثماني ثورة ابن الأحرش؛ والتي استطاعت الاستيلاء على سفينة صيد المرجان التابعة للشركات الفرنسية بالقالة في شهر جوان 1803م[3]، كما اتجه ابن الأحرش بجيشه نحو قسنطينة محاولًا اقتحامها لكن سكانها تصدوا له فاضطر للتراجع والاختفاء، وعندما بلغ أمر ثورة ابن الأحرش للباي عثمان توجه بجنوده إلى وادي الزهور بين مدينتي القل وجيجل، لكن السكان دبروا له مكيدة انتهت بموته هو وجنوده عام 1804م[4]، وهكذا تمكن ابن الأحرش بفضل ثورته من كسب العديد من الأتباع الذين ثاروا على الوجود العثماني وأضعفوه.

إضافة إلى ذلك عدة ثورات تزعمها رجال القبائل والطرق الصوفية ضد النظام العثماني منها: "ثورة درقاوة" التي ظهرت في أخر العهد العثماني (1802-1816م)[5] بزعامة

---

[1] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، مرجع سابق، ص55.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، مرجع سابق، ص31.

[3] زينب جعني، ثورة ابن الاحرش في بايلك الشرق 1800-1807م، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 18، 2015م، ص130.

[4] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974م، ص ص31-32.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص517.

الشيخ عبد القادر بن الشريف الدرقاوي هذا الأخير الذي يعود أصله إلى قبيلة كسالة البربرية وتعلم بمسقط رأسه ثم التحق بزاوية القيطنة القادرية لأخذ بعد ذلك توجه إلى المغرب الأقصى وأخذ عن علماء فأس، حيث استطاع مقدم الطريقة الدرقاوية بالجزائر عبد القادر بن الشريف الدرقاوي أن يجمع حوله قبائل الصحراء بهدف التحضير والاستعداد للحرب ضد الأتراك بسبب فساد الجهاز السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الجزائر أواخر العهد العثماني[1].

أما خارجيا فقد عرف العالم الإسلامي عدة تغيرات منها ظهور الدعوة الوهابية بقيادة محمد عبد الوهاب في الحجاز، وكذا الحملة الفرنسية على مصر والشام بقيادة نابليون بونابرت 1798م، وحملة اللورد اكسموث الأوربيين على الجزائر[2]، وقيام الثورة الفرنسية وما نتج عنها من أحداث مست جوانب مختلفة من الحضارة الإسلامية[3].

انطلاقا مما سبق رغم تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر خلال القرن (12هـ/18م) وبداية القرن (13هـ/19م)، إلا أنه في المقابل شهد هذا العصر انتعاشا ثقافيا حيث عرفت الجزائر بروز علماء استطاعوا بعصاميتهم وانقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة، مخلفين إنتاجًا أدبيًا غزيرًا ذا طابع سياسي وتاريخي وأدبي وديني وعلمي.

فعرفت الجزائر آواخر العهد العثماني بروز عدد من العلماء الذين ساهموا مساهمة فعالة في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، واستطاعوا بعصاميتهم ومجهوداتهم وانقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير عصرهم؛ ومن أبرز أعلام هذه الفترة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: محمد بن ميمون الجزائري(ت1159هـ/1746م):

1/: بيئته:

عرف عصر الأديب ابن ميمون الجزائري باضطراب سياسة الدولة العثمانية في الجزائر، وانقطعت عوامل التشجيع للحركة الأدبية فمال أصحابه إلى المدائح والأشعار

---

[1] بونقاب المختار، انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري، مجلة المواقف، الجزائر، ع 3، 2008م ، ص135.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص377.

[3] أبو القاسم سعد الله، محمد بن العنابي رائد التجديد الإسلامي، ط 2، الجزائر، 1990م، ص21.

الغزلية والأسجاع النثرية حتى جاء عصر الدايات، فتولى الحكم الداي محمد بكداش على عرش الجزائر سنة (1118هـ/1707م)، هذا الأخير كان عالم فقيه له دراية بعدة فنون من المعارف والفنون، وماهر في علم اللسان له ممارسة بعلم الناس وطريقتهم كان قد تصدر الإفتاء مرارا وتولى الخطابة ببعض جوامع الجزائر فوعظ الناس[1].

فرفع إليه الأدباء قصائد وخطبا نثرية، فأخذ الأدب يتقدم بها من حيث الكم، كما أخذت الحياة تدب في مفاصله من جديد ولمس فيه الخيال الرفيع والأسلوب الرائع . وفي هذه الأثناء لم تزل وهران تحت سيطرة الإسبان، فلم يرض الشعب بهذه الوضعية فذهبوا يستصرخون أولي الأمر ويحرضونهم على أخذها من يد العدو، وقد كان الشعراء في طليعتهم، فكان غزو وهران الشغل الشاغل للأدباء والعلماء[2].

فألف محمد بن ميمون الجزائري مقاماته التي بلغت ستة عشرة مقامة، وجعل كل مقامة عبارة عن فصل من سيرة الباشا وعماله أدبية المبنى واقعية المعنى[3]، وقد ذكر كثيرا من قصائد الشعراء المادحين المحرضين على الجهاد في سبيل الله؛ وهي قصائد تمدح الأمراء وتهنئهم ببطولاتهم وتنوه بجيوشهم.

2/: اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار الجزائري الدار حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي[4].

3/: مولده ونشأته:

نشا في مدينة الجزائر[5]، أما تاريخ مولده فغير معروف فمحمد بن عبد الكريم محقق كتابه "التحفة المرضية" لم يستطع إثبات تاريخ محدد، ويظهر لنا من رحلة ابن حمادوش أنه كان حيا سنة 1159هـ/ 1746م، وهو أديب ماهر يذهب الفتح بن خاقان، وقد قال عنه

---

[1] صالح فركوس، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الجزائر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع 71، 1986م، ص16.

[2] أحمد راجع، مقامات محمد بن ميمون الجزائري (ق 12هـ/ 18م)، مذكرة ماجستير في الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة أدررا، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، إشراف مشري الطاهر، 2009/2008م، ص26.

[3] محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص85.

[4] نفسه، ص11.

[5] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980م، ص113.

الجامعي (ت 1725م) رفيقه وهو حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري[1] وقد أهملت المصادر ترجمة هذه الشخصية كما سكتت عن تحديد زمان الولادة.

4/: تكوينه:

عاصر ابن ميمون الجزائري الداي محمد بكداش الداي محمد بكداش وصهره أوزون حسن ومن المعروف أن هذين الرجلين قد أمد الله في حياتهما حتى سنة (1122هـ/ 1710م)، إضافة إلى أنه قد عاصر زمرة من أدباء العصر والقطر وفقهائهما أبو عبد الله محمد الثغيري الجزائري[2].

كان ابن ميمون الجزائري مشاركا في جميع فنون عصره ويبدو أنه يغلب عليه التصوف الداعي إلى التسليم بما كان وسيكون، وأنه كان من فقهاء المقلدين مثلما كان عليه فقهاء العصر وجميع متصوفة ذلك الوقت، وقد كان ابن ميمون يميل إلى السياسة والدليل على ذلك أنه كان يمدح حاكما ويذم آخر، حيث وصف الداي مصطفى "اهجي" بالظلم والطغيان وسوء المعاملة ونهبه لأموال الرعية وظلمهم وإهماله لشؤون الدولة، وفي نفس الوقت يمدح الداي حسين خوجة الشريف الذي جاء بعد الداي مصطفى، ويصفه بأنه حليف الصواب ملازم الطهارة معجز ببيانه موجز في كلامه ولعلناكبر دليل على أنه ميال للسياسة كتابه التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية[3].

حيث تناول محمد بن ميمون في هذا الكتاب سيرة الداي محمد بكداش من حيث رأيه المصيب وأعماله المرضية وأرومته الزكية، وقد ركز على سيرته إبان توليته وحكمه، كما خصص جل الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران على يد هذا الداي وصهره أوزون حسن، والهدف من هذا تأليف محمد بن ميمون هذا الكتاب هو محبته الخالصة لهذا الداي ولسيرته المرضية[4].

---

[1] أحمد راجع، مرجع سابق، ص27.

[2] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني ولغاية 1850م، مرجع سابق، ص113.

[3] محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص13.

[4] نفسه، ص83.

وكذلك هناك قصيدة ابن ميمون في الحاج محمد خوجة ابن الداي "عبدي باشا" 1724-1732م في التهنئة بعودته منتصرا إثر حملة عسكرية قام بها في الغرب الجزائري ضد بعض الثوار[1]:

بشـــرى كما انبلـج الصباح البادي *** بقدوم مولانا ضحى الميلاد

في ساعة بركاتها فاضت على *** كل الورى من حاضر أو بادي

بالطالع الميمون في يوم بدا *** في مثله وجه الرسول الهادي

أكملت رحلتك السعيدة قاصدا *** في نظم شمل في سبيل جهادِ

أما شيوخه فلم يصرح بهم ماعدا شيخه أبي عبد الله محمد بن محمد الثغيري من خلال تهنئة هذا الأخير للداي بكداش على فتح وهران الأول سنة 1708م بقصيدة رجزية أي على بحر الرجز من ثمانية عشر بيتا 18 مطلعها:

الحمد لله الذي فتحا *** وهران على أيدي الرجال الصلحا

غلب على أدبه مسحة حفظ الأشعار والأسجاع كيفما كانت قيمتها من حيث المبنى والمعنى ،وامتاز أسلوبه بصدق العاطفة وأمانة الشعور وحقيقة الإحساس وتقصي الأخبار ونوادر الروايات والنزوح إلى تزويق الألفاظ وتكرار العبارات[2].

4/: وفاته:

توفى بعد (1159هـ/1746م) وقد تخصص في الفقه واللغة وهو واضع المنظومة الجزائرية في التوحيد[3].

ثانيا: عبد القادر المشرفي (ت1192هـ/ 1778م):

لقد ظهر بالناحية الغربية من البلاد علماء وشخصيات ساهموا مساهمة فعالة في تحريك عجلة الفكر العربي الإسلامي بعد ما أصابها نوع من الركود والجمود، فقد برز على الساحة الثقافية والفكرية علماء وفقهاء ورحالة عملوا على النهوض بالثقافة العربية الإسلامية عموما ومن أشهر هؤلاء عبد القادر المشرفي:

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص217.

[2] نفسه، ص14.

[3] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ- 1850م، مرجع سابق، ص113.

1/: اسمه ونسبه:

هو العلامة المحدث المسند الرواية زين العابدين أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن أحمد بن أبي جلال المشرفي الغريسي ثم المعسكري[1]، وعرف أيضا بسقط حيث يذكر عبد الحي الكتاني أنه لقب بهذا الاسم لضرب سبع له وهو راكب على فرس مجروحة فصار يعرف بسقط[2].

وأشار صاحب القول الأحوط إن كنيته هي ابن دح وأنه ولد بوهران وهذا ما أكده ابنه الطاهر المشرفي في حديثه عن كرامات أبيه قال: "ومن كراماته رؤية والده ليلة ولادته نورا خارجا من ضريح السيد عبد القادر بن المختار، وصار يعلوا ذلك النور ويمتد حتى دخل لداره بوهران فسمي ابنه باسمه"[3].

عرف المشرفي بالعالم المحدث الحافظ مسند المغرب الأوسط خلال القرن (13هـ/19م)[4]، ينتسب لأسرة المشارفة أشهر الأسر بالغرب الجزائري بحسبها ونسبها وبأدوارها التاريخية والاجتماعية والسياسية[5] هذه الأسرة العريقة في المجال العلمي والثقافي وحتى الجهادي، وتنتسب إلى مشرف بفتح الراء وكسرها، وهو ابن عبد الرحمان بن مسعود المقدم قاضيا لبعض ملوك بني زيان وهو من ذرية سيدي يوسف بن عيسى، وقد تربعت أسرة المشارفة على سهل غريس وتمركزت بمدينة معسكر، كان المشرفي أعلم أهل عصره ومن ألمع شخصيات زمانه ومن كبار المجاهدين حتى لقب بإمام الراشدية وشيخ الجماعة[6].

2/: مولده ونشأته:

ولد ونشا في قرية الكرط قرب ولاية معسكر ودرس على يد علماء المنطقة وبعدها عين مدرسا بمعهد الشيخ مصطفى بن المختار، وابنه محي الدين في زاوية القيطنة بوادي الحمام

---

[1] عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972م، ص6.

[2] عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عباس، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص577.

[3] بوكعبر تقي الدين، مرجع سابق، ص33.

[4] عادل نويهض، مرجع سابق، ص303.

[5] بوكعبر تقي الدين، مرجع سابق، ص22.

[6] المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، مرجع سابق، ص301.

مدة من الزمن وبعد ذلك أسس لنفسه زاوية ومعهدا علميا بمسقط رأسه الكرط[1] هذه الزاوية التي كانت تستقطب المريدين من كل الجهات.

لكن العربي المشرفي أشار بأن معهده هذا كان قريبا من معسكر بمكان يسمى"أبي العيونات"، وكان بمعهده مالا يقل عن 200 طالبا يعيلهم من ماله رافضا مساعدات السلطة[2] شارك في مقاومة تحرير وهران الأول، كما شهد أيضا عودة الاحتلال الاسباني لوهران سنة 1732م[3] وألف في ذلك رسالة شهيرة تحت عنوان "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران" كما عدد وندد بالقبائل المتعاونة معهم كقبيلة بني عامر[4].

أما تاريخ مولد عبد القادر المشرفي فغير معروف، ولكننا نعرف أنه شارك في تحرير وهران الأولى (1119هـ/ 1708م) وشهد عودة الاحتلال الإسباني لها سنة 1732م، وبالتالي يفترض أن يكون من مواليد نهاية القرن السابع عشر الميلاد.

3/: شيوخه:

كان المشرفي عالما تحريرا ومحدثا أمينا قرأ عن شيوخ كثيرين وأخذ عن فطاحل من علماء المشرق والمغرب نذكر منهم:

- محمد بن محمد بن عربي البناني المكي المالكي.
- علي بن محمد الميلي.
- الهادي بن محمد الحسني.
- محمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني.
- محمد بن حسن الميقاتيي الاسكندري المالكي[5].
- محمد السعيد القادري الملقب بدرويش.
- محمد بن عبد الرسول العطار المكي.

---

[1] بونقاب مختار، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنيين 18-19م، رسالة مكملة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، الجزائر، إشراف مكحلي محمد، 2016/2015م، ص135.

[2] بوكبر تقي الدين، مرجع سابق، ص35.

[3] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص62.

[4] أبو راس الناصري، لقطة العجلان، الدرة الأنيقة، في شرح العقيقة، تحقيق احمد أمين دلاي، مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، 2007م، ص99.

[5] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ص578.

- شمس الدين محمد بن علي الشنواتي.
- محمد صالح الرئيس الزمزمي المكي.
- مفتاح الدين بن حسام الدين البخاري[1].
- حسن بن علي القويسي.
- عبد القادر بن محمد.
- الحفاظ مرتضى.
- علي بن القادر بن المين.
- حسين بن مصطفى بن خليل التونسي.
- حمزة العلامة التونسي.
- محمد بن قاسم المحجوب التونسي[2].

كما أخذ أيضا عن العلامة أبي عبد الله محمد المنور التلمساني الكثير من الفقه والأصول وعلم الكلام والنحو والبيان، وأجازه وأتقن علوما جمة وأذن له أهل عصره كافة[3]، كما تتلمذ على علماء أجلاء منهم أبو راس الناصري المعسكري الذي وجد فيه الموجه والمشجع على التأليف والاهتمام بالتاريخ.

وكان عبد القادر المشرفي يعد محل تقدير وإجلال لدى تلميذه أبو راس الناصري حيث قال عنه العالم الرحالة المعمر أبو حامد العربي بن عبد القادر المشرفي: " كان حافظا حجة في السيرة النبوية لا يفوته فيها سؤال وإن أعضل، يحفظ البخاري متنا وإسنادا وكذا صحيح مسلم، أعلم أهل زمانه بالتاريخ وأنساب العرب العرباء وشيوخ المذهب، طأطأ له العلماء الرؤوس، حج واعتمر ولقي أشياخا أخذوا عنه وأخذ عنهم وفهرسته تشهد له بذلك"[4].

كما يصفه أبو رأس الناصري بقوله: "شيخنا ذو الرأي النير الصفي والمنصب الحفي والسر الخفي... أتقن علومًا جمة وبرع فيها وأذن له أهل عصره كافة، لاسيما سيرته الحميدة وعفته ونزاهته الفريدة، قليل التردد إلى الأمراء فضلا عمن دونهم من القواد والوزراء وناهيك

---

[1] عبد القادر المشرفي، مصدر سابق، ص7.

[2] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ص578.

[3] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته –حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت، ص53.

[4] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ص577.

من نزاهة ابتدعها حتى أنهم أن طرحوا عليه خلعة سنية نزعها كأنها لإمام الجنيد أو عمرو بن عبيد"[1].

كما يذكر أبو رأس الناصري بأن لشيخه عبد القادر المشرفي كرامات خارقة ومناقب رائعة من كراماته نذكر:

قال بينما أنا أمشي عند الشيخ أحمد أمعاز وإذا برجل لقيني أحمرا غليظا جافا كأنه من رجال قليعة فقلت له: من أنت؟ فقال: من الناس، قال: فقلت له: أنت من عفاريت الجن أرسلك السيد العربي بن بركان المهاجي إلى الحاج محمد بن مشرف لتضره. إذا به رجع ثورا عظيما وعدا عدو الفرس وأنا أنظر إليه وذنبه على رأسه حتى توارى عني بالأحاديث الصحاح ولقد أجاد ونصح وأملى وأصلح ..."[2].

ووصفه البيدري المعاصر له فقال: "أخونا ذو المناقب الفاخرة والمكارم التي تضمنها خير الدنيا والآخرة محقق ما خفي من مسائل المعقول ومدقق ما أشكل من أصول وفروع المنقول العالم الأنقى النقي التقي"[3].

شارك عبد القادر المشرفي على عادة علماء البلاد في حرب الإسبان بوهران والتحرير الأول لها عام (1119هـ/1708م) بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم، وقد بين تلميذه أبو رأس الناصري ذلك في معرض الحديث عم الظروف التي استرجع فيها الإسبان وهران عام 1144هـ بعد أن بقيت تحت يد المسلمين 45 سنة، قال: "لقد أخبرني شيخنا الأكمل وأستاذنا الأمثل خاتمة أهل التحقيق وعمدة أهل التوفيق الشيخ سيدي قادة بن عبد الله المشرفي شرف الله في جنان مكانه، وكان حاضرا لتلك الواقعة أن الكفرة لما تكامل عسكرهم في البر وبقى جل مددهم في البحر لم يعملوا صفا للقتال، ولم يطلبوا مجالدة الرجال، وإنما زحفوا البلد بجمبع الرجالة والفرسان وهم كهيئة الرحي في الدوران، بارودهم كرعد متصل، رصاصهم كمطر منهطل، لا يستطع أحد قربهم ولا يكر شجاع نحوهم، وإن الباي مصطفى بوشلاغم باي وهران وفاتحها مع محمد بكداش باشا (1119هـ/ 1708م) سقط في ذلك اليوم عن فرسه لشدة تحريضه على الجهاد وكثرة عَدْوه".

---

[1] أبوراس الناصري، فتح الإله، مصدر سابق، ص53.

[2] نفسه، ص53.

[3] بوكبر تقي الدين، مرجع سابق، ص35.

3/: موقفه من السلطة العثمانية:

مما تجدر الإشارة إليه أن عبد القادر المشرفي وغيره من علماء المشارفة كانوا ينفرون من السلطة ومن المناصب[1]، حيث يقول أبو رأس الناصري في حق شيخه عبد القادر المشرفي:... " قليل التردد إلى الأمراء فضلا عمن دونهم من القواد والوزراء ..."[2]، وقال عنه:"عرض عليه القضاء مرارا فلم يلتفت إليه ولا عرج عليه" .

فكان يرفض عطايا وهبات وهدايا البايات كما كان ينهى أقاربه عن تقلد المناصب، ومنها أن ابن عمه السيد عبد الله بن أحمد رجع كاتبا عند الباي فنهاه، ويمكن تعليل نفور عبد القادر المشرفي من السلطة العثمانية لعامل الزهد، إذ يقول أبو راس الناصر فيه: كأنه الإمام الجنيد أوعمر بن عبيد[3].

4/: وفاته:

ظل الشيخ عبد القادر المشرفي يحظى بتقدير طلبته وإجلال عامة الناس إلى أن وافته المنية رحمه الله يوم الخميس 10 رمضان سنة 1192هـ/1778م، بمسقط رأسه الكرط قرب معسكر[4]، وقد رثاه تلميذه الناصري بقصيدة رائية طويلة جدا جاء في مطلعها[5]:

لقد كان للإسلام كهفا وملجأً *** تراه في أقل الشؤون يبادرا

له الباع في كل العلوم بأسرها *** سريع الجواب ليس بضاير

فيا لو رأيته بدرسه جالسا *** وحوله حلقة الأسود الهواصر

كأنه قمر الأفق في غيهب الدجى *** من بين كواكب النجوم الزواهر

---

[1] بونقاب مختار، مرجع سابق، ص136.

[2] أبوراس الناصري، فتح الإله، مصدر سابق، ص53.

[3] بوكعبر تقي الدين، مرجع سابق، ص33.

[4] أبو راس الناصري، لقطة العجلان، مصدر سابق، ص100.

[5] أبو رأس الناصري، فتح الإله، مصدر سابق، ص55.

ثالثا: الحسين الورثلاني(1125_1193هـ/1713_1779م)[1]:

لم تكن حلقات الدروس العليا حكرا على الحواضر الثقافية الكبرى بل حظيت ببعض المناطق الريفية بقسط وافر من هذه الدروس، وتأتي في مقدمتها منطقة زواوة التي شهدت حركة فكرية نشيطة بداية من القرن (10هـ/16م) لعاملين أساسين:

– سقوط مدينة بجاية على يد الإسبان وخروج سكانها إلى المناطق الداخلية من بينهم العلماء، ومن المعلوم أنها كانت أحد مراكز الثقافة الكبرى في الجزائر طيلة العهود السابقة للعهد العثماني.

– تحول الزوايا المرابطية بالريف الزواوي إلى معاهد للتعليم، وقد سهلت هذه المباني الجاهزة مهمة سرعة انتشار التعليم ولم تتطلب وقتا طويلا لانطلاقها، فقصدها طلاب العلم من جهات مختلفة حتى المدن لمزاولة دراستهم بها، ومن الأسر العلمية الصوفية التي انتشرت في منطقة زواوة أسرة الورثيلاني التي أنجبت الحسين الورثيلاني[2].

1/: اسمه ونسبه:

هو الإمام العالم العامل العلامة الكامل الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتتبع لأثر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، الجامع بين المعقول والمنقول بحر الحقائق وكنز الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدرة العلماء العاملين حامل لواء الشريعة والحقيقة ومعدن السلوك والطريقة ذو التآليف المفيدة والتصانيف العديدة العالم الرباني، والقطب الصمداني والشريف النوراني الشيخ سيدي الحسين الورثلاني[3].

واسمه الكامل هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن يحي بن أحمد الشريف بن علي البكائي البجائي الحسني من شرفاء تافيلالت[4]، نسبة لبني ورثيلان قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية التابعة للجزائر[5].

---

[1] عبدالله نجمي، مساهمة في دراسة التصوف المغربي في القرنيين 16 و17م، بحث لنيل الدراسات العليا في التاريخ، شعبة تاريخ، جامعة محمد خامس، 1998م، ص19.

[2] لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، مرجع سابق، ص113.

[3] أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906م، ص133.

[4] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص196.

[5] أبي القاسم الحفناوي، مرجع سابق، ص133.

2/: مولده ونشأته:

ولد حسين الورثلاني رحمه الله تعالى عام خمسة وعشرين من القرن الثاني عشر (1225هـ/1713م)[1].

نشأ في قرية ارنوا قبيلة بني ورتيلان قرب بجاية من أسرة فقيرة دعامتها التقشف الصوفي وأساسها الصلاح والشرف العلمي، حيث كان جده ووالده من المتصوفة المدرسين، وذكر حسين أن والده كان افقه أهل زمانه[2].

جاء جده من ميلة وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قنزات وأصبح شيخ علم معترفا له، وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة حتى أنه بعد أن توفى أقيمت له قبة باعتباره من كبار المرابطين، وهكذا اجتمع في أصول الورثلاني الدين والدنيا، الدين عن طريق جده ووالده اللذين كانا أيضا من المرابطين، والدنيا عن طريق أخواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف[3]، ومنه الكرامات التي ظهرت على يد الجدّ:

أنه كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما أكثر من ثلاثمائة مرة وفي بعضها قال له عند تعلقه به[4]:

تطلع من علم الشريعة بعدما *** تظلع من علم الحقيقة ذرعا

3/: تكوينه:

تكون الحسين الورثلاني بعرش بني ورثلان وتردد كغيره من أطفال القرية على المدرسة القرآنية، حيث أخذ العلم عن والده[5] وحفظ القرآن الكريم وهو في سن مبكرة على يد الشيخ يوسف بن شبران، ثم تفرغ لدراسة علوم الفقه والحديث والنحو والصرف والعروض على

---

[1] الحسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج 1، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص6.

[2] لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، مرجع سابق، ص113.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص394.

[4] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص7.

[5] نفسه، ص7.

والده[1] وبعد أن شب ذهب يبحث عن العلم في مختلف الزوايا ومعاهد العلم بالقرقور (سطيف) وجرجرة ودلس والجزائر[2] عن طريق شيوخ القرية والزاوية الآخرين.

تزوج الحسين الورثلاني من امرأة تدعى عويشة تنسب إلى عائلة المسعود بن عبد الرحمان وعن ذلك يقول: "وقد زوجني سيدي بركات بنت سيدي محمد السعيد كما زوج أبو بكر رضي الله عنه بنته النبي صلى الله عليه وسلم عائشة من غير كلفة ولا مشقة"، وقد توفيت عويشة في تونس أثناء عودته من الحج[3]، بعدها تفرغ للعلم والتصوف على الطريق الشاذلية محاربا بقوة البدع المنتشرة التي نسبت إلى الإسلام.

كما دعا الحسين الورثيلاني إلى تعاليم ومبادئ الإسلام الصحيحة ليبدأ بعد ذلك رحلاته إلى المشرق العربي[4]، فحج ثلاث مرات الأولى وهو ابن الثامنة عشرة من عمره (1153هـ/1740م) والثانية وهو ابن الواحدة والأربعين من عمره (1166هـ/ 1752م)[5] والثالثة كانت (1179-1181هـ/1765- 1767م) أتمها في الرابعة والخمسين من عمره ولعلى هذه الحجة قد أثرت فيه تأثيرا كثيرا وخلفت لديه انطباعا طيبا.

أما الحجة الرابعة فلم يكملها قائلا عنها "وقد سافرنا يقصد الشيخ أحمد زروق إلى تونس نريد الحج فلم يتيسر لنا ولا له ذلك العام"[6] فجمعت هذه الرحلة بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج وأثمرت حصيلة ثقافية أتاحت له فرصة أن يعرف ويتعرف على عدد كبير من العلماء فارتفعت مكانته وذاع صيته ليس في بيئته فحسب بل في المغرب والمشرق معا.

وفي المدينة المنورة اجتمع بالشيخ الهماق صاحب الطريقة المشهورة، ودخل مصر القاهرة: "فوجدها طافحة بالعلم والعلماء نيرة زاهرة فكرع واستفاد وأخذ العلوم العالية عن أولئك كالأسود والأسياد فمن أخذ عنه الصعيدي والحفناوي والجوهري والنفراوي والعفيفي والسيد

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص44.

[2] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص65.

[3] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص395.

[4] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص198.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص395.

[6] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص198.

البليدي والملوي والصباغ والعمروسي وخليل الأزهري وعمر الطحاوي والزياتي والاشبيلي، وأبي القاسم الربيعي والهاشمي وابن شعيب الكردي والفيومي وأجازوه"[1].

ثم رجع من المشرق[2]، وقد سمحت له هذه الرحلات سواء داخل الوطن أو خارجه بتقوية شخصيته العلمية من جهة وأن يوسع ثقافته ومداركه وتجاربه ويحصل على زاد ثقافي واسع نفع به أبناء جيله من جهة أخرى[3] بعدها عاد إلى وطنه ليواصل رسالة التعليم والتأليف خصوصا في ميدان التصوف والدعوة إلى الله بنشر تعاليم الدين الإسلامي، مما ساهم في تحريك عجلة الفكر العربي الإسلامي والنهوض بالثقافة العربية الإسلامية عموما والجزائر خصوصا[4].

وغلبت على الحسين الورثلاني الروح الصوفية أكثر[5]، من الروح الفقهية ومع ذلك فقد كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن، فقد درس التصوف الروحي والتاريخ كما أخذ من علماء وفقهاء منطقة زواوة، وعنهم يقول "هؤلاء فقهاء مدرسون متبعون للسنة وقد ظهرت عليهم آثار الفضل وأنوار الحق مشرقة عليهم وقد صحبتهم وأحببتهم وشهدت من جميعهم ما يدل على ذلك[6]"، حيث كان الحسين الورثلاني يتوجه إلى بجاية في شهر رمضان من كل كل سنة قصد الرباط والتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد[7]، كما زار أيضا المسيلة وبسكرة وسيدي عقبة وسيدي خالد وتبسة وقسنطينة وعنابة للتبرك بالأولياء والصالحين والاستزادة ما أمكن من العلوم والمعارف، وزار تونس على أمل الذهاب إلى الحج ولكن لم يوفَّق فاغتنم الفرصة وتعرف على عدد من العلماء ودرس على البعض منهم.

4/: شيوخه:

من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم الورثلاني بوطنه:

- ولده محمد السعيد الذي حفظ القرآن الكريم على يده.

---

[1] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص8.

[2] أبو القاسم الحفناوي، مرجع سابق، ص134.

[3] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص45.

[4] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص198.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص394.

[6] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص198.

[7] لزغم فوزية، مرجع سابق، ص114.

- الشيخ أمحمد بت يحي الفقيه المفتي الحافظ للأنفال.
- الشيخ الحسين بن أعراب.
- الشيخ أحمد بن عمر[1].
- الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله.
- الشيخ يحي اليعلاوي.
- الشيخ أحمد زروق بن الشيخ العنابي صاحب المصنفات العديدة[2].

كما تتلمذ على شيوخ آخرين في مناطق متفرقة من وطنه ومنهم:

- الشيخ الموهوب.
- الشيخ أحمد بن عبد العظيم.
- العلامة الفاضل علي بن أحمد ذو الطريقة الناصرية الشاذلية، الذي تعلم الألفية عليه وعبد المالك.
- الشيخ محمد الذي قال في حقه:

بحر الندى والعلم من شيخ *** برز شيخ الحقيقة لدينا مكتنز
وجوده كعلمه فيما دنا *** من قطرنا على الذي به اغتنى
نار القرى وعلمه لم يستتر *** وشمسه مشرقة على الدرر

أما شيوخه خارج الوطن:

- الشيخ عبد الرحمان بن الصباغ الجزائري.
- أبو العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ السكندري المصري المالكي (ت1162هـ/1749).
- أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت1189هـ/1775م).
- أبو حفص عمر بن علي الطحلاوي المالكي المصري (ت1189هـ/1768م).

وفي تونس أخذ عنه عدد من الطلبة وفي صفاقس وقابس وتحاور مع العلماء والفقهاء والطلبة[3].

---

[1] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص17.

[2] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص45.

[3] نفسه، ص46.

وهكذا أصبح الورثلاني كجده ووالده من علماء المنطقة البارزين ومن الذين يدين لهم الناس بالطاعة الروحية والاحترام[1].

كما زار العديد من مناطق طرابلس الغرب حيث لعب دورا بارزا في الصلات العلمية والعلاقات الثقافية بين إيالتي الجزائر وطرابلس الغرب، فقد كانت له علاقات وطيدة مع علمائها منهم:

- المفتي محمد بن مقبل.
- الشيخ محمد البلغيني النوفلي.
- صديقه الحميم محمد الشريف.
- الشيخ عبد الكريم الزواوي الذي استدل الحسين الورثلاني بكلامه ومدحه على شرحه للوغليسية، كما اجتمع مع جماعة الفقهاء منهم:
- الشيخ عبد العزيز الصكلاتي.
- عمر السوداني.
- محمد العربي الفرجاني.
- مصطفى الخطيب.
- محمد بن عزوز.
- الشيخ عبدالرحمان المجدوب الخلادي وغيرهم[2].

5/: تلامذته:

ومن أبرز تلاميذه الذين تخرجوا عليه ولازموه ورافقوه حتى في سفراته إلى المشرق:

- الشيخ محمد بن الفقيه الذي أخذ عنه "صغرى السنوسي بحاشية المراكشي".
- الشيخ محمد السكلاوي الجزائري الذي قرأ عليه "كبرى السنوسي بشرح اليوسي" في أيام زيارته لقرية تدلس[3].
- سيدي عبد القادر بن أحمد.
- الشيخ يحي بن حمزة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص394.

[2] سالم بوتدارة، التواصل الثقافي بين الايالات المغاربية العثمانية، مجلة العلوم الإسلامية، الجزائر، ع 9، 2018م، ص194.

[3] فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، مرجع سابق، ص113.

- محمد بن عبد الله من زمورة.
- محمد الجوادي.
- محمد بن أخروف.
- أبو القاسم بن مدور من قرية ثفرق الذي تولى وظيفة القضاء ببجاية.
- ابن عمه الشيخ محمد الصالح[1].

حيث تولوا بدورهم وظائف دينية سامية، ومما قال العلماء فيه:

6/ وفاته:

بعد سنين طويلة قضاها الشيخ الحسين الورثلاني في خدمة العلم والدين التحق بجوار ربه في شهر رمضان عام ثلاثة وتسعين من القرن (1193هـ/1779م) وبعضهم قال عام أربعة وتسعين (1194هـ/ 1780م) فعلى هذا عاش المؤلف ثماني وستين أو تسعا وستين سنة[2] بمسقط رأسه ارنوا، ودفن في مقبرتها وما يزال قبره قائما يزوره الناس باستمرار ويتبركون به ويتذكر من خلاله ماضي هذه البلاد المشرق[3].

كان رحمه الله مجاب الدعوة شديد السطوة لا تأخذه في الله لومه لائم ليله قائم ونهاره صائم[4]:

تراه يصلي ليله ونهاره *** يظل كثير الذكر لله سائحا

رابعا: عبد الرزاق بن حمادوش (1107هـ-1695م/ت1200- 1786م):

مما يلاحظ أن حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني لم تقتصر على المؤلفات الشرعية والأدبية والصوفية بل تعدتها إلى مؤلفات علمية أيضا ومن أبرز العلماء الذين اختصوا بهذا الميدان عبد الرزاق ابن حمادوش.

1/: اسمه ونسبه:

هو أبو الحسن عبد الرزاق بن الحاج محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش عاش خلال القرن الثاني عشر هجري (18م)[1] الجزائري الدار الأشعري عقيدة المالكي مذهبا

---

[1] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص45.

[2] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص6.

[3] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص47.

[4] أبي القاسم الحفناوي، مرجع سابق، ص133.

الشريف نسبا وهو مؤرخ ونسابة وطبيب[2]، وهناك من رأى أنه لقب بالجزائري لأنه كان كثير الترحال وعاش بعيدا عن مدينة الجزائر[3].

وقد أثبت عبد الرزاق بن حمادوش نسبه الشريف وحرص عليه حرصا كبيرا، واعتبر ذلك من مقاصد الإسلام الكلية التي لا تستقيم الحياة بدونها وحفاظًا على مكانته وكرامته لم يفوت فرصة إلا وذكر فيها نسبه الشريف؛ ومنها تلك الشهادة التي يذكرها أحمد الورززي الذي كاتب القائم بمصالح الجباية بمرسى تطوان والذي تعرض لعبد الرزاق ابن حمادوش وطلب منه دفع المكس على سلعه يدعوه إلى عدم التعرض له قائلا:" إن هذا اجتمعت فيه ثلاث خصال كل واحدة منها لو انفردت لأوجبت عليك لا تتعرض له في شيء الأولى النسب فهو رجل شريف من آل بيت النبوة، والثانية أنه رجل عالم والثالثة قلة ذات اليد[4].

2/: مولدة ونشأته:

ولد عبد الرزاق ابن حمادوش في مدينة الجزائر سنة (1107هـ/ 1695م)[5] ونشأ بين أحضان أسرته في مدينة الجزائر، وتعلم بها العلوم الشائعة عندئذ وكان من أسرة متوسطة الحال تلقب بأسرة الدباغ لأن والده الحاج محمد الدباغ وعمه كما يظهر كان يشتغلان بالدباغة[6]، حيث كانت أسرته تمارس التجارة ولا تهتم بالسياسة والرياسة إلا قليلا[7].

فقد ابن حمادوش والده صغيرا فكفله عمه، حيث درس وأتم تعليمه الأول بوطنه، كما حصل على قدر كبير من العلوم الشرعية من معاصريه قراءة وإجازة في الفقه والأدب والتاريخ والتصوف، غير أنه كان ميالا للجانب العلمي فدرس العلوم الطبية والرياضيات والفلك ولهذه الميول العلمية التي ميزته واسترساله في الكتابة عنها، جعلت مؤلفاته ذات طابع مخالف لما شاع عند معاصريه، أي ما تعرف بعلوم العقل أو علوم النصارى[8].

---

[1] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م، ص9.

[2] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص222.

[3] رقية شارف، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص122.

[4] عبد القادر بكاري، عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص237.

[5] عبد الرزاق بن حمادوش، مصدر سابق، ص9.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص425.

[7] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص223.

[8] نفسه، ج 4، مرجع سابق، ص172.

وقد روي أنه درس تأليف القلصادي في الحساب وشرح محمد السنوسي على الحباك في الإسطرلاب والقانون والنجاح والطلاسم لابن سينا ومقالات إقليدس وشرح ابن الرشد على منظومة ابن سينا وتاريخ الدول للملطي وهو في أخبار العلماء والأطباء وكتاب السطي في ذوات الأسماء والمنفصلات وطالع عمل عبد الرحمان الفاسي في علم البونية[1].

كما مارس حرفة التجارة واشتغل ببعض الوظائف وعن ذلك يقول عن نفسه: "أنا عشاب وصيدلاني وطبيب في بعض الأمراض"، كما تقلد إحدى أهم الوظائف في الجامع الكبير في العاصمة وهي تدريس البخاري فهو موسوعي.

ويبدوا أن والده قد توفى وهو ما يزال صغيرا لأنه لم يذكره في عهد زواجه الأول ولا الثاني بينما ذكره في عقد زواج أخته.

وقد تزوج عبد الرزاق صغيرا من ابنة عمه فاطمة بنت الحاج أحمد الدباغ أوائل شعبان عام (1125هـ/1713م)[2] على عادة العائلات المحافظة ، وكانت أسرته على صلة بطبقة التجار والحرفيين في مدينة الجزائر، لذلك تزوجت أخته من عائلة تشتغل بالحرف والتجارة وتزوج هو مرة ثانية من زهرة بنت محمد الصفار أوائل شوال من عام (1153هـ/1740م) التي أنجبت له ولدين الحسن والحسين من عائلة تحترف صناعة النحاس وتلميعه .وبعد زواج عبد الرزاق من ابنة عمه ظل في رعاية عمه ومقيما عنده[3].

عاش عبد الرزاق بن حمادوش حياة مليئة بالفقر والضيق ولم يستطع أن يشق طريقه إلى الثروة والجاه كما كان يفعل المتصلون بالولاة وأرباب السلطة من العلماء، وقد كان الفقر سببا في شقاء زواجه أيضا حيث هربت منه زوجه الثانية وطلبت الطلاق، وفارقته أمه وأخوه ورغم محاولته الجمع بين العلم والتجارة إلا أن النجاح لم يحالفه، لأنه كان – كما قال– لا يفارق الكتب[4].

تنقل ابن حمادوش كثيرا منذ العشرينات من عمره في بلدان كثيرة فزار بلدان المشرق العربي في رحلات منها الأولى التي ابتدأها بأداء فريضة الحج سنة (1125هـ/1713م)

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص427.

[2] نفسه، ص224.

[3] نفسه، ص425.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص172.

والثانية (1130هـ/1718م) كما زار تونس[1]، ورحل إلى المغرب الأقصى سنة (1145هـ/1732م) وكذلك رحلة ثانية سنة (1157هـ/1743م)[2]، حيث درس هناك على عدة مشايخ في تطوان وفاس ومكناس وأجازوه، وجلس للتدريس بعض الوقت واشترى وطالع ونسخ الكتب الكثيرة، كما قام أيضا بتسجيل ملاحظاته وإجازاته وأحكامه ومشاهداته وعاين الثورات السياسية والعادات الاجتماعية والتطورات الاقتصادية في المغرب، ووصف وكتب عن كل ذلك[3].

وبعد أكثر من عام عاد ابن حمادوش إلى وطنه وقد اكتسب علما غزيرا[4]، كان عبد الرزاق بن حمادوش شديد الملاحظة فكان لا يترك فرصة تفيده علما جديدا إلا اغتنمها، فقد تعلم صنع البارود وضرب المدفع في مدينة الجزائر من أهل الاختصاص، وحين جمع قاموسه في الأعشاب كان يذكر بيئة كل نبات وأسماء الأعشاب عربية كانت أو غير عربية[5].

وخلال عمره الطويل عاصر ابن حمادوش أحداثا هامة في بلده وفي العالم، فقد عاشت الجزائر في عهد الدايات الذي يعد أطول فترات الحكم في الجزائر الحديثة (1671-1830م) استقرارا نسبيا وخاصة منذ استقلالها عن الدولة العثمانية سنة 1711م، كما عاصر تسلط اليهود الاقتصادي وخصوصا اليهود المهاجرين في أوروبا (ليفورنيا بالذات)[6] وانحسار موجة غنائم البحر وبعض الغارات الاسبانية على الجزائر من غارة اوريلي سنة 1775م[7]، كما شاهد بعض الثورات الداخلية مثل ثورة أهل زواوة على قائد سيباو، وتحدث عن توقيع الصلح بين الجزائر والدنمارك[8].

أما على المستوى الخارجي فقد شهد الحرب الأهلية بالمغرب الأقصى حتى كاد يذهب ضحية لها، ولاشك أنه شهد أيضا بعض الحروب التي جرت بين حكام الجزائر وتونس،

[1] مصطفى ماضي، معلمة الجزائر -القاموس الموسوعي-، دار القصبة، الجزائر، 2008م، ص17.

[2] عادل نويهض، مرجع سابق، ص365.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص ص 426-427.

[4] نفسه، ص427.

[5] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، مرجع سابق ، ص172.

[6] عبد الرزاق ابن حمادوش، مصدر سابق ، ص9.

[7] نفسه، ص10.

[8] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص224.

وهكذا عاصر ابن حمادوش تطورات اجتماعية وثقافية، ساهمت في تكوين شخصيته العلمية سواء داخل الجزائر أو في خارجها مثل المغرب، كما أنه سخر حياته للنسب الشريف والعلم بدل الجاه والسياسة والمال[1].

3/: شيوخه:

يذكر ابن حمادوش شيوخه الذين أخذ عنهم العلم بمزيد من الإجلال والإكبار والتعظيم والذين يعتبرهم سنده، فقد رتب قائمة مُرتبة ترتيبا عدديا لشيوخه وذكر ما قرأ عليهم ومن أجازه منهم ومدة ملازمتهم وكل ذلك تبركاتهم ومن بين شيوخه ما يلي[2]:

- الشيخ محمد بن ميمون.
- الشيخ أحمد بن عمار.
- المفتي الشاعر ابن علي.
- الشيخ عبد الرحمان الشارف.
- الشيخ أحمد الزروق البوني.

وعدد أخر من المفتيين وأصحاب الجاه كمحمد بن الحسين إضافة إلى:

- الحاج محي الدين الزروق.
- عبد الرحمان المرتضي.
- محمد المسينسي[3].

وممن قرأ عليهم عبد الرزاق بن حمادوش في المغرب وأجازوه:

- أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الشهير بالبركة أبي محمد سيدي عبد القادر أمحمد البناني الفاسي (ت 1116هـ/1705م).
- أبو الفضل أحمد بن العربي بن محمد بن الحاج السلمي المرداسي الفاسي (ت 1109هـ/1698م) وهو ثاني شيوخ عبد الرزاق ابن حمادوش الذين نالوا شرف كرسي الحديث وكرسي التفسير على أول عهد العلويين، فقد كانت مجالسته بمدرسة الخصة ومدرسة العطارين وجامع القرويين الذي كان يدرس به صحيح البخاري[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص225.

[2] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص226.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص225.

[4] عبد الرزاق ابن حمادوش، مصدر سابق، ص42 .

- أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي ثم الفاسي المالكي (ت1166هـ/1753م)[1].
- أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بردلة.
- الحسن بن مسعود اليوسي حيث قرأ عليه صحيح البخاري من أوله إلى أخره وحضر مجلس درسه لحاشيته على المختصر المنطقي[2].

وتتلمذ في الطب على عبد الوهاب ادراق طبيب السلطان إسماعيل وأولاده، كما درس على الشيخ محمد زيتونة التونسي[3].

4/: تلاميذه:

لا يذكر ابن حمادوش تلاميذه مثلما يذكر شيوخه الذين خصص لهم حيزا كبيرا في مؤلفه، وممن ذكرهم من تلاميذه:

- عبد الله جنان والذي درسه روضة الأزهار.
- محمد الحنفي قاضي مدينة قسنطينة قدم إلى مدينة الجزائر زائرا فدرس على يد الشيخ ابن حمادوش[4].

وهكذا يعتبر عبد الرزاق بن حمادوش من إنتاج القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، الذي عرفت فيه الحركة الثقافية نشاطا ملحوظا، ولكن ثقافة ابن حمادوش كانت تقوم أساسا على عنصرين هامين: الأول الرحلة والثاني قوة الملاحظة والتجربة[5].

ومما قيل فيه من العلماء نجد صاحب كتاب "الزاوية الدلائية" في موضعين يكاد خطاهما يتوازيان ما يلي: "العلامة الكبير الأديب البارع المؤلف الشهير كان أعجوبة الزمان في القدرة على الكتابة المشجعة المنمقة وقرض الشعر المحلي بأنواع البديع، كما كان فقيها محدثا... إلى أن يقول: "الحفاظ ثلاثة حافظ ضابط ثقة وحافظ ضابط غير ثقة" وحافظ لا ضابط ولا ثقة "، ويرتب ابن حمادوش من الصنف الثاني[6].

---

[1] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص227.

[2] عبد الرزاق ابن حمادوش، مصدر سابق، ص45.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص426.

[4] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص234.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص426.

[6] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص225.

5/: وفاته:

عاش عبد الرزاق بن حمادوش حوالي تسعين سنة و توفي في مكان وتاريخ مجهولين[1] ولكن أغلب الباحثين حسب المؤرخ المحقق أبو القاسم سعد الله يكتبون بأن الوفاة قد أدركته بالمشرق بين سنوات (1197هـ-1200هـ/1783-1786م)[2].

خامسًا: أبو رأس الناصري (1150هـ-1737م/ ت1238هـ-1823م):

عرفت الجزائر أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاد بروز شخصية علمية تركت بصمتها الواضحة وفرضت وجودها القوي، سواء بتاريخها أو بما خلفته من إنتاج علمي يستحق الاهتمام والدراسة وهذه الشخصية متمثلة العلامة أبو رأس الناصري، فهو عالم موسوعي جمع بين العلوم الشرعية واللغوية والعقلية والتاريخية.

1/: نسبه ومولده:

هو العالم والفقيه والإمام الحافظ وشيخ الإسلام والمؤرخ الجزائري الحافظ محمد أبو رأس بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الراشدي المعسكري، صاحب المصنفات الشهيرة والتحقيقات الغزيرة .

يتصل نسبه بالحسن المثنى بن الحسن بن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين[3]، ولد عام 1150هـ الموافق لـ1737م بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري بين جبل كرسوط وهونت[4].

ويقول الناصري عن مولده "ولما ولدت بالموضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي الذي كان أن يكون كالجيلي شيخ بعض شيوخي الشيخ علي بن موسى اللبوخي، فبارك علي وأخبر بغيب خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح وغنى وحفظ وإصلاح، وشيخ طلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف، كما أخبرتني

---

[1] عبد الرزاق بن حمادوش، مصدر سابق، ص9.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص425.

[3] محمد أبو راس، الإصابة فيمن غز المغرب من الصحابة، تقديم احمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010م، ص11.

[4] أبو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، تح: بن عمر حمدادو، مركز البحث، الجزائر، ص9.

الحرة التقية الصالحة الولية"[1]، ولأبي راس أخوان هما عبد القادر بن عمر والأخت اسمها حليمة.

لقد جاء في وصف أبي رأس: "أنه متوسط القامة ليس بالطويل، ولا القصير، نحيف الجسم، أبيض البشرة، خفيف اللحية، صغير العينين، طويل الأنف، كبير الرأس، ولعل كنيته أبو رأس قد ألصقت به لذلك،[2] وقد أشتهر أبو رأس بلقب الحافظ، وذلك لذاكرته القوية وعلمه الغزير، وحافظته العجيبة وسرعة حفظه، ويعتبر من المؤرخين المعتمد عليهم الذين سموه بهذا اللقب، الشيخ عبد الحي الكتاني المؤرخ الكبير حيث سماه "حافظ المغرب الأوسط ورحالته"[3].

وقال عنه أيضا محمد الحفناوي "ودرس وأفاد ورفع منار العلم وأشاد، وكان يدعى في زمانه بالحافظ لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسائله حتى كان العلوم بين يديه" واكتسب أبو راس الناصري ثقافة واسعة بانكبابه على المطالعة واتصاله بالعلماء ومواظبته على العلوم، ساعدته على ذلك حافظته القوية حتى عرف "بحافظ المغرب الأوسط"، قيل أنه اشتهر بأبي راس لضخامة رأسه أو لكثرة وسعة معلوماته وسرعة حفظه[4].

2/: النشأة والتكوين:

نشأ أبو رأس في بيئة قاسية حيث ذاق خلالها مرارة الجوع والفقر وألم اليتم ومارس الشحاذة ومشى بين الناس أكثر من عشر سنوات حافي القدمين عاري البدن وغسل ثياب غيره حيث كتب يقول: "قد استمررت عشر سنين عريان لا لباس لي إلا خرق كالعدم، وما لبست نعلا إلى أن أقرب صومي ولما قدرت على السعي صرت أطلب من البيوت ثم أبيع وأكتسي"[5].

فقد ماتت والدته بسهل متيجة ودفنت هناك، وبعد موتها رحل والده الشيخ أحمد إلى منطقة مجاجة بالشلف، واعتكف على قراءة القرآن وتعليمه للرجال والصبيان[6] وتزوج بعدها

[1] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص9.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص378.

[3] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ص150.

[4] أبو القاسم الحفناوي، مرجع سابق، ص167.

[5] محمد أبو راس، الإصابة فيمن غز المغرب من الصحابة، مصدر سابق، ص 13.

[6] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص19.

نساء أخريات وتوفى ودفن بأم الدروع[1]، وعلى إثر وفاة والده تكفل به أخوه الأكبر ابن عمر ومعه أخاه عبد القادر، وارتحل بهما إلى المغرب الأقصى أين حفظ أبو رأس القرآن الكريم وأتقن أحكامه على يد الشيخ ابن أزقاق والشيخ الطاهر بن عمرون المغراوي وغيرهما.

ورغم ظروفه القاسية إلا أنه لم ينقطع عن العلم ورحل إلى المشايخ طلبا في علو الإسناد[2]، وبعد عودته من المغرب الأقصى اتجه أبو رأس إلى منطقة القيطنة لقراءة الفقه على فقهاء أم عسكر، ثم انتقل إلى مازونة حيث كانت مركز إشعاع علمي وثقافي وديني كبير تلقى فيها العلوم الدينية واللغوية، حيث قرأ للطلبة الفرائض ثم انصرف من مازونة وقدم إلى أم عسكر حيث تلقى مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية[1]، على يد عالمها عبد القادر المشرفي المعسكري الذي كان يدرس بعواجة وقد أعجب هذا الأخير بتفوق أبي رأس، وحج أبو رأس إلى البقاع المقدسة مرتين في عام 1204هـ وفي عام 1226هـ فمكنه من معرفة البلدان العربية الإسلامية بعلمائها وإنتاجها الفكري[3].

وامتاز أبو رأس بقوة الحفظ واشتهر بعلمه وذاع صيته، فأدرك بايات معسكر مرتبة الاجتهاد الفقهي التي بلغها وأنه يفتي بالمذاهب الأربعة فقلدوه الفتوى والخطابة والقضاء بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام 1205هـ/1791م، لأن حكام الأتراك كانوا حريصين أشد الحرص على تعيين القضاة بأنفسهم ولكنه لم يكن متحمسا لها كما تحمس للتدريس من قبل، فهو يعلم تمام المعرفة ثقل المهمة من جهة وشغل القضاء له عن التأليف والتصنيف من جهة ثانية، كل ذلك أهله للتدريس والإفتاء والقضاء، وقد اعتقد أبو رأس الناصري أن مثل هذه المناصب تدفع أصحابها من ذوي الضمير الحي والأخلاق الفاضلة إلى البحث في علوم شتى قصد التحكم في التحديات التي تفرضها طبيعة الوظائف السابقة الذكر، وبالأخص وظيفة المفتي[4].

---

[1] محمد أبو راس، الإصابة فيمن غز المغرب من الصحابة، مصدر سابق، 13.

[2] بوكعبر تقي الدين، مرجع سابق، ص89.

[3] محمد أبو راس، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تح: أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، 2007م، ص9.

[4] بن عتو بلبروات، التراث المخطوط لأبي راس الناصري، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، ع 5، ص80.

3/: شيوخه:

يعتبر أبو رأس الناصري شخصية علمية فذة تتلمذ مثل غيره من علماء عصره على يد عدة شيوخ كان لهم الفضل الكبير في التأثير في ملكته الفكرية والمعرفية، حيث أجيز وأجاز كما كان لهم دور بارز في بروز هذه الشخصية التي استطاعت بذكائها وكتاباتها التاريخية أن تحظى باهتمام الحكام في عصره، والمؤرخين والباحثين من بعده وجعلته علامة ومحققا في كثير من الفنون والعلوم في الجزائر[1]، ومن أبرز شيوخ وعلماء أبو رأس الناصري الذي بلغ عددهم حوالي واحدا وأربعين عالما، نذكر على سبيل المثال[2]:

- **والده الشيخ أحمد بن أحمد:** هو الشيخ أحمد بن أحمد بن الناصر الذي أخذ عليه أبو رأس الناصري معظم المصحف الشريف بداية من سورة الإنفطار إلى غاية مطلع الآية 253 من سورة البقرة والتي مطلعها (تلك الرسل) من سورة البقرة[3].
- **الشيخ عبد القادر المشرفي:** ولد ونشأ بقرية الكرط قرب ولاية معسكر، كان له دور في تمكين أبو رأس الناصر من معرفة البلدان العربية الإسلامية بعلمائها وإنتاجها الفكري[4].
- **الشيخ العربي بن نافلة:** هو الشيخ العربي بن نافلة صاحب الأصول والفروع الذي أفنى عمره بين تلاوة القرآن ودراسة العلم، قرأ عليه مختصر خليل ثلاث ختمات في ثلاث سنوات، كما درس أبو رأس على يد ابنه أحمد بن نافلة فكان يفهمه كل ما أشكل عليه فهمه في مجلس أبيه[5].
- **الشيخ محمد الصادق بن افغول:** كان من أجل شيوخ أبي راس خبيرا بعلم الشريعة جامعا بين العلم والدين صاحب مدرسة مازونة الشهيرة، والذي يقول عنه أبو راس "كان جامعا للفنون وعلومها بارعا في معرفة الحديث على أهله ومنفردا بهذا الفن النفيس في زمانه".

---

[1] أبو راس محمد بن أحمد الناصري، نبا الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تق: محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، 2012م، ص15.

[2] أبو راس الناصري المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مصدر سابق، ص10.

[3] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص42.

[4] محمد أبو راس الناصري، الدرة الأنيقة، مصدر سابق، ص9.

[5] أبو راس الناصري المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مصدر السابق، ص11.

- **الشيخ القاضي عبد الرحمان التلمساني:** هو الشيخ محمد بن عبد الرحمان التلمساني القاضي من نسل عالم المذاهب الأربعة الشيخ أحمد بن الحاج المناوي، رحل إلى مصر أخذ عن الشمان ومحمد الكردي[1].

- **الشيخ محمد بن جعدون:** قاضي مدينة الجزائر وهو شيخ الجماعة بمدينة الجزائر.

- **الشيخ المفتي أحمد بن عمار:** حيث اشتغل بالحديث والتاريخ ولد ونشأ بمدينة الجزائر، وولى الإفتاء بها له الرحلة الحجازية وغيرها من المؤلفات[2].

- **الشيخ محمد الأمير:** هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير المالكي الجزائري الأصل من مازونة، المصري الدار الأزهري شيخ من شيوخ المالكية بمصر المتوفي سنة(1232هـ/1816م) وأجازه عدة مشايخ.

- **الشيخ محمد بيرم:** هو الشيخ محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم الحنفي التونسي، قام مفتيا للمذهب الحنفي في تونس خمس وأربعين سنة من مؤلفاته "رسالة الساسات الشرعية "[3].

- **الشيخ محمد بن الفكون:** هو الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون أديب نحوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن كان عالم المغرب الأوسط في عصره.

- **العالم محمد مرتضى الزبيدي:** أبو الفيض الإمام مرتضى، الصالح الصوفي، الحبر الحنفي، الحافظ المحقق الكبير الواعظ الفقيه المفسر المحدث وهو عالم مصري، وقد أطلق عليه أبو رأس اسم الحافظ وجمع ما تلقاه على يد الزبيدي في كتاب أسماه "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"[4].

وقد اشتهر العلامة أبو رأس الناصري بإطلاعه العميق ومعرفته الواسعة لمختلف العلوم الدينية واللغوية والأدبية، حيث سمحت له ثقافته الواسعة واتصاله بالعلماء عن طريق الرحلات مما جعله حافظ المغرب الأوسط ومن الذين أجازوه في مختلف الفنون:

- الشيخ مرتضى الزبيدي أجازه في صحيح البخاري والجامع الصغير والأسانيد والفتوى ومختصر خليل.

---

[1] أبو رأس الناصري، لقطة العجلان، مصدر سابق، ص101.

[2] أبو راس الناصري، زهر الشماريخ، مصدر سابق، ص11.

[3] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ص242.

[4] محمد أبو رأس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص57.

- الشيخ عبد الله الشرقاوي.
- شيخ المالكية الشيخ محمد الأمير الذي برع في الحديث وجمع فنون العلم.
- الشيخ عبد الغني مفتي الشافعية بمكة[1].

4/: تلامذته:

اشتهر العلامة أبو رأس الناصري بحافظ المغرب الأوسط لغزارة علمه وسعة إطلاعه وقد ترك تراثا غنيا تمثل في التلاميذ الذين درسوا وتعلموا على يده ليصبحواعلماء عظماء حملوا لواء شيخهم ومن جملة هؤلاء نذكر منهم:

- **الشيخ أبو حامد العربي المشرفي:** هو العربي ين علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي وهو حفيد عبد القادر المشرفي شيخ أبي راس الناصري المعسكري.
- **الشيخ العربي بن السنوسي:** كان مدرسا للقرآن الكريم ومدرسا لبعض الفنون أخذ عنه العلم محمد بن علي السنوسي.
- **الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله (ت1215هـ/1800م):** هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس وكان كاتبا للباي محمد بن عثمان شارك في تحرير وهران الثاني 1792م.
- **الشيخ محمد بن علي السنوسي:** هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي عالم تلمسان وإمامها وبركتها[2].

ولد صبيحة يوم الاثنين (1202هـ/1787م) في ضاحية مينا الواقعة ضفة وادي الشلف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر، وهو مؤسس الطريقة السنوسية المشهورة بليبيا[3].

- **الشيخ عبد القادر بن السنوسي:** ومما مدح به شيخه:

ذاك أبو راس ناصر الدين الناصري *** طلاع الثنايا
إن صعد الكرسي تعرف سموه *** فاطلبه قبل طلب المنايا

---

[1] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق ، ص64.

[2] عبد العزيز الصغير دخان، الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، ط 1، دار كردادة، الجزائر، 2011م، ص74.

[3] علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج 1، ط 1، مكتبة الصحابة، القاهرة، 2001م، ص22.

- **الشيخ عثمان الموسوي الهزاري:** عرف بالتازي أجازه أبو رأس بثبته "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"[1].

ومما قاله العلماء فيه قول شيخه عنه عبد القادر المشرفي للباي "إنما اخترته على من هو أكبر منه من تلامذتي لأنه فيه النفع والقريحة"، وقال عنه أبو القاسم الحفناوي "العلامة المحقق الحافظ والبحر الجامع المتدفق اللافظ من هو ليث الدين أوثق الناس وأوضأ نبراس الإمام القدرة المتقن سيدي محمد أبو راس، كان رحمه الله إماما في المنقول والمعقول"، وقال عنه تلميذه الأستاذ ابن السنوسي بعد أن حلاه بالإمام الحافظ :" كان حافظا متقنا لجميع العلوم عارفا بالمذاهب الأربعة لا يسأل عن نازلة إلا يجيب عنها بداهة كأنها حاضرة بين شفتيه محققا لمذهب مالك غاية لا سيما مختصر خليل فله فيه الملكة التامة بحيث يلقيه على طلبته في أربعين يوما والخلاصة في عشرة أيام.."[2].

5/: رحلاته العلمية:

عاش أبو رأس حياة متقلبة ولكنها حياة غنية بالتجارب فقد تنقل في أنحاء القطر الجزائري من غربه إلى شرقه، وامتدت رحلاته إلى خارج الوطن حيث يقول أبو راس: أن رحلاته إنما كانت اقتداء بعلماء كرحلة الإمام ابن رشيد السبتي والخطيب ابن مرزوق ورحلة العياشي وكذا رحلة الشيخ أحمد بن ناصر.

ولقد خصص أبو رأس الناصري في كتاب "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" لرحلاته وشيوخه وعلومه وأسفاره ومن لقيهم من علماء المغرب والمشرق وما سئل عنه من المسائل العلمية، وقد عرف في رحلاته التي كانت غاياتها علمية بالدرجة الأولى بغزارة معارفه وسعة إطلاعه، وقد نقل إلينا العديد من المناظرات التي دارت بينه وبين علماء عصره وكان حريصا على الاستزادة من طلب العلوم ونقل الأسانيد، وتلقي مختلف الإجازات العلمية[3].

وقد تنوعت رحلاته إلى صنفين: رحلات علمية داخل الجزائر وأخرى خارجها، ففي داخل الجزائر كانت البداية من مدينة أم عسكر البيئة التي نشأ بها وتلقى فيها مختلف العلوم

[1] ابو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ، مصدر سابق، ص ص12-13.

[2] عبد الحي الكتاني، مصدر سابق، ص150.

[3] أبو راس محمد بن أحمد الناصري، نبا الإيوان، مصدر سابق، ص15.

على يد شيخها عبد القادر المشرفي الذي درس عليه أبو رأس ألفية ابن مالك على شرح المكردي، ثم انتقل بعدها إلى مدينة البرج قرب معسكر وبعدها إلى مدينة غليزان ثم مدينة مازونة، حيث مكث بها ثلاث سنوات بعدها عاد إلى أم عسكر للتدريس ثم توجه إلى مدينة الجزائر، حيث التقى بالفقيه محمد بن جعدون وقاضيها محمد بن مالك والعلامة مفتي الجزائر وخطيبها السيد الحاج علي بن الأمير، وكذلك فقيهها وعالمها ومفتيها الشيخ محمد بن الحفاف ولما دخل بقسنطينة التقى بعالمها عبد الكريم محمد الفكون[1].

أما خارج الجزائر فكانت بداية رحلات أبي رأس الناصري العلمية بمدينة فاس وكان ذلك عام 1801م، التي يصفها "بمحل العلم والإيناس والتقريب والتبعيد لأناس وهي قبة الإسلام والسلم والاستسلام المقام الأعلى والمثابة الفضلى، فهي أم قرى المغرب الوافرة وخزائن المزائر والشهرة الساحرة والأنباء السافرة ذات الأرجاء الدانية والقاضية والأطواء الراسخة الراسية والمباني الباهية والأزهار الزاهية والمحاسن الشاهية ..."[2]، وقد ساهمت هذه الرحلة في تكوين شخصيته العلمية.

ثم انتقل إلى تونس وهي المحطة الأولى في طريقه إلى المشرق يذكرها باسم أم البلاد، حيث نزل على علمائها وآجلة فقهائها بجامعها الأعظم، وفي ذلك يقول "فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل المخفية وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله"، ومنهم الشيخ المفتي محمد بن القاسم بن المحجوب الذي درس عليه فقه النوازل والشيخ محمد بيرم مفتي الحنفية قرأ عليه فقه أبي حنيفة وقال عنه أبو رأس: "إنه إمام والآداب والبيان والإعراب واللغة والأنساب والفرائض والحساب".

بعدها رحل أبو رأس إلى مصر وحاضرتها الأزهر حيث التقى بشيخها مرتضى الزبيدي ثم رحل إلى المدينة المنورة (طيبة) وزار قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى الشام ليدخل بعدها إلى فلسطين، حيث التقى بمفتيها وعلمائها في غزة، وأخيرا رحل إلى العريش فلم يجد بها عالما يؤنس إليه[3]، وكانت رحلاته إلى المشرق العربي ثرية بالأحداث والمشاهدات ومثلت مرجعا مهما في مساره العلمي.

---

[1] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص ص91-93.

[2] نفسه، ص101.

[3] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص ص117-120.

6/: وظائفه:

يعتبر أبو رأس الناصري شيخ مؤرخي الجزائر العثمانية حيث اشتهر باطلاعه الواسع ومعرفته العميقة من جهة ورحلاته العلمية الكبيرة حول مختلف العلوم والفنون من جهة أخرى، مكنته من الوصول إلى درجة العلماء والأساتذة مثل أستاذه عبد القادر المشرفي مما جعله يصنف أحد أعلام القرن الثامن عشر.

كانت بداية وظائفه في مجال التدريس بأم عسكر، وكان يدرس ليلا ونهارا بدفع من شيخه عبد القادر المشرفي ومكث بها 36سنة، قضاها في التأليف والتدريس وقد كان يزدحم على حلقته الدراسية عددا كبيرا من الطلبة بلغ في بعض الأحيان780 طالبًا[1].

وهو ما دفع بالباي محمد بن عثمان الكبير أن يخصص له كرسيا يستعين به على إلقاء دروسه ومحاضراته نظرا لنحافة جسمه التي لم تكن تسمح له بالظهور في وسط الطلبة بسبب كثرتهم وازدحامهم عليه، ومن ثم سمي الشيخ ب "صاحب الكرسي الدوار"[2]ويقول أبو رأس الناصري عن درسه: "إنني لا أصحب معي كتابا وأورد درسي على التحقيق والتدقيق وأوشيه بتتمات ولطائف مهمات وتنبيه وجيه وتكميل وتذييل وترتيب عجيب، حتى صارت حضرتي في العلم تذكر في الأفاق وتنسيك دروس مصر والشام وتونس والعراق في أثنائه حكايات ونوادر لتنشيط القلوب الفواتر"[3].

كما أسندت له مهمة القضاء وهي وظيفة دينية لارتباطها الوثيق بالدين وعلومه على يد أحد شيوخه وهو السيد محمد بن مولاي على قاضي معسكر[4]، تولاها وهو رافض لها لمدة سنتين لأنها تعيقه وتشغله عن حياته العلمية، حيث كان يختصر مختصر خليل ثمان مرات كما تولى مهنة الإفتاء أيضا، لكن سرعان ماعزل عن منصبه بسبب قيام ثورة درقاوة وموقفه منها.

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1958م، ص 252.

[2] محمد أبو راس الجزائري، فتح الاله، مصدر سابق ، ص22.

[3] محمد أبو راس، الإصابة فيمن غز المغرب من الصحابة، مصدر سابق، ص11.

[4] محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر، 1985م ص201.

ومما زاده كذلك علما احتكاكه بعلماء المشرق من خلال رحلات الحج وزيارته إلى بلدان المغرب العربي، كما كان مقربا لدى الباي مصطفى بوشلاغم حيث شجعه وحفزه على التأليف والكتابة، فأنشأ له مكتبة ضخمة عرفت بمكتبة "قبة المذاهب الأربعة" الغنية بنفائس الكتب ثم واصل ذلك من بعده الباي محمد بن عثمان الكبير.

لقد عاصر أبو رأس الناصر أحداثا كثيرة طيلة ست وثمانين عاما من حياته، تبتدئ عام1737م وتنتهي عام 1823م أي ست سنوات قبل الاحتلال الفرنسي منها حملة اوريقي وحملة اللورد اكسموث الأوربيتين على الجزائر وفتح وهران[1]، كما عاصر أبو رأس كذلك الثورة الفرنسية وظهور الدعوة الوهابية هذه الدعوة التي إنتقد علماءها الذين لقيهم بمكة عام 1811م، وكذا الحملة الفرنسية في مصر، التي أبدى بعض ملاحظاته حول آثارها على مصر والشام في كتابه[2] "الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية"، وهي قصيدة شعرية شرحها شرحين: ومما جاء فيها[3]:

طيب الرياح جميع أرض الله حبسى *** وبشرى إليكم من الجن ولافس (الإنس)

المشرق الأقصى مع أقصى مغربنا *** والجرى والضد والأشجار

طوامي لا بحر وأهل جرائرنا *** بفتح وهران دار الشوك (الشرك)

وقد دفعت الأحداث المذكورة بأبي رأس الناصري إلى التأليف فيها والتأريخ لها.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن أبا رأس الناصر من الناحية السياسية ينتمي إلى جماعة العلماء الذين دعموا النظام العثماني وسلطانه بالجزائر، ويتجلى موقفه هذا خاصة بعدما رثى الباي بوكبوس بعد موته بمرثية أوردها في رحلته المعنونة "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، ثم الباي محمد الكبير الذي أهداه قصيدة نفيسة "الجمان في فتح ثغور

---

[1] أبي راس الناصر، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وانه من بني زيان ملوك تلمسان، مصدر سابق، ص23.

[2] نفسه، ص24.

[3] محمد أبي راس الناصر، الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية، ترجمتها بالفرنسية جنرال بوربيقي، ص5.

وهران"[1]، لعل هذه العوامل وغيرها كانت محفزة له على الكتابة والتأليف، وعلى التخصص في فن التاريخ دون سائر الفنون الأخرى[2].

1/: وفاته:

بعد مسار من الإبداع والتفكير وحياة حافلة بالنشاط والتألق العلمي الكبير عن طريق رحلات علمية كبيرة قام بها العلامة الحافظ أبو رأس الناصري في مختلف البلدان العربية، وتزود خلالها بمختلف أنواع العلوم الفنون، حان وقت رحيل هذه الشخصية العلمية الكبيرة التي تركت بصمتها من خلال ما خلفته من أثار علمية.

كانت وفاة العلامة أبي راس الناصر يوم الخامس عشر من شعبان سنة 1238هـ-1823م عن عمر ناهز التسعين سنة وقد صلى عليه خلق كثير من الناس يؤمهم تلميذه أحمد الدايح، الملقب بالخرشي الكبير عند الراشدية وقد قدر عددهم نحو1500 فردا، ودفن قرب داره بعقبه بابا علي بمعسكر أين يوجد ضريحه الذي أقيمت عليه بناية أصبحت مزارا للناس إلى يومنا[3]، وضريحه معروف في حي باب علي باسم سيدي بو راس[4].

أما عن سبب وفاة أبي رأس فيرجعه الكثير من المؤرخين إلى مرض الطاعون الذي كان منتشرا في سنة 1823م استنادا إلى ما ذكره الشيخ مسلم بن عبد القادر "ومات به خلق كثير من العلماء من بينه الشيخ العلامة الكبير أبو راس الناصر"[5].

وقد ترك أبو رأس وراءه كما هائلا من المخطوطات النفيسة والذخائر النادرة التي لم تعرف النور إلى اليوم والتي بلغ عددها حوالي137 مخطوطا في مختلف العلوم والفنون حيث لم يركز جهده الفكري على تخصص معين بل تناولت كل التخصصات تقريبا[6].

2/: موقفه من العثمانيين:

كان أبو رأس الناصري يرى أن العثمانيين أصحاب فضل على البلاد في دفعهم للخطر الخارجي وكان يشكو من جهة أخرى الحياة العلمية في عهدهم على عكس من الكتابات التي

---

[1] أبي راس الناصر، لقطة العجلان، مصدر سابق، ص24.

[2] أبو راس الناصري، زهر الشماريخ، مصدر سابق، ص5.

[3] نفسه، ص14.

[4] محمد أبو راس، الدرة الانيقة، مصدر سابق، ص9.

[5] مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص80.

[6] أبو راس، لقطة العجلان، مصدر سابق، ص126.

تحدثت أن هناك اهتماما خاصا في عهد الباي محمد الكبير[1]. أما موقفه من الثورات فأعتبرها خطرا على البلاد والعباد وأنها حركة تمردية الغاية منها الفتنة، وأنها لا تخدم مصلحة البلاد[2].

وختاما لما سبق يمكن أن نعتبر القرن الثاني عشر هجري (18م) وبداية القرن الثالث عشر هجري (19م) أغزر الفترات من حيث الإنتاج الثقافي ويرجع ذلك إلى عدة عوامل تأتي في مقدمتها: الاستقرار السياسي حيث عاشت الجزائر في عهد الدايات الذي يعد أطول فترات الحكم في الجزائر الحديثة (1671-1830م) استقرارا نسبيا، وخاصة منذ استقلالها عن الدولة العثمانية سنة 1711م.

فمن مظاهر الانتعاش الثقافي بروز أسماء لامعة في الإنتاج الأدبي والفقهي والتاريخي والعلمي، ففي ميدان الأدب نجد الشيخ محمد بن ميمون الجزائري (ت1159ه/1746م) وصديقه الشيخ أحمد بن عمار وفي مجال أدب الرحلة و التصوف نذكر الحسين الورثيلاني (1125ه-1713م/ ت1193ه- 1779م)، وفي الميدان العلمي نجد الطبيب عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري (1107ه-1695م/ت1200ه-1786م)، وفي التاريخ العلامة الحافظ أبو رأس الناصر (1150ه-1737م/ت1238ه-1823م).

وكذلك النشاط الذي عرفته مختلف العلوم والفنون حيث أولت الجزائر عناية خاصة للتعليم ولا سيما في الناحية الشرقية على يد صالح باي، والناحية الغربية على يد الباي محمد الكبير، إضافة إلى انتشار الزوايا وكثرة الأوقاف على المساجد والزوايا وكثرة العلماء والمتصوفة، لكن رغم ذلك لا يمكننا الجزم بأن الجزائر في هذه الفترة كانت تشهد نهضة أو ازدهارا ثقافيا، ذلك أن معظم علمائها كانوا ما يزالون عالة على المعاهد الإسلامية في فاس وتونس والقاهرة، كما أنهم لم يستفيدوا شيئا من الناحية العلمية، ومن تجارب الأوربيين في حقل النهضة الأوربية وما اتبعها من الثورة الصناعية التي شهدتها أوربا في هذه الفترة.

---

[1] محمد بوشنافي، موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني، مكتب الرشاد، الجزائر، 2014م، ص17.

[2] نفسه، ص25.

الفصل الثالث:
التآليف النقلية في الجزائر أواخر العهد العثماني

لقد ساهمت مراكز الإشعاع العلمي والحضاري في كل من مدينة الجزائر وتلمسان وقسنطينة ومعسكر وزواوة وغيرها في بروز أسر علمية كبيرة، اشتهرت في ميدان التدريس والتأليف والإفتاء والقضاء، وهذا راجع إلى مساهمة بعض الحكام العثمانيين مثل الباي "محمد الكبير" في تشجيع الحركة العلمية في الجزائر خصوصا بعد الفتح النهائي لوهران 1792م، عن طريق بناء المؤسسات الثقافية من مساجد وزوايا ومدراس وكتاتيب قرآنية ومكتبات، وتشجيع حركة التأليف والنسخ.

وقد غلب على الثقافة الجزائرية أواخر العهد العثماني العلوم النقلية المتمثلة خصوصا في العلوم الشرعيةوما اتبعها من العلوم اللغوية والاجتماعية، لأن اهتمام العلماء والفقهاء متعلقٌ بأمور الدين وكون توجُّه الزوايا التعليمي كان دينيًا أكثر منه أدبيًا، فانصب اهتمام العلماء على الفقه والتفسير والحديث وهكذا كانت الثقافة دينية أكثر من كونها أدبية.

كما سيطر على الحياة الثقافية في الجزائر خلال الفترة المذكورة التصوف وظهور الطرق الصوفية كالطريقة القادرية والرحمانية، وقد لعبت دورا مهما وبارزا في مقاومة فساد النظام العثماني عن طريق قيام ثورات قادها شيوخ الطرق الصوفية مثل الثورة الدرقاوية، والملاحظ أيضا أن حواضر الجزائر لم تعرف ازدهار علوم الدين واللغة فقط بل هناك مواد أخرى كانت تدرس كالشعر الفصيح، وكذلك الملحون الذي برز من خلال حلقات المداحين التي انتشرت كظاهرة ثقافية أيضا.

كما أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولاسيما خلال القرن (12هـ/18م)، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبعضها نتيجة لطلب العلم، وهكذا ظهرت مجموعة من المؤلفين كانت لهم إسهامات في العلوم النقلية؛ مثل العلامة الحافظ أبو رأس الناصري، والعلوم الأدبية فقد برع محمد ابن ميمون الجزائري، أما في ميدان التصوف والرحلة فقد ظهر الحسين الورثيلاني، أما في ميدان التاريخ فنجد العلامة أبو رأس الناصري وعبد القادر المشرفي، وهكذا ساهم هؤلاء العلماء مساهمة فعالة في إثراء الحقل الفكري والأدبي، وأصبحت مؤلفاتهم تدرس في كل معاهد المغرب (الزيتونة والقرويين) والمشرق (الأزهر)، وهو ما سنقوم بتفصيله وبيانه في هذا الفصل.

أولا: العلوم الشرعية:

طُبع الاهتمام الثقافي في المجتمع الجزائري بغلبة العلوم الدينية (العلوم المنجية) بسبب اقتصار مؤسسات التعليم على مراكز العبادة من مساجد وزوايا وكتاتيب والتي انتشرت في كل الأرجاء الجزائرية خلال فترة الحكم العثماني، وقد أسهمت الصلات الحضارية والثقافية للجزائر بجوارها وبخاصة المغرب وتونس وكذا بلاد السودان الغربي في إثراء الحياة الفكرية الثقافية وانتشار التعليم والعلوم الشرعية على وجه الخصوص رغم طابعها التقليدي.

وفي المقابل نلحظ قلة المؤسسات التعليمية والتي اقتصرت على بعض المدن الكبرى، وقد كان للرحلة العلمية دور كبير في الاطلاع والاستفادة من مختلف أصناف العلوم، وذلك بالاحتكاك مع علماء المشرق في بلاد مصر والحجاز، وأيضا كان لهجرة الأندلسيين الأثر الكبير في النهضة العلمية والفكرية، لكونهم اشتغلوا بالتدريس وشاركوا في التأليف وحملوا معهم من العلوم والمهارات التي اكتسبوها هناك، وتشجيع الحكام للعلم ومحبتهم للعلماء وإكرامهم كانت محفزا لحركة التأليف.

وهكذا كان حظ العلوم الشرعية وافرا فكل الجهود العلمية آنذاك انصبت عليه تخصصا وتأليفا، حيث عرفت مختلف الفروع الدينية كالدراسات القرآنية وعلم الحديث وعلم الفقه[1] وبدرجة أقل العقائد اهتماما كبيرا، لكون العلوم الشرعية تستمد وقائعها المتواترة والمشهورة من مصدرين أساسيين هما: القرآن الكريم والسيرة النبوية، وقد أطلق عليها "علوم المقاصد" أو "علوم الغايات" باعتبارها المقصد الأساسي والغاية النهائية من الدراسات الإسلامية وهي علوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم الفقه[2].

وما تجدر الإشارة إليه أن حواضر الجزائر خلال العهد العثماني تميزت على غرار باقي حواضر العالم الإسلامي بوجود جملة كبيرة من العلوم والمعارف التي شكلت المحتوى

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1954م)، ج 7، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص7.

[2] خالد حسين محمود، معطيات عن العلوم الشرعية بمدينة غزة من بداية العصر الطولوني إلى نهاية العصر الأيوبي، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 14-15 2014 م، ص86.

الفكري لحركته العلمية[1]، والتي يمكن أن نقسمها من حيث الغاية من دراستها إلى قسمين كما صنفها من قبل العلامة "عبد الرحمان بن خلدون".

- علوم مقصودة بذاتها:

يتوجب الاتساع في دراستها وهي العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام[2]، وكذلك العلوم الطبيعية والإلهية فالعلوم الشرعية تبرز أهميتها وتستمد قوتها من مصدرها وهي النصوص القطعية في الكتاب والسنة، لأنها غنية بدلالاتها لا يعتريها التناقض ولا يضرها تشويه المفاهيم لذا فالعلوم الشرعية قامت على أساس استيعاب المفاهيم الشرعية في مصطلحات تميزت بالفهم والتطبيق[3].

- علوم آلية:

تساعد على دراسة العلوم السابقة كالبلاغة والنحو والحساب للشرعيات والمنطق للفلسفة وأصول الفقه، وهذه الأخيرة يتوقف مقدرا دراستها على الحاجة إليها ولا يجب توسيع المدار فيها لأن ذلك مضيعة للوقت، وقد يؤدي إلى تقصير في دراسة العلوم الأساسية (المُنجية) أما من حيث أصنافها فقد قسمها إلى قسمين رئيسين[4]، حيث يقول العلامة ابن خلدون:"أعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداو لونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين":

صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره أي"العلوم العقلية"، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه أي"العلوم النقلية."

أما الأولى فهي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها حتى يوقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثانية هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها إلى العقل، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لان الجزئيات الحادثة

---

[1] رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط (7-9 هـ/13-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015 م، ص181.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، مرجع سابق، ص7.

[3] مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، ص9.

[4] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص181.

المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي إلى النقل لتفرعنه واصل هذه العلوم النقلية كلها، هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن[1].

وتعد العلوم النقلية وخاصة الدينية منها (الشرعية) أكثر العلوم أصنافا واهتماما[2]، وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق[3]، لذا نفقت أسواقها وهذبت مصطلحاتها ورتبت فنونها فكانت في غاية الحسن والإتقان لدرجة أصبح فيها موضع كمال واحتضن علم منها برجاله مشرقا ومغربا.

إن العلوم الدينية نالت الحظ الكبير من الاهتمام حيث تعددت أصنافها فمنها ما هو متعلق بالنقل أو مفهوم المنقول أو تقريره وتشييده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة[4] فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا وهذا هو "علم التفسير"، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي "صلى الله عليه وسلم" الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو "علم القراءات" ثم بإسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بإخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي "علوم الحديث"، ثم لا بد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو "أصول الفقه" وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى، في أفعال المكلفين وهذا هو"الفقه"[5].

1/: علوم القرآن:

إن العلوم جمع علم والعلم في اللغة هو مصدر يرادف الفهم والمعرفة ويرادف الجزم أيضا في الرأي، وفي لسان الشرع العام يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه الإحياء: "قد

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج 2، ط 1، دار البلخي، دمشق، 2004م، ص171.

[2] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص181.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ص171.

[4] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص182.

[5] عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ص171.

كـان العلـم يطلـق علـى العلـم بـالله تعـالى، وآياتـه وبأفعالـه فـي عبـاده وخلقـه[1]، فتصـرفوا فيـه بالتخصيص حتى اشتهر بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها[2].

أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة[3]، أما من الناحية الاصطلاحية فإن علوم القرآن هي تلك العلوم التي تعنى بالقرآن الذي هو كلام الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف والمنقول إلينا نقلاً متواتراً والمتعبد بتلاوته، أنزل على رسول الله منجماً بلفظه ومعناه: بلسان عربي مبين، وهو أصل الشريعة ودستور المسلمين وعماد الدين العام للإنسانية كلها[4].

ويحتل علم القرآن مكانة كبيرة عند غالبية المسلمين، إذ به يقرب الفهم ويحدد المعنى المراد من منطوق الآيات القرآنية، وكان أول ما أنزل منه قول الله تعالى:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}**[5]، كما حث أيضاً على التفقه في الدين فقال الله تعالى: **{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون}**[6]، ولما ورد في ذلك من أحاديث نبوية تحث المسلمين لصرف العناية لخدمة العلم الديني والتي تعد من أعظم القربات، وفي طليعة هذه الأحاديث حديث عثمان بن عفان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)) ومن جملة الأحاديث الواردة في الحث على قراءة القرآن، قوله صلى الله عليه وسلم:((**أَفْضَلُ العِبَادَة قِرَاءَةُ القُرْآن**))[7].

لهذا اهتم المسلمون بالقرآن الكريم منذ القرون الأولى باعتباره المصدر الأول لتنظيم شؤون المسلمين الدينية والدنيوية، فكان القرآن الكريم في طليعة العلوم التي أولاها المسلمون عناية خاصة حيث يعتبر "ينبوع العلوم ومنشؤوها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه واصل كل علم ورأسه"، إذ أنه يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من

---

[1] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط 1، دار ابن حزم، لبنان، 2005م، ص43.

[2] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القران، تح: هاني الحاج، ج 1، المكتبة التوفيقية، مصر، دت، ص11.

[3] نفسه، ص13.

[4] علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها،ط5،منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 2008م، ص86.

[5] القرآن الكريم، سورة العلق، الآية 1.

[6] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 22.

[7] المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، إع: عبد الرحمان رويب، مج 3، عالم المعرفة، الجزائر، 2003م، ص62.

ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخة، ويشتمل فروعاً كثيرة أبرزها: علم القراءات وعلم التفسير، وأسباب النزول والتجويد، وعلم المكي والمدني، وعلم إعجاز القرآن والرسم القرآني وإعراب القرآن[1].

ولعل أهمها العلمين الأولين "علم القراءات موضوعه القرآن من ناحية لفظه وأدائه وعلم التفسير موضوعه القرآن من ناحية شرحه ومعناه". وبذلك جاءت علوم القرآن الكريم في مقدمة العلوم الشرعية سواء تلك التي تهدف الى المحافظة على النص القرآني وروايته كالقراءات، أو تلك التي تهدف إلى بيان المقصود أو المعنى المحتمل للآيات، كالتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن التأليف في علوم القرآن يحتاج إلى ثقافة واسعة معاصرة وتراثية وفهم عميق لأسرار اللغة وأسرار الإعجاز القرآني، كما يحتاج أيضاً إلى ثقافة تاريخية كبيرة، وكل ذلك لا تقوم به إلا المؤسسات العريقة ذات التقاليد العلمية الراسخة، وتتجلى أهمية علم القراءات أيضاً في كونه يعتبر من أجل العلوم قدراً وأعلاها منزلة لتعلقه بأشرف الكتب السماوية على العموم، وأفضلها على الإطلاق، وهو القرآن الكريم (كلام الله) لأن مادة هذا العلم هي حروف وكلمات القرآن الكريم وتظهر أهميته في ما يلي:

– صيانة كتاب الله تعالى من التحريف والتغيير مصداقا لقوله تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}**[3].

– تيسير قراءة كتاب الله تعالى بلهجات مختلفة ومتنوعة وعصمة القارئ من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية مع ترجيح بعض الأوجه التفسيرية، وبعض الأحكام الفقهية.

– اختلاف القراءات دلالة على تجلي وجوه الإعجاز القرآني، ويبرز سمو بلاغته فهذه الميزة لا نظير لها في الكتب السماوية السابقة، لذا يعد تعلمه وتعليمه فرض كفاية إذ قام بها البعض سقط عن الكل وان امتنعوا كلهم أثموا[4].

وعلوم القرآن تشتمل فروع كثيرة أبرزها علم القراءات الذي يعتبر موضوع القرآن من ناحية لفظه وأدائه، وعلم التفسير الذي يعد موضوع القرآن من ناحية شرحه ومعناه،ومما

---

[1] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص182.

[2] خالد حسين محمود، مرجع سابق، ص86.

[3] القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 10.

[4] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص184.

يلاحظ أن التأليف في العلوم القرآنية أنه كان ضعيفا حتى في العهد العثماني وذلك بسبب غياب جامعة إسلامية ذات تقاليد راسخة في الثقافة العربية؛ كمعهد الأزهر والزيتونة والقرويين، ومنها أيضاً هجرة العنلماء الأعلام إلى البلدان الإسلامية بحثاً عن العلم والسمعة والرزق[1].

ومن أشهر مؤلفات علوم القرآن خلال القرنيين 18 وبداية القرن 19م نذكر:

1- الحافظ الشهير أبي عبد الله محمد بن الجليل التنسي التلمساني له كتاب:

1- "الطراز في شرح ضبط الخراز" حيث شرح به منظومة أبي عبد الله الشريسي[2].

2- أحمد بن علي يوسف بن تقي الدين أبو العباس البوني (ت 1726م) وله:

1- إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن.

2- تحفة الأريب بأشرف غريب أختصر فيه غريب القرآن للعزيزي.

3- نظم غريب القرآن لابن عباس.

4- نظم غريب القرآن لابن جزي.

5- التسيير في إسنادنا في كتب جمع من التفسير.

3- يوسف بن محمد أبو يعقوب (ت 1187هـ/ 1773م) وله:

1- حاشية على الجلالين[3].

4- الشيخ محمد الطاهر ابن حوا (ت 1206هـ/ 1791م) وله:

1- تفسير معروف بتفسير القرآن: وهو عبارة عن نسخ لتفسير بعض الصحابة المتقدمين نسخا حرفيا، وقد قسمه إلى أجزاء حيث تعتبر تفاسيره من التفاسير الهامة لدى علماء بايلك الغرب والوطن الراشيدي عموما، فهو يزخر بشروحات وافية مدعمة بأقوال فطاحلة العلماء والمفسرين.

5- يوسف بن عدوى بن حمو أبو يعقوب الإباضي الجزائري (ت 1223هـ/ 1808م) وله:

1- حاشية على تفسير البيضاوي[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، مرجع سابق، ص7.

[2] المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، مج 3، مرجع سابق، ص68.

[3] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص36.

[4] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص173.

أما خلال القرن (12هـ/18م) وبداية القرن (13هـ/19م) موضوع دراستنا من أشهر المؤلفين في علوم القرآن العلامة:

6- أبو رأس الناصري: الذي خلف لنا نحو 12 مخطوطا ومن بين مؤلفاته في هذا العلم نذكر:

1- "مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير"[1] في ثلاثة أسفار في كل سفر عشرون حزباً[2].

2- تقييد على الخرازوالدرر اللوامع والطراز[3].

3- الإبريز والإكسير في علوم التفسير: حيث قال عنه: "أنه في ثلاثة أسفار ما أبركها من قربي، في كل سفر عشرون حزبا، طالما تكلمت فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وغيرهم"[4].

4- الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز[5].

5- إغاثة اللهفان في شرح مورد الضمان، والتكلم مع صاحب عمدة البيان.

6- السيوف القوامع في شرح الدور اللوامع.

7- إزالة الألغاز على كلام الطراز والخراز.

8- توضيح المعاني في شرح حرز الأماني في ثلاثة أسفار.

9- إعانة القدير في شرح النشر والتسيير في ثلاثة أسفار.

10- تذييل الإتقان في أحكام القرآن.

11- فتح المنان في ترتيب نزول القرآن.

12- سر الرحمان في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال[6].

---

[1] محمد أبو راس بن احمد بن ناصر المعسكري، الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، مصدر سابق، ص18.

[2] أبي راس الناصر، لقطة العجلان مصدر سابق، ص121.

[3] محمد أبو رأس، فتح الإله، مصدر سابق، ص180.

[4] أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، تق: محمد غانم، المركز الوطني في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005م،ص30.

[5] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2013م،ص178.

[6] نفسه،ص178.

أ- علم التفسير:

يأتي علم التفسير في مقدمة العلوم الأساسية للمتعلم فهو من أشرف العلوم الدينية والعربية إن لم يكن أشرفها جميعا، وذلك لسمو موضوعه وعظم فائدته، لذا يعتبر من أول ما يدون من علوم القران لأنه هو الأصل في فهمه وتدبره وعليه يتوقف استنباط الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام.

وقد حظي باهتمام واسع من قبل العلماء لقيمته الكبيرة، فهو علم يشتمل على معرفة وفهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه[1]، فتفسير من الناحية اللغوية مأخوذ من الفسر بمعنى التبيين[2]، وكشف المغطى وإظهار المعنى فنقول: فسر الشيء يفسره ويفسره فسرا، أي بينه وأوضحه وكشف المراد على اللفظ المشكل، بمعنى إيضاح معناه بإخراجه من مقام الخفاء الى مقام التجلي[3]، أما من الناحية الاصطلاحية فهو ذلك العلم الذي يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[4]، واستمداد ذلك من علم النحو واللغة والتصريف والبيان والأصول والقراءات إلى غير ذلك من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

- نشأته وتطوره:

يعتبر علم التفسير أول العلوم الإسلامية ظهورا إذ بدأ المحولات الأولى فيه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعد أول شارح ومفسر للقرآن الكريم، فقد سأله عمر عن معنى الكلالة ففسرها له[5]، وفي عهد الخلفاء الراشدين حيث كانوا يدركون معاني القرآن بسهولة ويسر لذا لم ينقل إلينا عن الصدر الأول تفسير القرآن الكريم وتأويله، وذلك لأنه أنزل باللسان العربي في زمن أفصح العرب وعن أساليب بلاغتهم[6]، لذا كانوا كلهم يفهمونه

---

[1] سعاد حطاب، العلوم العقلية والنقلية في المغرب الأوسط - العهد الزياني أنموذجا- مجلة الأكاديمية، ع 18، 2017م، ص128.

[2] عبد العزيز بومدين، الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري، مرجع سابق، ص201.

[3] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط 30، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص323.

[4] محمد حسين الذهبي، علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، ص6.

[5] علال الفاسي، مرجع سابق، ص91.

[6] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص189.

ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل في الدين أقوام كثيرة كان يصعب عليهم فهم معاني الكثير من الآيات الشريفة باعتبار أن القرآن الكريم نزل على أعلى درجات البلاغة اللغوية، لذا ظهرت الحاجة إلى تفسير الآيات وتبسيط بيان معانيها ودلالتها، وقد قسم المسلمون التفسير انطلاقا من مبدئه ومصدره إلى نوعين هما:

- التفسير النقلي:

يطلق عليه أيضا التفسير بالمأثور وهو مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون في ذلك ونوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، ويعد هذا النوع من التفسير من أشرف أنواع التفسير وأتقنها وأفضلها لأن طريق معرفته صحيحة لاعتماده على الصحيح المنقول[1].

- التفسير بالرأي:

يسمى أيضا التفسير بالدراية أو التفسير بالمعقول وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب[2]، وهذا الصنف من التفسير قَلَ أن ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد إن صار اللسان وعلومه صناعة، ويعتمد على الاجتهاد المبني على أصول صحيحة وقواعد سليمة متينة ولتحقيق ذلك لابد من الاستعانة بعلوم كثيرة حتى يتسنى له تأدية المعنى بحسب المقاصد، وقد ذهب ابن تيمية وجمع من الأئمة إلى تحريمه عملا بالحديث من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار[3]، ويمكن إجمالاً أن نتناول التفسير من ناحيتين ناحية التدريس وناحية التأليف.

فأما تدريس التفسير فقد كان شائعاً بين العلماء البارزين ومن الذين اشتهروا بذلك الشيخ محمد بن علي أبهلول والشيخ ابن للو التلمساني وكذا الشيخ عبد القادر الراشدي القسنطيني، والعلامة أبو رأس الناصري، ومن الطبيعي أن نقول أنه ليس كل من تناول

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، ج 2، مصدر سابق، ص175.

[2] نفسه، ص176.

[3] علال الفاسي، مرجع سابق، ص91.

التفسير أجاد أو جدد فيه، ذلك أن ظاهرة التقليد والحفظ كانت مسيطرة على العلوم في جميع الميادين، ومن بينها ميدان التفسير[1] فنحن نتصور أن معظم المفسرين للقرآن الكريم في مجالس الدروس كانوا يكررون في الغالب أقوال المتقدمين ويحفظونها حفظاً سطحياً لا عقل فيه ولا تفكير، ويسردون المسائل كما هي في الكتب لا كما تقبلها أو ترفضها عقولهم وقلما يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر[2].

أما التفسير تأليفاً فالخوض فيه قليل ورغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية فإنها لم تنتج مفسرين للقرآن الكريم جديرين بالإشارة، حتى العالم المعروف الشيخ أحمد الونشريسي وابنه عبد الواحد لم يعرف عنهما التأليف في التفسير، ونفس الشيء يقال عن مدرسة بجاية وقسنطينة فرغم شهرة عمر الوزان والشيخ عبد الكريم الفكون الجد خلال القرن (10هـ/16م) فإننا لم نعثر لهما على تأليف في التدريس[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن التفسير قبيل الدخول العثماني للجزائر كانت العناية به ضعيفة، فقلما كان العلماء يتناولونه في مجالسهم ودروسهم وقلما ألفوا فيه ولولا تفسير عبد الرحمان الثعالبي[4]، المعروف"بالجواهر الحسان في تفسير القران"[5] لما وصل إلينا تفسير مكتوب من القرن (9هـ/15م) وينسب إلى محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ) تفسير بعنوان"البدر المنير في علم التفسير" كذلك أحمد بن محمد بن زكري (ت899هـ/1442م) الذي يعتبر من أهم علماء تلمسان خلال القرن (9هـ/15م) ومن إسهاماته في هذا الفن "حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي المسمى: " أنوار التنزيل وأسرار التأويل".

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر،2011م، ص12.

[2] عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015 /2016م، ص171.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق ، ص16.

[4] هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد وهو صوفي من كبار المفسرين واعيان الجزائر وعلمائها ولد سنة (786هـ/1384م) في واد يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، يبعد عنها 86 كلم، وهذا الوادي هو موطن أبائه وأجداده، توفى (875هـ/1470م) للمزيد ينظر: عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، اليابان، ص341.

[5] محمد بن الحسن الحجوي، فهرس المخطوطات العربية، مج 8، ط 1، المكتبة الوطنية، الدار البيضاء، 2009م، ص18.

أما خلال الفترة العثمانية فقد كان تدريس علم التفسير معروفا في كل المراكز الدينية والتعليمية، حيث ازدهرت حلقات العلم في المساجد والزوايا بحلقات تفسير آيات الكتاب الكريم، وقد اجتهد المدرسون في شروحهم اعتمادا على تفاسير" تفسير الثعالبي" و" تفسير السيوطي"، وجرت العادة أن دروس تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية تعقد مجالسها في حضرة الباي وفي مواسم معينة كشهر رمضان، حيث يحضر هذه المجالس العلماء والأعيان وغيرهم، يتبعها عادة مناقشة ومناظرة بين العلماء والعامة يكرر فيها هؤلاء أقوال المفسرين المتقدمين بطريقة جافة قلمّا يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر[1].

وقد اشتهر في هذا المجال عيسى الثعالبي والشيخ عمر الوزان وقد تركا تفسيرا كاملا للقرآن الكريم، أما الشيخ أحمد البوني الذي عاش في الفترة الممتدة بين 1653م و1726م فقد شرح بعض آيات القران الكريم في كتاب سماه "الدر النظيم في فضل آيات القران العظيم"، إضافة إلى "عيسى بن سلامة البسكري"اللوامع والأسرار في مناقب القران والأخبار"[2].

أما خلال القرن (12هـ/18م) وبداية القرن (13هـ/19م) فقد برع أبو رأس الناصري حيث وضع تفسيرا للقرآن الكريم في ثلاثة أسفار عنوانه " التسيير إلى علم التفسير" في ثلاثة أسفار في كل سفر عشرون حزبا"[3].

- علم التفسير من منظور أبي رأس الناصري:

لقد حرص المصنفون على التطرق إلى معنى التفسير وما بينه وبين التأويل من علاقة والذي دعاهم إلى ذلك هو ورود كلمة التأويل في القرآن قريبة من المعاني السابقة للتفسير في نحو قوله تعالى: **﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾**[4]وقوله على لسان صاحب موسى عليه السلام: **﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾**[5]، هذا من جهة واستعمل بعض المفسرين له في تفسيرهم من جهة أخرى.

---

[1] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص171.

[2] بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث –نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول –، مراجعة عثمان بدري، ط 2، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م، ص42.

[3] محمد أبو رأس الجزائري، فتح الإله، مصدر سابق، ص180.

[4] القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية101.

[5] القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية178.

ولم يختلف أحد أن للتأويل معنى لغويا مستقلا فهو من الأول والرجوع ويقول أهل اللغة الشيء يؤول أولا ومآلا أي رجع، وأول عليه الشيء رجعه، وآلت عن الشيء ارتددت وعليه فالكلام في نوع العلاقة هو من الناحية الاصطلاحية فقط ويحمل ما ذهب إليه العلامة أبو رأس الناصري في مقدمته إلى اختلاف العلماء في ذلك إلى رأيين، وذلك من خلال قوله: وأختلف هل هو بمعنى التأويل؟ وقيل بالفرق بأن التأويل هو بيانه بما تقتضيه القواعد العامة ومن خلال ما قاله العلامة أبو رأس الناصر في مؤلفه "الإبريز والإكسير في علم التفسير" الذي قام بدراسته وتحقيقه عبد العزيز بومدين أنه يمكن تقسيم الخلاف بين التفسير والتأويل إلى مذهبين:

- **المذهب الأول:** أنهما مختلفان ومتمايزان حيث قال السيوطي: وقد أنكر ذلك القوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: " قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه"[1]، وهذا الذي قاله ابن حبيب النيسابوري وحكاه عنه السيوطي بين الاختلاف بين التفسير والتأويل أما أوجه الاختلاف فقد تعددت فيه الأقوال.

- **المذهب الثاني:** أن التفسير والتأويل بمعنى واحد قال أبو عبيد وطائفة فمن قائل: إن التفسير هو بيان وضع اللفظ إما حقيقة وإما مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر.

والتأويل هو تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر وهو الذي يعينه أبو رأس الناصر بقوله في مقدمة تفسيره هو بيانه بما تقتضيه القواعد العربية، فالتأويل هو إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثل قوله تعالى:**{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}**[2]، تفسيره أنه من الرصد وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه وقال الألوسي: التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانية تتكشف من سحب العبارات للسالكين، وتنهمل من سحب الغيب على قلوب العارفين والتفسير غير ذلك، فهو يرى أن التأويل خاص بما كان من قبيل الإشارة فيما صنفه المفسرون منهم والتفسير ما كان مفهوما من العبارة[3].

---

[1] عبد العزيز بومدين، مرجع سابق، ص135.

[2] القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية 14.

[3] عبد العزيز بومدين، مرجع سابق، ص136.

وتتجلى عناية أبو رأس الناصري بعلم التفسير أنه طوق بأنواع هذا العلم رواية ودراية فجاء تفسيره مليئا بأنواع المقولات من أقوال صحابة وتابعين رضي الله عنهم، ومن استنباطات المفسرين وتوجيه للقراءات وروايات القصصة، والمؤرخين وبيانات الأدباء والشعراء والنحويين وأحكام الفقهاء والأصوليين وجدل المتكلمين والمناطقة، مستعينا على هذه الثقافة التفسيرية بمواهبه الفطرية وملكاته السليمة العربية من ناحية، ومن محفوظاته واستفادته من مشايخه الذين نهل علمهم والمنتشرين بين المشرق والمغرب من ناحية أخرى، وذلك لأنه رأى كغيره من الباحثين أن علم التفسير هو من أشرف العلوم الدينية والعربية بل أشرفها وذلك لسمو موضوعه وعظم فائدته.

ولقد اتبع أبو رأس في كتابه الموسوم بعنوان " الإبريز والإكسير في علم التفسير" بما استلهمه من أقوال علماء هذا العلم الذي ترعرع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يشتد عوده ويتقوى فيما بعد. وقد ساق أبو رأس في مقدمة مؤلفه هذا الأوائل من العلماء والقراء والحفاظ الذين شرفهم الله بالسبق في هذا الفن[1].

كما برع عبد الرزاق بن حمادوش في التفسير ومثال ذلك تفسيره قول الله تعالى : **{ولكل أمة أجل}**[2].

ب- علم القراءات:

يعد علم القراءات من أجل العلوم قدرا وأعلاها منزلة لتعلقه بأشرف الكتب السماوية وهو القرآن الكريم، لأن مادة العلم هي حروف وكلمات القرآن الكريم.

وعلم القراءات هي أحد علوم القرآن نعني بها من الناحية اللغوية جمع قراءة؛ وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي قرأ يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنا بمعنى تلا فهو قارئ وقرأ الكتاب قراءة وقرآن أي جمعه وضمه ومنه سمي القرآن[3]، لأنه يجمع السور ويضمه لقوله تعالى:**{إنا علينا جمعه وقرآنه}**[4]،أما من الناحية الاصطلاحية اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة

---

[1] عبد العزيز بومدين، مرجع سابق،ص137.

[2] أنظر الملحق رقم (01)، ص231.

[3] خالد حسين محمود، مرجع سابق، ص86.

[4] القرآن الكريم، سورة القيامة، الآية 17.

الحروف أو كيفيتها من تحقيق أو تثقيل بحسب اختلاف لغات العرب[1]، وتنقسم القراءات القرآنية التي وصلت إلينا أقسام عدة من حيث القبول والرد إلى قسمين:

- **القراءة المقبولة:** هي كل قراءة صح سندها ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، ووافقت أوجه العربية ومن خلال ضوابط القراءة المقبولة المتمثلة في ضابط السند ضابط الرسم ضابط العربية.

- **القراءة المردودة:** هي كل قراءة اختل فيها أحد ضوابط القراءة المقبولة التي سبقت الحديث عنها واختلت ضوابطها المتمثلة في ضابط السند ضابط المتن[2].

لقد اشتهرت الجزائر كبقية البلاد الإسلامية بمقرئيها وبمعاهدها المتخصصة في علم القراءات واشتهرالجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهر بالتأليف فيها، وكانت بعض المراكز في أنحاء الجزائر قد عرفت بالحذق في هذه المادة مثل زواوة حتى أنها كانت مقصودة للعلماء الجزائر وحتى من المغرب وتونس للإتقان والبراعة[3]، ذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد بن مزيان التواتي الذي وفد على قسنطينة من المغرب قد تعلم في المغرب وجاء إلى قسنطينة وجلس للتدريس بها لكنه لم يستغن عن الذهاب إلى زواوة لتعلم القراءات السبع بها وكان من شيوخه فيها عبد الله أبو القاسم[4].

أما التأليف في القراءات خلال هذا العهد فقد كان اقل من التفسير ويبدو أن جل اعتماد علماء الجزائر حينئذ كان على مورد الظمآن بالخراز المغربي وعلى شرح محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، فقد ألف كتاب سماه"الطراز في شرح الخراز[5]، وكان محمد بن توزنيت العبادي التلمساني من القراء المشاهير أيضا وقد عرف عنه العلم والجهاد، أما علمه وخصوصا في القراءات فيكفي أنه اخرج فيه تلميذه أحمد بن ثابت صاحب رسالة القراء في ترتيب أوجه القرآن الذي لعله فاق أستاذه شهرة فيه[6].

---

[1] عبد العزيز المريني، مباحث في علم القراءات، ط 1، دار كنوز، المملكة العربية السعودية، 2011 م، ص16.

[2] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص176.

[3] المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية، مج 3، مرجع سابق، ص62.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص21.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق ، ص120.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص22.

كما أسهم عبد الكريم الفكون في التأليف في القراءات بعمل سماه "سربال الودة في من جعل السيعين لرواية إلا قرأ عدة".

ويبدو أن الفكون عالج فيه أنواع القراءات ورواتها وغير ذلك ما يتصل بهذا الموضوع ومما يتصل بأوجه القراءات؛ طريقة النطق بالتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الختم، وألف محمد شقرون بن أحمد المغراوي " عملا سماه " تقريب النافع في الطرق العشر لنافع " وقد قسمه إلى أبواب مثل باب الاستعاذة وباب البسملة وباب الميم الجمع وباب المد والقصر ...ويبدوا أنه استعان في شرحه على "مورد الظمآن للخراز"[1].

2/: علوم الحديث:

يعتبر علم الحديث من أشرف العلوم وأجلها وأنفعها وأبقاها ذكرا وأعظمها أثرا، حيث تأتي مكانته بعد القرآن الكريم مباشرة، لذا عنيت به الأمة الإسلامية، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحفظ الأحاديث وروايتها والالتزام بها علما وعملا وسلوكا وأخلاقا ثم عنيت بجمعها وتدوينها في كتب الأحاديث والسنن.

والحديث في اللغة جمعه أحاديث ومعناه الخبر والجديد وهو ضد القديم ويطلق ويراد به كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه وبهذا المعنى سمي القران حديثا[2]، والحديث في الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي أو سيرة أو أضيف إلى الصحابي التابعي[3].

وتتجلى أهميته في كونه من أجل العلوم قدرا وأعلاها منزلة وخطرا، وكان الناس مقبلين على قراءة جامع البخاري عموما وعلى ما اختصر منه الشيخ العارف بالله ابن أبي حمزة خصوصا... وكانت قراءة الحديث تحتاج إلى شروط جمة وتلزمها آداب مهمة أعظمها الاحتراز من الخطأ في إعرابه، ومن اللحن في مضبوط ألفاظه فتحرك مني الغرام الساكن لضبط تلك الأماكن..."[4]، وقد نال حظه وحافظ على مكانته في جميع العصور خصوصا الفترة العثمانية حيث استأثر علم الحديث باهتمام علماء الجزائر العثمانية منذ تمكن الإسلام

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص125.

[2] محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، دار الفكر، دمشق، ص7.

[3] سيد عبد الماجد الغوري، الضوابط الأساسية لفهم الحديث النبوي، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، 2019م، ص12.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص29.

من النفوس وأصبح الديانـة الرسمية للسكان، لأن الحديث النبوي يحتل المرتبـة الثانيـة بعد القرآن الكريم والمصدر الثاني لاستنباط الأحكام الشرعية.

إن اهتمام علماء الجزائر العثمانية بعلم الحديث تمثل أساسا في محاولة معرفة وفهم أكثر عن تلك الجوانب المختلفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة حتى تتجلى الصورة المشرفة للإسلام، كما عاشها وفهمها النبي الأعظم والصحابة الكرام فذهب كل عالم يستعين بعلم الظاهر والباطن والعناية بتراث علم الحديث وهذا يعتبر عاملا مهما في تعلقهم بالتراث[1].

ولعل ما يبين اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث ولوعهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم واعتبار الحديث الشريف ثاني مصدر بعد القرآن الكريم مع ضرورة الحفاظ عليه من أي زيادة أو نقصان، أو تحريف القوانين التي وضعها أئمة محدثين لمعرفة الأسانيد[2]، لذا أنتج الجزائريون في علم الحديث ومصطلحه واعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، والسبب أن ذلك يعود إلى صلة علم الحديث بالدين والتصوف معا كما يعود إلى كون علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ وهم حفاظ مهرة حتى اشتهروا بذلك منذ القدم وكان العمل عندهم بالكتب الستة يدرسونها ويسندونها ويحفظونها أحيانا[3].

إضافة إلى تشجيع بعض الدايات وبايات بايلك الغرب مثل مصطفى بوشلاغم والباي محمد بن عثمان الكبير بعلم الحديث ولاسيما صحيح البخاري[4]، واستعملوه في المناسبات الدينية والحربية .

وأهم الأماكن التي كان يدرس بها الحديث هي الجوامع الكبيرة احتراما له وكان بعضهم يبالغ فيضيف إلى جو الدرس جوا آخر من البهجة والسرور برش ماء الورد في نهاية ختم البخاري، وإلقاء جملة من الأدعية المناسبة وترنيم الأحاديث بصوت رخيم، وكان لا يتولى إملاء الحديث إلا كبار العلماء وذوي الأصوات الحسنة الجوهرية.

لقد كان الجزائريون حريصين في أسفارهم وحجهم على الدراسة وطلب العلم ولاسيما علم الحديث بسبب عدم وجود معاهد عليا للتعليم في بلادهم فكانوا إذا دخلوا بالمغرب أو

[1] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص177.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، مرجع سابق، ص177.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص25.

[4] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص178.

بتونس أو بمصر أو بالحرمين، بالشام، أو بالعراق يتتلمذون على أكابر العلماء إلى أن ينالوا منهم سعة الاطلاع والتعمق في المعارف، ويحصلون منهم على إجازات في مختلف العلوم وخصوصا علم الحديث، وكان علماء الجزائر بدورهم ينشرون هذا العلم عن طريق الإجازة ونحوها بالشروط المعروفة لديهم عندئذ وبذلك ساعدوا من جهتهم على نشر علم الحديث واظهروا العناية به وقد ساعدهم في ذلك قوة الحافظة[1]، حيث برز فيه شيوخ متطلعون ضربوا بسهم وافر فيه ولعل أبرزهم:

1- عبد العزيز الثميني الذي له تأليف سماه:

1-"مختصر حاشية مسند الربيع بن حبيب" وهو في ثلاثة أجزاء[2].

2- أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن ميمون أبو العباس بن قنفذ القسنطيني وله:

1-"شرف الطالب في اسنى المطالب"

2-"علامات النجاح في مبادئ الاصطلاح"

3-"أنوار السعادة في أصول العبادة"[3].

نجد من العلماء الذين برعوا في علم الحديث: عبد الكريم الفكون وابن العنابي وعلي بن الأمين ويحي الشاوي، إضافة إلى:

3- العالم أحمد المقري التلمساني: حيث تصدر تدريس صحيح البخاري في جامع الأزهر والمدينة المنورة والمسجد الأموي بدمشق وله:

1- فتح المتعال في مدح النعال.

2- أزهار الكماكة في أخبار العمامة.

3- الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين.

4- نبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة[4].

وكذلك عيسى الثعالبي صاحب رجز "مضاعفة ثواب هذه الأمة" وأحمد قاسم البوني الذي خلف ست مؤلفات في هذا العلم والمفتي سعيد قدورة، وعبد العزيز الثميني صاحب المختصر، وحاشية على مسند الربيع بن حبيب، وعبد الرحمان المجاجي، صاحب التأليف

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص ص25-27.

[2] نفسه، ص30.

[3] بشير ضيف بن أبي بكر ،مرجع سابق، ص66.

[4] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص125.

الكبير المعروف ب"فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث" والتي اختصر ابن أبي حمزة من صحيح البخاري[1].

أما خلال القرن (12هـ/18م) فبرع:

4- عبد الرزاق بن حمادوش: الذي تولى سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة. كما تضمنت رحلة ابن عمار المناسبات الدينية والاجتماعية التي يتلى فيها البخاري وطريقة التلاوة وزمنها ونحو ذلك[2]. أما أواخر القرن (12هـ/18م) فبرع:

5- أبو رأس الناصر : الذي كان من أكثر العلماء إنتاجا .

وكان إنتاجه متنوعا تنوع ثقافته[3]، ومن بين مؤلفاته في علم الحديث التي بلغت 08 مخطوطات نذكر:

1- "الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات".

2- "مفاتيح الجنة واسناها في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها".

3- "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى" (الزبيدي).

4- "النور الساري في شرح صحيح البخاري" في ستة أسفار[4].

5- السيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري في أربعة أسفار.

6- مختصر المعلم في شرح مسلم في ثلاثة أسفار.

7- مناعم الشفا في سفرين.

8- نزهة الفضائل في شرح الشمائل[5].

مما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد أنه برغم من عناية الجزائريين بعلم الحديث وبصحيح البخاري خصوصا فإن تآليفهم فيه لا تقارن هذه العناية، حقا إن لهم أعمالا أخرى في السيرة النبوية عموما وبعض الأعمال المستمدة من الأحاديث،ومن أبرز علماء الجزائر في هذا الميدان نذكر:

6- أحمد بن عمار بن عبد الرحمان بن عمار الجزائري (ت 1205هـ/ 1790م) وله:

---

[1] رموم محفوظ، مرجع سابق، ص226.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص26.

[3] نفسه، ص35.

[4] أبي رأس محمد بن احمد الناصري المعسكري، نبا الإيوان ، مصدر سابق ، ص17.

[5] يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص178.

1- الرحلة الحجازية.
2- لواء النصر في علماء العصر.
3- حاشية على الخفاجي المصري.

7- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت 1726م) وله :

1- أعلام الأعلام بشفاء الألام في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم.
2- طرز الحمائل على الشمائل.
3- نظم السيرة المحمدية.
4- السراج في ذكر بعض البعض من فضائل صاحب المعراج صلى الله عليه وسلم.
5- نظم أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.
6- النفحات العنبرية في نظم السيرة الطبرية[1].

وهكذا يكاد يكون ميدان التأليف في علم الحديث خاليا من بعض الأمور التقليدية، مثل الشروح والحواشي والرسائل الصغيرة والأراجيز[2].

3/: علوم الفقه:

يعتبر الفقه وأصوله عمود العلوم الشرعية ولذلك فإن درسه وتدريسه قد يبدأ من الكتاب في شكل فقه عبادات ثم يستكمل لاحقا في مراحل التعليم الأخرى لكون الحاجة الملحة إلى فهم الدين الإسلامي في مجالي العبادات التي تشمل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والمعاملات التي تشمل الزواج والطلاق والعق وبات والبيع والقضاء والوصية والجرائم كانت وراء التعجيل بظهور علم الفقه.

فالفقه هو العلم بالشيء والفهم له، لقوله تعالى: **{لهم قلوب لا يفقهون بها}**[3]، يقال: فقُه بالضم، إذ صار الفقه له سجية، وفقَه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقِه بالكسر إذا فهم[4].

---

[1] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص96.
[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص31.
[3] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 179.
[4] عبد الفتاح الزنيفي، المعتصر المفيد في فقه العبادات، ط 1، دار المعرفة، الدار البيضاء، الرباط، 2007م، ص9.

والفقه في الأصل الفهم يقال أوتي فلانا فقها في الدين[1]، أي فهما فيه لقوله تعالى: **{ليتفقهوا في الدين}**[2]، أي ليكونوا علماء به أي فهم معناه فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والوقوف على المعنى الحقيقي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد[3] ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل.

ويعرفه ابن خلدون في المقدمة "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[4].

لقد نشأ الفقه تدريجيا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة ثم تطور تطورا سريعا نتيجة عوامل كارتباطه بالدين الإسلامي وعمق اتصاله بمصادره الكريمة القرآن والسنة، وكذلك حاجة المسلمين الماسة لحل المشاكل التي تعترض الناس سواء في حياتهم العملية واليومية أو ما تعلق بأمور عبادتهم، واستمرت هذه الحاجة قائمة في كل زمان، لأن بفضل الفقه تستقيم سلوكات ومعاملات المسلمين وتنظم به أحوالهم الشخصية والدينية والاجتماعية والاقتصادية[5]، وانقسم الفقه إلى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز[6]، ومع تزايد نشاط التشريع خلال القرنيين الأول والثاني الهجريين تعددت الاتجاهات الفقهية وظهرت الكثير من المذاهب إلا أن أكثرها شهرة وأوسعها انتشارا مذاهب أهل السنة الأربعة: الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية هذا الأخير الذي اقتصر عليه أهل المغرب والأندلس متبعين تبعا لذلك الفقه المالكي[7].

حيث عرفت الجزائر منذ فجر الإسلام بمذهبها المالكي مما جعل علمائها يدرسون ويؤلفون في أصول وفروع مذهب الإمام مالك ويتعاملون في القضايا الشرعية والمعاملات وفق أراء الإمام مالك (ت179هـ/796م)، الواردة في كتابه"الموطأ" حيث يعد أصل الدروس

---

[1] خالد حسين محمود، مرجع سابق، ص92.

[2] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 122.

[3] محمد المرعشي، ترتيب العلوم، تح محمد ابن إسماعيل السيد احمد، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988م، ص158.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: كاترمير، مج 3، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ص1.

[5] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص ص207-208.

[6] عبد الرحمان بن خلدون،مج 3، مصدر سابق، ص2.

[7] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص208.

فـــي الفقـــه والحـــديث[1]، "والمدونـــة الكبـــرى" التـــي ألفهـــا تلميـــذه الإمـــام ابـــن القاســـم (ت191هـ/807م)، والذي جمع فيها أقوال وفتاوى شيخه،و"التهذيب" و"مختصر المدونة" لأبي سعيد البراذعي و"مختصر ابن الحاجب الفرعي" لعثمان بن عمر جمال الدين المعروف بابن الحاجب (ت646هـ) و"مختصر خليل" لخليل ابن إسحاق بالإضافة إلى"الوغليسية"لأبي زيـد عبـد الرحمـان الوغليسـي البجـائي (ت786هـ) ...[2]، حيـث كانـت مدرسـة مازونـة متخصصة في الفقه وكان طلبة الفقه يردون إليها من المغرب، حيث لعبت دورا حاسما في نشر الفقه المالكي ببلاد الجزائر وبالخصوص في القطاع الغربي الجزائري وقطاع شرق المغرب الأقصى كبلاد الريف ونواحي تازا، ووجدة وتخرج منها فقهاء أجلة أمثال مصطفى الرمدي الذي اعتمد تأليفه في الفقه الشيخ الدردير المصري والشيخ البناني الفاسي وأمثال الشيخ محمد بن علي السنوسي[3].

كما أنجبت تلمسان في عهودها الزاهرة أعظم الفقهاء الذين عرفتهم الجزائر تدريسا وتأليفا ومـن أبـرز العـائلات العلميـة التلمسـانية التـي اهتمـت بالفقـه "عائلـة الونشريسـي" و"المغيلي" و"المقري" و"العقباني" ومعظم أفراد هذه العائلات كانوا يترددون بين تلمسان وفاس إضـافة إلـى مدرسـة قسـنطينة والعاصـمة وخنقـة سـيدي نـاجي ...[4]، كمـا انتشـر المـذهب الإباضي في أجزاء محدودة من المنطقة.

ولكن منذ مجيء العثمانيين إلى الجزائر مطلع القرن السادس عشر الميلادي انتشر المذهب الحنفي أيضا وظهر علماء كتبوا ودرسوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي حنيفة[5]، واتخذ واتخذ المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وكان من أثاره حيث أنه كان الشخصية الثانية بعد الباشا[6]، تعيين شيخ الإسلام الحنفي للرئاسة الدينية بالبلاد وكانت له مكانة وهكذا أصبح يتمتع بالأسبقية والأولوية على المذهب المالكي غير أن ذلك لا يعني أبدا تهميش هذا

---

[5] محمد بوشافي، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م) ، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 16-17، 2014- 2015م، ص221.

[2] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص209.

[3] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص129.

[4] رموم محفوظ، مرجع سابق، ص227.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص65.

[6] نصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق ، ص126.

الأخيـر، فكانـت العلاقـة بينهمـا تتميـز بالتعـاون والتنسـيق فـي القضـايا الفقهيـة التـي تتعلـق بالمجتمع[1].

وهذا التنسيق ظهر بين الحكام العثمانيين الأوائل وشيوخ البلد وعلمائه منذ أول نزول لهم في المنطقة، وهكذا ساهمت هذه المذاهب في إثراء التراث الثقافي الجزائري من حيث الضخامة والتنوع والتسامح الذي ساد طول فترة العهد العثماني الطويل[2].

لقد ترك علماء الجزائر عدة تأليف في الفتاوى والوقف والفرائض وغيرها من القضايا التي تمس جوانب الدين المختلفة ومن بينهم:

1- أحمد بن قاسم ين محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت 1182هـ/ 1726م) وله[3]:

1- منظومات في التوقيت.

2- إظهار القوة بإحكام الباب والقوة.

3- الغوثية بإحكام بعض المسائل اللوثية.

4- إعلام القوم بفضائل الصوم .

2- عبد الرحمان بن إدريس بن محمد بن أحمد أبو زيد المنجري التلمساني (ت 1198هـ/ 1783م) وله:

1- شرح كتاب البيوع.

2- حاشية على الجعبري.

3- حاشية على المرادي. كما ألف :

3- عبد العزيز الثميني في نوازل الأرض وعمارتها في كتابه :

1- " الإلهام والانتباه في رفع الإبهام و الاشتباه" وفتوى في الحضانة سنة 1113هـ.

2- الورد البسام في رياض الأحكام

3- الأسرار النورانية على المنظومة الرائية لإبن نظر في الصلاة[4]. واشتهر العلامة :

---

[1] محمد بوشنافي، مرجع سابق، ص221.

[2] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص185.

[3] أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تح سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة، الجزائر، 2007م، ص 12.

[4] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص128.

4- أبو رأس الناصري بالعديد من المؤلفات والتي بلغت ثلاثة عشر مخطوطا في هذا العلم نذكر:

1- درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاوي والخراشي في ستة أسفار.

2- الأحكام الجواز في نبذ من النوازل.

3- نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع.

4 - الكوكب الدري في الرد بالجدري.

5- العقود الجوهرية في النوازل المعسكرية.

6- النبذ المنيفة في ترتيب فقه أبي حنيفة[1].

7- المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك.

8- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة.

9- تشنيف الإسماع في مسائل الإجماع.

10- جزيل المواهب في اختلاف الأربعة مذاهب.

11- قاضي الاوهاد في مقدمة الاجتهاد[2].

12- عقد الجوهر النفيس في ترتيب فقه الإمام محمد بن إدريس.

13- القول الأكمل في ترتيب فقه الإمام احمد بن حنبل[3].

4/: علم الكلام (التوحيد):

يعتبر علم الكلام من العلوم السائدة في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد شاع لدى الجزائريين استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيد على حد سواء، وكانوا يعتبرون هذا العلم من أهم العلوم على الإطلاق.

ويطلق على هذا العلم عدة ألقاب مثل: علوم التوحيد أو العقيدة أو الفقه الأكبر أو علم أصول الدين ولعلى أشهرها[4]:

---

[1] أبي رأس المعسكري، نبأ الإيوان، مصدر سابق، ص ص17-18.

[2] أبو رأس الناصري، الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، مصدر سابق، ص18.

[3] يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص179.

[4] زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية –مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن (10هـ/ 16م)، دار الأمان، الرباط، 2015م، ص400.

- وهو علم يبحث فيه التعريف بذات الله تعالى وصفاته الإلهية وأحوال الممكنات من المبدأ أو المعاد على قانون الإسلام[1]، ويعرفه"ابن خلدون"في مقدمته: "وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[2]، وأصل معنى التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، ويثبت هذا الكلام كذلك في الوحدة لله في الذات والفعل وفي خلق السموات والأرض ويبرهن على أن الله مرجع كل شيء.

ويهتم علم التوحيد بما يلي:

- دراسته العقائد الإسلامية الحقة والدفاع عنها مقابل آراء أهل البدع والشبهات.
- يستخدم أسلوب المحاججة الكلامية التي تعتمد على الأدلة والبراهين العقلية والنقلية لأجل الكشف عن الواقع وإثباته.
- يعتمد على المنهج الجدلي وهو يعني إسكات الخصم وإفحامه لا البرهنة لكشف الواقع وإثباته وهذا يفهم من كلمة المحاججة[3].

ونظرا لأهميته اهتم به علماء الجزائر في الفترة العثمانية، وكانت مؤلفات "محمد بن يوسف السنوسي" في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام[4]، حيث كان اعتناء السنوسي بعلم التوحيد نابعا من أنه الطريق المؤدي إلى الله وهو مفتاح جميع العلوم "فهو يعتبر هذا العلم" ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا علم التوحيد وبه يفتح له في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته به يزداد خوفه منه تعالى وقربه منه[5].

وأهم إسهاماته هي العقيدة الكبرى وهي أول ما صنف في هذا الفن سماها "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقه التقليد المرغمة انف كل مبتدع عنيد"، سار فيها على أسلوب عقيدة "ابن مرزوق الحفيد" السابقة الذكر ونزولا عند رغبة بعض قرائها قام

---

[1] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص158.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ص205.

[3] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص158.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص92.

[5] نفسه، ص97.

بشرحها سمّاه"عمدة أهل التوثيق والتسديد في شرح أهل التوحيد"، وقد تنافس الطلاب في حفظها على ظهر قلب[1].

وللسنوسي أيضا" العقيدة الوسطى"المسماة "عقيدة أهل التحقيق والتسديد" وهي أفضل من الأولى وأقرب فيها من التنبيه على جزئيات من العقائد[2]، أيضا "العقيدة الصغرى" وتسمى"أم البراهين" أو"السنوسية" لوضوحها واختصاره، وهي رسالة صغيرة الحجم تضمنت مبادئ علم العقيدة تعد من أجلّ العقائد لا تعادلها عقيدة، وهي محتوية على جميع العقائد[3]، ثم أقام شرحا مختصرا عليها وله أيضا "صغرى الصغرى" الشهيرة "بالحفيدة": وهي عقيدة صغيرة وضعها لوالد تلميذه الملالي الذي صعب عليه حفظ العقيدة الصغرى كما وضع" المقدمات البينة لعقيدته الصغرى" التي نالت شهرة كبيرة.

ومن الذين كتبوا عن العقيدة الصغرى للسنوسي نجد العالم"سعيد قدورة "[4] الذي ترك لنا" شرحا على العقيدة الصغرى للسنوسي" والشيخ الوزان صاحب" شرح على العقيدة الصغرى للسنوسي"[5]، كما وضع الشيخ خليفة بن حسن القماري شرحا كبيرا على الصغرى قسمه إلى خمسة أقسام وجعل لكل قسم أجزاء فشاعت في الجزائر تفسيرات تتخذ علم الكلام منطقيا لها فكثرت الشروح والتفاسير على عقائد السنوسي التي أصبحت تقليدا متوارثا في تدريس الطلبة وتحشية الحواشي.

سيطرت إذاً مؤلفات محمد السنوسي في التوحيد سيطرة تامة على الدارسين لهذا العلم طيلة العهد العثماني، ولم يكن ذلك مقصورا على الجزائر وحدها بل تجاوزها إلى معظم الأقطار العربية الإسلامية[6].

---

[1] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص226.

[2] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص161.

[3] زيوي زينب، مرجع سابق، ص227.

[4] هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان ويطلق عليه قدورة والجزائري، أما أصله فيرجع إلى مدينة قدورة القريبة من جزيرة جربة على الساحل التونسي هجرت أسرته في القرن العاشر إلى جزائر واستقرت بعاصمتها أما فيما يخص مولده فإن المصادر لم تذكر تاريخ مولده ولا مكانه للمزيد ينظر :عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 259 .

[5] رموم محفوظ، مرجع سابق، ص228.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص93.

إضافة إلى يحي الشاوي الذي له كتب ألفها في مصر مثل " توكيد العهد فيما أخذ الله علينا من العهد " في علم الكلام أنهاه سنة 1666م وكتابه " النيل الرقيق في حلقوم أنساب الزنديق "ألفه بمصر سنة 1681[1]

ومن علماء الجزائر أيضا الذين كتبوا وساهموا في علم الكلام نجد:

1- مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي أبو الخيرات الجزائري (ت 1137هـ/ 1724م) وله:

1- كفاية المريد في شرح عقيدة أهل التوحيد فرغ منها سنة 1124هـ.

2- حاشية على صغرى السنوسي بين فيها ألفاظ ومعاني كلام السنوسي، وأضاف إليه معارفه الخاصة وأسلوبه، انتهى الشيخ الرماصي من صغرى السنوسي سنة (1105هـ/1693م)، بلغ عدد صفحاتها ثلاثمائة.

2- محمد بن محمد بن أحمد بن قاسم ساسي البوني (ت 1139هـ/1726م)[2] وله:

1- المواهب لقدسية بنظم الوغليسية.

2- نظم عقيدة أبي منصور الماتريدي.

3- نظم عقيدة عبد القادر الجيلالي.

4- نظم عقيدة الشاذلي.

5- نظم عقيدة عبد الكريم الفكون.

6- نظم عقيدة العز بن عبد السلام.

7- نظم قواعد الإسلام الذخر الاسنى بذكر أسماء الله تعالى الحسنى.

8- نظم صغرى الصغرى –نظم الوسطى–نظم شعب الإيمان.

9- الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي.

10- نظم عقيدة محي الدين بن عرابي.

11- المنهاج المبسوط في نظم عقيدة السيوطي فرغ منه آخر شهر شوال 1128هـ[3].

---

[1] امحمد قرود، الدور الثقافي للشيخ أبو زكريا الشاوي النائلي في الجزائر والمشرق العربي (1663-1684 م)، مجلة انسنة، ع 15، 2016 م، ص 9.

[2] أحمد بن قاسم البوني، مصدر سابق، ص12.

[3] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص168.

3- يوسف بن محمد أبو يعقوب (ت 1187هـ/1773م) وله:

1- حاشية على أصول الدين لتغورين بن عيسى لملشوطي.

2-حاشية على كتاب الديانات لعامر الشماخي في التوحيد.

3-حاشية على ديباجة شرح العقيدة لأحمد الشماخي.

4- عبد القادر بن محمد الراشيدي مفتي مدينة قسنطينة (ت1237هـ/1780م) وله:

1-كتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها.

2- رسالة في تحريم الدخان.

3-رسالة في وزن الأعمال.

4-حاشية في شرح السيد للمواقف العضدية.

5- فتاوى.

5-أحمد المقري[1] وله المنظومة المسماة :

1-" إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة "التي نظمها في خمسمائة بيت تناول فيها أصول الدين وقضايا التوحيد[2]. وكذلك الشيخ :

6-الحسين الورثيلاني: حيث اهتم بالعقائد ووضع حواشي على شرح صغرى السنوسي، والتي شرح فيها أرجوزة محمد بن عبد الرحمان الحوضيني المشهورة بـ: "واسطة السلوك"،ومن بين مؤلفاته:

1- شرحه أيضا على محصل المقاصد للإمام أبي العباس احمد بن زكريا لتلمساني[3].

2- شرح على وسطى الإمام السنوسي[4].

3- شرحه على الخطبة الصغرى المسمى" بمقدمة شرح السنوسي على صغراه"[5].

4- حاشية على حاشية الكتاني على شرح السنوسي.

---

[1] ولد أحمد بن أحمد المقري القرشي المكنى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين سنة 986 هـ بمدينة تلمسان وأصل أسرته من قرية مقرة ونشأ بتلمسان وطلب العلم فيها للمزيد ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تح حان عباس، مج 1، دار صادر، بيروت، ص 5.

[2] عبد الغني النابلسي، رائحة الجنة في شرح إضاءة الدجنة لأحمد المقري، دار الكتب، بيروت، 1971م، ص6.

[3] الحسين بن محمد الورثلاني، مصدر سابق، ص5.

[4] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص23.

[5] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية، مرجع سابق، ص236.

5- حاشية على حاشية المحقق السكتاني على أم البراهين[1].

7- عبد الرزاق ابن حمادوش: رغم عناية الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش بالفلك والطب فإنه تأثر بتيار العصر فكتب شرحا على العقيدة الكبرى، ووضع كتابا سماه "مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى" وهو "شرح حول العقيدة الكبرى للسنوسي"، وقد قال أنه مزج به ألفاظها واستخرج به نظارها فجاء "بحمد الله يرضي الناظرين ويعين القاصرين" مشتملا على خمس وستين مبحثا وأخبر ابن حمادوش أن شرحه قد اشتمل على تسع عشرة كراسة.

8- أبو رأس الناصري :

وقد فاخر أبو رأس الناصري بأنه لم يتفوق عليه في كثرة التأليف في هذا العلم إلا السيوطي. ومن تأليفه بالطبع ما يتناول مسائل التوحيد وقضايا الدين عموما، ومن بين ذلك:

1- المعالم الدالة على الفرق الضالة.

2- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة.

3- فتح الإله في التوصل إلى حكم ابن عطاء الله.

4- الكتاب الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي.

5- تشنيف الإسماع في مسائل الإجماع.

6- إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس.

7- أساس البنيان لشرح الجمان.

8- كشف النقاب ورفع الحجاب على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة.

9- القول الأنفع في مناقب الأئمة الأربع.

10- جزيل المواهب في اختلاف الأربعة المذاهب.

11- قاصي الوهاد في مقدمة الاجتهاد[2].

12- الزهر الأكم في شرح الحكم.

13- الفتح القدوسي في شرح كبرى السنوسي.

14- فتح الإله إلى التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله.

---

[1] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني، مرجع سابق، ص206.

[2] أبو رأس، نبا الإيوان، مصدر سابق، ص ص17-18.

15- كفاية المعتقد ونكاية المنتقد[1].

5/: علوم التصوف:

يعد علم التصوف جزءا أساسيا من التراث الإسلامي، حيث تبوأ مكانة هامة في الفكر العربي الإسلامي، والاهتمام بالتصوف قديم ألف فيه الفلاسفة كابن سينا والغزالي وابن خلدون، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام ولم يتفق هؤلاء على رأي واحد سواء تعلق الأمر بحدوده أو أصوله، فالتصوف ليس ظاهرة إسلامية خاصة بل أن جذوره وعروقه تمتد في أي فكر ديني عموما.

ج: نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر:

التصوف ظاهرة دينية ومفهوم معين للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة حتى ترتكز وترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان[2]، فالتصوف في البداية كان حركة بدأت بالزهد والورع ثم تطورت إلى علم ونظام شديد في العبادة، وصارت اتجاها نفسيا وعقليا وسلوكا وعملا وعبادة.

وعلى الرغم من ظهور التصوف وانتشاره في بلاد المشرق الإسلامي، إلا أن مجتمع المغرب الإسلامي كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله حتى أوائل القرن الخامس هجري على أكثر تقدير[3]، ونتيجة لتطور التصوف ظهرت الطرق الصوفية التي تعتبر بغض النظر عن توجهاتها الفكرية والسلوكية المختلفة؛ من أهم مكونات المجتمع لفترة طويلة من الزمن فالمؤرخون يتفقون على أنها بدأت في الانتشار في الجزائر، وكسب نفوذ اجتماعي لها فيها بل أحيانا تعدى إلى النفوذ السياسي ابتداء من القرن السادس عشر ميلادي ثم أخذت تنموا وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول

---

[1] محمد أبو رأس، فتح الإله،مصدر سابق، ص181.

[1] التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939م)، منشورات كلية الآداب، تونس، 1982م، ص25.

[3] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص231.

من القرن التاسع عشر ميلادي وهي بذلك تشكل جزءا مهما من تاريخ الجزائر الديني والثقافي والاجتماعي بل السياسي[1].

أما في الجزائر فبدأ التصوف نظريا ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري إلى الناحية العملية، وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل والمناطق المحيطة بها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رجالات التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحي العيدلي والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان، ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى[2].

حيث شاع في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ وبذلك اخذ التصوف يدخل من شرق الجزائر ومن غربها،ومع بداية القرن (10هـ/16م) ازدهر التصوف وتطور مع دخول العثمانيين حيث كان الحضور الصوفي أهم ما يميز هذه الفترة من حكم العثمانيين بالجزائر لأن الترك كانوا في تكوينهم الديني والنفسي والحربي من أتباع الطرق الصوفية فالطريقة "البكداشية" كانت منذ ظهورهم تقودهم وتؤثر فيهم، وتحميهم وتدفع بهم إلى الجهاد والمغانم وتبارك أعمال فكانوا يدينون لرجالها بالولاء ويتبركون بهم وينظرون إليهم نظرة المريد لشيخه والسيد لسيده ثم تعدد الطرق الصوفية وتأثيراتها على الترك[3].

وهكذا شهدت الجزائر سيطرة روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية، ونتيجة لذلك كثر الإنتاج في هذا المجال فنجد كتب في التصوف تناولت الأذكار والأوراد والمناقب والشروح تخص القصائد الصوفية، حيث كان التأليف في علم التصوف اكبر علم عكس بقية العلوم الأخرى، في الفترة العثمانية[4]، إذ راج في المجتمع العثماني بوصفه نزعة دينية تقوم أساسا على الإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها.

---

[1] نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار علي بن زيد، الجزائر، ص74.

[2] طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، ع 14، 2013م، ص136.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص459.

[4] عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني، دار هومة، الجزائر، 2016م، ص250.

وقد انتشر في العهد العثماني وكثر كثرة مفرطة في الزوايا التي تميزت بانتشار الطرق الصوفية، فكثرت بذلك المباني المخصصة للطرق خاصة في ظل تشجيع السلطة لهذه الطرق[1]، فعاش فيها المتصوفة ورجال الدين يقيمون العبادات ليبلغ عددها ما نحو العشرين طريقة؛ وهي تختلف اختلافا بينا في كثير من جوانبها كمدى تأثيرها الثقافي والسياسي في مجرى تاريخ هذا البلد ومن أشهرها[2]:

- الطريقة القادرية:

هي أول طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي تأسست في بغداد القرن الثاني عشر ميلادي، وسميت بالقادرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني (ت561هـ)[3]، وهي تعتبر أساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر ،وقد تفرعت عنها "الشاذلية"[4]،وتتميز عن غيرها من الطرق الصوفية بظاهريتها وترجيحها للشريعة على الحقيقة وكثرة طوائفها وفروعها[5].

- الطريقة الرحمانية:

تأسست خلال القرن (12هـ/18م) مؤسسها هو الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري(1208هـ/ 1793 م)المعروف أيضا نستبه إلى زواوة والى الأزهر (الزواوي والأزهري)[6].

وانتشرت الرحمانية بسرعة[7]، وكانت تستحوذ وحدها على أكثر من 50 بالمائة من عدد الزوايا في الجزائر[8].

---

[1] دخية فاطمة، مرجع سابق، ص22.

[2] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (1518-1830م)تأثيراتها الثقافية والسياسية، أطروحة دكتوراه حديث ومعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015م، ص27.

[3] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص101.

[4] زيزاح سعيدة، ظاهرة الطرق الصوفية والتغيير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، مجلة الباحث، ع11، الجزائر، 2012م، ص202.

[5] محمد الظريف، الحركة الصوفية وأثرها أدب الصحراء المغربية، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000م، ص181.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص506.

[7] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص126.

[8] نور الدين أبو لحية، مرجع سابق، ص86.

- **الطريقة التجانية:**

هي طريقة صوفية ظهرت في أواخر القرن (12هـ/18م) على يد مؤسسها الشيخ أحمد التجاني (ت1239هـ) المكنى بأبو العباس احمد بن محمد بن المختار ابن سالم التجاني[1]، هذا الأخير الذي أخذ عنه مشاهير الصوفية واخذ عنهم في المغرب الأقصى[2]، وقد تواجدت مراكزها في الجزائر في العهد العثماني في"عين ماضي وتيماسين والأغواط وتوقرت وورقلة ووادي سوف"[3].

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد انه بقدر ما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر، خلال العهد العثماني بقدر ما كثر إنتاج العلماء في هذا الميدان، وتنوعت الكتب والرسائل والمنظومات التي تتناول التصوف من قريب أو بعيد كالأذكار والأوراد والردود والمناقب والمواعظ والحكم والشروح الخاصة بالقصائد الصوفية والمدائح النبوية التي تنظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة صوفية وروحانية.

وتعتبر أعمال ابن صعد "النجم الثاقب" على الخصوص، وأعمال محمد بن يوسف السنوسي، وتأليف احمد النقاوسي"الأنوار المبنلجة في الأسرار المنفرجة" على قصيدة ابن النحوي، وعبد الرحمان الثعالبي وغيرهم مصادر هامة للتأليف في علم التصوف وفروعه[4].

حيث عكف على دراستها وتدريسها عدة علماء أمثال: ابن مريم وابن الفكون والحسين الورثيلاني والبطيوي.

فتعددت التآليف في هذا السياق منها "رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق" لأحمد بن يوسف الملياني و"رسالة عقد الجمان في تكملة البستان"التي جمعها الشيخ بن محمد الهاشمي وكلها رسائل في المناقب الصوفية التي تتصل بسيرة الشيخ في حياته الطرقية، غير أن "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق الأهل الفوز والصلاح" للبطيوي يعتبر من أهم كتب المناقب، فبعدما ذكر خصال شيخه ابن مريم خص جزءا هاما منه حول الحياة الدينية والاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما أفرد فصله كاملا من مطلب

---

[1] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص137.
[2] زيزاح سعيدة، الطريقة التيجانية – النشأة والتطور– ،مجلة العلوم الاجتماعية، الجزائر، ع 9، 2014م، ص73.
[3] نور الدين أبو لحية، مرجع سابق، ص110.
[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص112.

الفوز ولـي أشبـاه العلمـاء والمتصـوفة بعد تفشـي الـدجل والشـعوذة فـي السـنوات اللاحقـة مـن الحكم العثماني[1].

إضافة إلى:

1- أحمد بن ثابت الحسني البجائي (ت1152هـ/1739م) وله :

1 "التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار".

2- عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان أبو القاسم البجائي (ت1181هـ/1767م) وله :

1- "تبصرة القلوب"

2- " شمس القلوب"

3- "محجة السعادة "

4- " قطب العارفين"

5- "مقامات الأبرار والصدقين"[2].

3- عبد الكريم ابن الفكون وله:

1- "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية".

أما شروح الأعمال الصوفية فقد كان إنتاجها قليلا خلال العهد العثماني، حيث وجدت بعض أراجيز وقصائد وفنون نثرية اهتم الجزائريون بشرحها مثل "عقد الجمان النفيس" و"شرح قصيدة حزب العارفين" و"النفحات القدسية"، كما اشتهر أيضا محمد بن أحمد الشريف الجزائري بشروحه الكثيرة على أعمال غيره وعلى بعض الأحاديث النبوية من ذلك شرحه لقصيدة "الدمياطي" اللامية في التصوف، وقد سمي الجزائري شرحه عليها باسم "القول المتواطي في شرح قصيدة الدمياطي"، كما وضع الحسين الورثيلاني شرحه على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمان الأخضري وسماها "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح الألفاظ القدسية"[3].إضافة إلى :

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص129.

[2] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص250.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص130.

4- **عبـد القـادر المشرفي:** الذي وضـع نظمـا سماه "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط" وهو نظم على "الدرة الشريقة في الكلام على أصول الطريقة لمحمد بن علي الخروبي"[1].

ومن أهم الأعمال الصوفية شرح :

5- **محمد بن سليمان بن الصائم:** المسمى " كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين" وقصيدة "حزب العارفين" نظمها موسى بن علي اللالتي التلمساني وهي قصيدة في أهل التصوف وفي أحوال العصر.

6-**الحسين الورثلاني:** الذي قدم في القرن (12هـ/ 18م) حيث كان يكثر من دراسة أهل التصوف مستندا على مقاله الإمام مالك بن أنس"من أن الصوفي الذي لا يتعلم الفقه يعتبر زنديقا، وأن عالم أصول الدين الذي لم يدرس التصوف يعتبر فاسقا، وغرق رغم علمه فيما، غرق فيها بن مريم والصباغ والبطيوي وغيرهم، وأكثر الحديث عن أعمال المتصوفة ونسبه الخوارق والكرامات لهم فقد أخذ يزور القبور، ويصلي حولها ولا يكاد يسمع بصالح حقيقة أو خرافة إلا زاره وأخذ البركات منه[2].

ومن جهة أخرى غاص هو إلى أعماق التصوف فدرس النظريات الصوفية من كتبها وسيرة أصحابها وحاول صيام الدهر فلم يستطيع فقد ظل ثلاثة أيام صائما عن كل شيء إلا جرعة ماء ثم اضطر لإبطال صومه في اليوم الرابع عندما أحس بالتعب والجوع، وكان مذهبه في التصوف هو إتباع الطريقة الشاذلية، وافتخر الحسين الورثلاني بأنه زار عددا كبيرا من الأولياء و الصلحاء من تلمسان إلى عنابة وقد خصص قسما كبيرا من رحلته للحديث عن المرابطين والصلحاء والشرفاء[3]، فعدّ حوالي خمسين منهم في جبل زواوة وحوالي عشرين في بجاية وضواحيها وغير ذلك، وكان جميعهم في نظره مقربين إلى الله تعالى وأقطابا واضحين واطوادا شامخين في العلم والعرفان،كما أورد عددا من أقطاب التصوف في المشرق الذين لقيهم أثناء حجاته وأجازوه مثل:

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص133.

[2] نفسه، ص478.

[3] الحسين بن محمد الورثيلاني، مصدر سابق، ص5.

- عبد الوهاب العفيفي الذي اخذ عليه الورثلاني الطريقة الشاذلية، كما تحدث عن النبي خالد وضريح الاخضري وسيدي عقبة والصحابي أبي لبابة، وقارن خنقة سيدي ناجي بمكة وزار في بجاية القبر المنسوب "لعبد القادر الجيلاني"، وتحدث عن حياة أبي مدين الغوث في بجاية وتلمسان وروي قصة عبد الحق الاشبيلي مع زندنيق بجاية وأميرها، وكان يروي على المشعوذين والحمقى ويعتبر الجميع أولياء صالحين ونسب إليهم الجذب وطريق القوم[1].

اعتبر الورثلاني رتبة الولاية والصلاح غير مقصورة على العلماء والمثقفين لأنه في للعوام المجذوبين كلام في المعرفة والمحبة والوعظ يحرك القلوب ويفتنها غير انه عليه كسوة البربرية الذي يفهمه يذوقه ذوقا معتبرا يسلب العقل.

ومن بين مؤلفاته في هذا العلم نذكر:

1- تصانيف شرحه على القدسية للإمام عبد الرحمان الأخضري وهو شرح حسن إذ لم نعلم لها شرح غيره.

2- وضع رسالة عجيبة على قول بعض الأولياء(لعله أبي الحسن الشاذلي): "وقفت على ساحل وقفت الأنبياء دونه".

3- له رسالة أخرى في بعض قول الأولياء "تسحب برنسا من ماء وغطيت به من الأرض إلى السماء".

4- له حاشية على صغير الخرشيم زبورة على هوامش الشرح[2].

5- شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار[3].

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن التأليف في التصوف كان أكثر من تدريسه على عكس بعض العلوم الأخرى.

7- **أبو رأس الناصري**: حيث برع في هذا العلم ومن بين مؤلفاته:

1- الزهر الأكرم في شرح الحكم.

2- فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله.

3- كفاية المعتقد ونكاية المنتقد[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص480.

[2] الحسين بن محمد الورثلاني، مصدر سابق، ص6.

[3] بشير بن أبي بكر ضيف، مرجع سابق، ص223.

[4] محمد أبو رأس، فتح الإله، مصدر سابق، ص181.

4- التشوق إلى مذهب التصوف.
5- الكتاب الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى.
6- إيضاح الغميس لشرح العقيد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس.
7- أساس البنيان لشرح الجمان للشيخ عبد الرحمان.
8- كشف النقاب ورفع الحجاب على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة.
9- القول الأنفع في مناقب الأئمة الأربع[1].

لقد شملت التآليف في التصوف المواعظ والأذكار والأدعية والأوراد وغيرها، من المواد الصوفية التي اعتنى الزهاد المتصوفة بها ومن أشهر كتاب الأوراد والأدعية أحمد بن يوسف الملياني في أوائل القرن الحادي عشر وأحمد بن قاسم بن محمد الساسي البوني في القرن الثاني عشر وأشهر مؤلفاته: "حث الوارد في حب الأوراد" و"النور الوضاح الهادي إلى الفلاح"[2].

8- **يحي الشاوي:** وألف رسالة ذات طابع فلسفي سماها "النبل الرقيق في حلقوم أنساب الزنديق"، وعرف سعيد بن علي الشلّاطي بكتاب في هذا الميدان "الوعظ والأذكار وحكايات الصالحين والأبرار"، أما في المواعظ فقد كثرت التآليف وتنوعت المواضيع

9- **محمد ساسي البوني:** حيث ألف عملا في الوعظ سماه "النور الوضاح الهادي إلى الفلاح".

10- **بركات بن عبد الرحمان بن باديس:** ألف العديد من الكتب منها: "مفتاح البشارة في فضائل الزيادة" وله قصيدة "شفاء الأسقام والتوسل ببدر التمام"،كما ألف محمد بن سليمان الصائم كتابا سماه "حياة القلوب وقوت الأرواح في عمارة الملوين وأوراد المساء والصباح"[3]، وقد جمع علماء الجزائر خلال العثماني بين التصوف والطب ومن أشهرهم نذكر:

11- **أحمد بن قاسم البوني:** الذي له العديد من الكتابات في هذا الموضوع منها:
1- "إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة".
2- "إتحاف الأنباء بأدوية الأطباء" و"مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب".

---
[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص180.
[2] بشير بن أبي بكر ضيف، مرجع سابق، ص217.
[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص138.

3- "حث الوارد على حب الأوراد". كما اهتم أيضا:

12- محمد بن أحمد الشريف الجزائري بالتأليف في هذا الميدان وقد سماه:

1- "المن والسلوى في حديث لا عدوى "في الطب النبوي"

2- "سجلات المسرات بشرح دلائل الخيرات في الأدعية والأذكار".

13- محمد بن أحمد بن عزوز البرجي رسالة في التصوف أسماها:

1-"قواطع المريد" وهي تتناول التصوف السني البعيد عن البدع والضلالة[1].

أما الرسائل الصوفية التي كثرت مع أوائل القرن التاسع عشر الميلاد على يد العلماء ورجال الطرق الدينية أهمها أرجوزة "محمد بن عزوز البرجي"، "رسالة المريد" و"المنظومة الرحمانية" لعبد الرحمان باش تارزي، و"المراثي الملكية في آداب الطريق والأدعية" لمحمد الزجاي[2].

ثانيا: العلوم اللسانية:

عُرفت في الجزائر خلال العهد العثماني العلوم اللسانية المتمثلة في اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ أن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفيه بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فنا فنا.

وقد حظيت هذه العلوم بإقبال كبير من قبل الكتاب والشعراء وكذلك علماء الدين لما لها من اتصال وثيق بعلمي القرآن والحديث خاصة، وبالعلوم الدينية على وجه العموم لأن الدارس لا يستطيع أن يصل إلى أسرار القرآن وفهم معانيه دون الإلمام بمبادئ اللغة، لذا كانت الدعوات للأخذ بهذا العلم لما لها من أهمية كبيرة[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص 144-145.

[2] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص130.

[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، مصدر سابق، ص367.

1/: علوم اللغة:

وهو علم يتناول بيان الموضوعات اللغوية باحثا عن مدلولات جواهر المفردات وهيئتها الجزئية، يقوم بإيضاح المعاني بالألفاظ الفصيحة والأقوال البليغة، والغاية منه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية.

وقد اهتم الجزائريون خاصة منطقة زواوة بالدراسات اللغوية التي ذاع صيتها وأصبحت قبلة للطلاب من الداخل والخارج، وبالخصوص مدرسة بجاية التي تخرج منها أكبر علماء الجزائر في اللغة[1] أمثال:

1 – أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أبو العباس البوني (ت 1726م) الذي ألّف الكتب التالية:

1- إعانة المعاني بما للفظ العجز من المعاني

2- انس النفوس بفوائد القاموس.

3- تنوير الحجا بأسرار الحجا.

4- نبذ العجم على لامية العجم[2].

2- الشيخ بلقاسم بن محمد البجائي من أهل القرن 17م صاحب:

1- "شرح شواهد القطر والشذور".

3- محمد بن يحي البجائي من أهل القرن السابع عشر الميلاد صاحب:

1- "شرح لامية الأفعال".

- أمّا خلال أواخر القرن (12هـ/18م) فقد برع:

4- العلامة أبو رأس الناصر: وله ثلاثة مخطوطات هم:

1- ضياء القابوس على كتاب القاموس.

2- الضابط المختصر من الأزهري على قواعد القاموس الجوهري.

3- رفع الأثمان في لغة الولائم الثمان[3].

وقد اعتمد علماء اللغة علمي النحو والصرف.

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، مصدر سابق، ص370.

[2] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص355.

[3] أبو رأس، فتح الإله، مصدر سابق، ص181.

2/: علوم النحو والصرف:

يعتبر علم النحو أو ما يسمى بعلم الإعراب أصل علوم العربية وأقدمها نشأة وأغزرها مادة وتأليفا، إذ يعد قانون اللغة العربية وميزان تقويمها فهو علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إعرابا وبناء، فهو علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية من حيث دلالتها عليها.

لقد أخذ التأليف والاعتناء في النحو نصيبا خاصا وإنتاجا طيبا في العهد العثماني[1]، ومما تجدر الإشارة إليه أن علم النحو لا ينفك عن علم الصرف؛ وهما علمان متلازمان فعلم الصرف هو العلم الباحث عن الكلمة المفردة من حيث ما يعرض لها من صحة واعتلال وإبدال[2]، فهو علم بأصول أبنية الكلام وأحوالها قبل تركيبها يبحث عن بنية الكلمة وتحويلها من هيئة إلى أخرى، إما لتغيير في المعنى وإما لتسهيل في اللفظ ويرتبط في غرضه وغايته بعلم اللغة من حيث أنه يهدف للابتعاد عن الخطأ، وتحصل ملكه ما يذكر بها من الأحوال[3].

لقد اهتم علماء الجزائر العثمانية بعلم النحو والصرف على وجه الخصوص على عكس العلوم الأخرى، وتركوا لنا إنتاجا طيبا فيه وتعد زواوة مدرسة هامة "لعلم النحو" وبالإضافة إلى زواوة اشتهرت زاوية سيدي خنقة ناجي بالنحو[4]، وقد كانت دراسة النحو ومبادئه الأولية على الأقل ضرورة في جميع الأوساط المثقفة بما في ذلك أوساط العلماء؛ الذين كان شغلهم الشاغل في العلوم الدينية والشرعية وقد أنجزت عن ذلك بالضرورة عبر التاريخ، زيادة تكون متواصلة في عدد المؤلفات النحوية سواء كانت شروحات أو مؤلفات أصلية ولعل أهم العلماء الذي أثروا علم الصرف ونحو نذكر:

1- قاسم بن عبد الله المرادي المالكي :لقد ألف كتابا سماه:

1- "شرح في النحو" وهو يختص بقواعد الإعراب والتفصيل فيه ويبدو أن صاحبه كان متأثرا إلى حد كبير بسيبويه وبطريقة المشارقة في النحو خاصة الكوفيين منهم، هذا الشرح سيضع

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، 118.

[2] زهراء النظام، مرجع سابق، ص401.

[3] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص ص241- 242.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص157.

عليه سعيد قدوره "حاشية" على شرح خلاصة المرادي وقد سماها "رقم الريادي على تصنيف المرادي"[1].

2- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري (ت1041هـ/1631م) وله:

1- إتحاف السيادة بضابط حروف الزيادة.

2- إعراب القرآن.

3- التحفة المكية في شرح الأرجوزة الألفية[2].

3- يحي الشاوي وله:

1- "نظم لامية في إعراب اسم الجلالة" جمع فيه أقوال النحاة وشرحها.

2- شرح على التسهيل لابن مالك.

3- حاشية على شرح المرادي[3].

4- أحمد بن قاسم بن محمد ساسي أبو العباس البوني (ت 1139هـ/1726م) وله:

1- تحفة الأريب بأشراف الغريب.

2- نظم الأجرومية.

3- شرح لامية الأفعال لابن مالك.

4- نظم القطر لابن هاشم.

5- شرح نظم الأجرومية.

6- الألغاز.

7- تعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة.

8- مجموع في السماع[4].

5- عبد الكريم الفكون: كما ألف الفكون عدة كتب في النحو والصرف من ذلك:

1- فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف حيث ألفه سنة (1048هـ/1639م).

2- فتح الهادي في شرح جمل المجرادي.

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، 118.

[2] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص333.

[3] عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص258.

[4] بشير ضيف بن أي بكر، مرجع سابق، ص333.

3- كتابه الكبير "فتح المولى بشواهد ابن يعلى".

4- شرح على أرجوزة المكودي في التصريف[1].

6- سعيد قدورة: ومن الذين وضعوا حاشية على شرح الخلاصة المرادي كذلك سعيد قدورة بعنوان:

1_ "رقم الأيادي على تصنيف المرادي".

كما تميزت الأجرومية وألفية ابن مالك بمكانة هامة لدى الجزائريين، فوضع محمد الصباغ القلعي تأليفا بعنوان "الدرة الصباغية في شرح الجرومية"[2].

فظهرت مدرسة هامة في علم النحو بالزواوة نظرا للدراسات النحوية التي تقدم بها كل من يحي بن معطي الزواوي، وأبو جميل القائد الزواوي القسنطيني[3]. وهو الأمر الذي شد انتباه الورثيلاني في ذكره في رحلته يقول: "إن النحو كان يعتني به هناك الكبير والصغير واشتهروا به اشتهارا بينا، والأمر نفسه لابن حمادوش حيث ضرب في رحلته مثلا لبعض الطلبة محاولا إقناعهم بضرورة تعلم الحساب والنحو بأن أهل تونس وأهل الأندلس كانوا يبدؤون أولادهم بتعليم هذين العلمين ليذوقو لذة العلم:

7- عبد الرزاق ابن حمادوش: إن النحو والحساب من العلوم التي تفتح شهية التلاميذ لأنها من العلوم العقلية، ومن بين مؤلفاته في هذا العلم نذكر:

1-حاشية على ألفية ابن مالك، سماها "السائح في حواشي المتن الشارح"[4].

8- أبـو رأس الناصـري: فقد ألـف فـي هذا البـاب ومـن بـين تأليفـه فـي علـم النحـو خمسـة مخطوطات:

1- الدرة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة.

2- النكت الوفية، شرح المكودي على الألفية.

3- نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة.

4- عماد الزهاد في إعراب: كَلَاشيء وجئت بلا زاد[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص160.

[2] نفسه، ص161.

[3] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، 118.

[4] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص336.

[5] أبي رأس الناصري، نبا الإيوان، مصدر سابق، ص18.

5- بغية المرتاد في كَلَا شيءٍ وجئت بلا زاد[1].

3/: علوم البيان والمعاني والبديع:

إن العلوم اللغوية كثيرة ومتعددة ومنها علوم البيان والمعاني والبديع، ورغم أهميتها إلا أن التأليف فيها كان نادرا ولم يهتم به الجزائريون عكس اهتمامهم بالعلوم الشرعية وعلوم التصوف.

وتعد علوم البيان علوما حديثة علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني؛ فهو معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، والهدف منه هو تحصيل ملكة لإفادة بالدلالة العقلية وفهم مدلولاتها واختيار الأوضح منها مع فصاحة المفردات[2].

فـن البيــان علــم مـــا بـــه عـــرف *** تأديــة المعنـــــى بطــــرق مخـــــتلف

وضوحـــها واحصـــره في الثلاثــــــة *** (تشبيـــــه) أو(مجـــاز) أو (كنايــــــة)[3]

وقد اشتهر به **أبو رأس الناصري** وله مخطوط في هذا الباب وهو:

1- كتاب "نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتازاني"[4].

أما علم المعاني ويسمى أيضا بعلم البلاغة وهو من العلوم اللسانية ونعني به[5]:

علــم به لمقتضـــى الحــــال يـــري *** لفـــظ مطابقـــا وفيــــــه ذكــــــرا

إسنــــاد، مسنـــد إليـــه مسنــــــد *** ومتعلقـــــات فعــــــل تــــــــورد

قصـــر وإنشاء وفصــل وصـــــل أو *** إيجـــاز إطنــــــاب مســــــــاواة رأوا

لقد أسهم الجزائريون في العهد العثماني في ميدان البيان والمعاني والبديع، حيث قام **عبد الله بن أبي القاسم الثعالبي** بشرح قصيدة الحلي شرحا بلاغيا سماه "أنوار التجلي على

---

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص179.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، مصدر سابق، ص373.

[3] عبد الرحمان بن صغير الاخضري، الجوهر المكنون في صدق الثلاثة الفنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر، دم، ص34.

[4] أبي رأس الناصري، نبا الإيوان، مصدر سابق، ص20.

[5] عبد الرحمان بن صغير الأخضري، مصدر سابق، ص24.

ما تضمنته قصيدة الحلي"، **وقام محمد بن محمد بن علـي الجزائـري** بشرح الجوهر المكنون سماه "موضع السر المكنون على الجوهر المكنون".

واشتهر **علي بن عبد القادر** المعروف بابن الأمين بتأليفين الأول: رسالة في أما بعد في حدود 1186هـ، والثاني "حاشية على مختصر السعد"[1].

وقد اقتصر التأليف في البلاغة على كتاب الاخضري "الجوهر المكنون" والذي أصبح مرجعا وضـع عليـه اللغويـون العديد من الشـروح كشـرح **عبـد الكـريم الفكـون** إضـافة إلـى التحقيقات الاعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية للعالم **محمد بن محمود العنابي**، وكذلك **أبو رأس الناصري** من خلال كتابه الجوهر اليماني في توضيح ما صعب من المعاني[2].

مـن خـلال مـا سبق يمكـن القـول أن العنايـة بالبلاغـة كعلـم قـائم بذاتـه ضـعيفة عنـد الجزائـريين، وأن اعتمـادهم فـي التـدريس كـان علـى عمـل الأخضـري وعلـى تلخيص"المفتـاح" وغيرهما[3]، أما علم البديع فهو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بها فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[4].

علـم بــه وجـــوه تحسيـــن الكـــلام *** تعــرف بعــد رعـــي ســابق المـــــرام
ثـــم وجـــوه حسنــــة ضربـــــان *** بحســـب الألفـــاظ والمعـــــــاني

وكـان سـهل المأخـذ وصـعبت علـيهم مأخـذ البلاغـة والبيـان لدقـة أنظارهمـا وغمـوض معانيهما[5]، ومن بين من ألف في هذا العلم أبو رأس الناصري بكتاب:

1-عقد الدر السطيع في تبين أنواع علم البديع[6].

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص119.

[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص180.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص ص169 -170.

[4] عبد الرحمان بن صغير الأخضري، مصدر سابق، ص41.

[5] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص373.

[6] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سابق، ص180.

4/: علوم العروض والقوافي:

إن علم العروض هو علم يعرف منه صحيح أوزان الشعر من فاسده وما يعتريه من زحافات وعلل، وأنواع الأوزان المستعملة المسماة بالبحور، وكيفية تحليلها إلى أجزائها المسماة بالتفاعيل.

أما علم القوافي هو علم تُعرف منه أحوال نهايات الشعر على أي وجه تكون، وكم هي وأي النهايات بحرف وأيها بأكثر من حرف، وكم أكثرها وما يجوز أن يبدل منها بما يساويه[1]، وكانت التآليف في قواعد العروض قليلة جدا رغم جودة الأشعار، ومن هذا القليل شرح سعيد قدورة على"الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية" للخزرجي المعروف بأبي الجيش المغربي والذي سماه "شرح المنظومة الخزرجية"[2]،إضافة إلى:

1- أحمد بن العباس أبو العباس النقاوسي (ت بعد 765) وله:

1- إيضاح السبيل إلى قصد الجليل في علم الخليل.

2- الروض الأريض في علم القريض.

2- أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي الجزائري (ت 380هـ) وله :

1- شرح على الخزرجية في العروض.

3- أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي أبو العباس الونشريسي (ت914هـ) وله:

1- شرح الخزرجية[3].

4- بركات بن باديس وله:

1- شرح المنظومة الخزرجية.

5- أبو رأس الناصري: برع كذلك في هذا العلم بمخطوط:

1- "شرح مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار"[4].

---

[1] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص252.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص171.

[3] بشير ضيف بن أبي بكر، مرجع سابق، ص432.

[4] أبو رأس الناصري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مصدر سابق، ص14.

5/: علوم الأدب:

يعتبر هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو[1].

فالأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف[2]، وهو ما يعبر عن معنى الحياة بأسلوب لطيف جميل سواء كان شعرا أو نثرا، وينقسم الأدب إلى قسمين الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية "ومنه المدح، والهجاء والرثاء"والنثر هو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام[3].

أ: النثر:

ونعني بالنثر الفني والأدبي وهو يشمل كل المقامات والرسائل الرسمية (الديوانية) والإخوانية والوصف والتقاريظ والتعازي وعقود الزواج التي تفنن فيها أصحابها والإجازات المنمقة، والشروح الأدبية والقصص والخطب التي تميز بها الأدب الجزائري خلال العهد العثماني، رغم وجود الكثير من الصعوبات التي تعيق نموه وهي:

- سيادة اللغة العربية في الأوساط الرسمية ومزاحمة اللغات الأوربية الأخرى وبعض اللهجات المحلية التي كانت تعيق حركية اللغة العربية.
- عدم تذوق الحكام للأدب نظرا لاختلاف ثقافتهم ولغاتهم، مما أدى إلى عدم تشجيع الأدباء والشعراء.
- اقتصار نشاط الفئة المثقفة على الوظائف الرسمية التي لا علاقة لا بالأدب مما أدى إلى ذوبان المواهب في رتابة الإدارة.
- هجرة العلماء والأدباء نحو المشرق والمغرب العربيين نتيجة لعدة ظروف سياسية واجتماعية.

---

[1] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص255.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، مصدر سابق، ص276.

[3] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص255.

- شيوع اللحن على ألسنة الكتاب والمدرسين، فظهرا لونان شعريان دخيلان على الشعر هما الشعر الملحون والشعر الفصيح المكسور؛ اللذين كانا بمثابة ثورة على الأوضاع السياسية والأخلاقية المتردية[1].

وقد كان الأدب الجزائري في العهد العثماني غنيا ببعض هذه الفنون كالرسائل والتقاريظ ولكنه كان فقيرا في بعضها كالخطب والقصص[2]، فالشروح الأدبية نقصد بها شرح الأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية بوجه عام، وشرح الأعمال الأدبية بوجه خاص والشرح الأدبي قد يكون على قصيدة أو عمل آخر لغيره من ذلك قصيدة سعيد المنداسي المسماة "العقيقة" في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والصحابة والأنصار والبقاع المقدسة[3].

هذه القصيدة التي حظيت بشروح قيمة فأول شرح وضع لها هو شرح الأديب أحمد بن سحنون الراشيدي أنجزه بين سنة 1200-1202هـ وعنوانه "الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة" والشرح الثاني هو شرح العلامة أبي رأس الناصري وهو ثاني شخصية شاركت في هذا الإنجاز، وله في "العقيقة" سبع شروح أولهم "الدرة الأنيقة في شرح العقيقة"[4].

ولأبي رأس عدة شروح أدبية أخرى نذكر منها:

1- الآداب الرقيقة المستودعة بشرح العقيقة[5].

2- الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية.

3- النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريرية[6].

كما أن لأبي رأس شرح قصيدة الصيد المسماة "روضة السلوان" وقد سمي شرحه هذا باسم "الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية"، وله شرح إسماع الأصم وشفاء السقم[7] في الأمثال والحكم وهو عبارة عن مخطوط من الحكم والمواعظ رتبها على حروف المعجم،

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص119.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص171.

[3] محمد أبو رأس الناصر المعسكري، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، مصدر سابق، ص9.

[4] أنظر الملحق رقم (02)، ص232.

[5] أنظر الملحق رقم (03)، ص ص233-235.

[6] أبو رأس الناصري، زهر الشماريخ، مصدر سابق، ص14.

[7] أنظر الملحق رقم (04)، ص236.

تحتوي على ثمانية وعشرين فصلا أنهاها عام 1819م[1]، إضافة الى عبد الرحمان الجامي وشرح أرجوزة الحلفاوي[2].

كما تعد التقاريظ والإجازات والعقود من أشكال النثر الأدبي أيضا وممن تخصص في هذا الفن تقريظ أحمد بن عمار لكتاب "الدرر على المختصر" الذي وضعه ابن حمادوش في المنطق، وقد احتوت رحلة ابن حمادوش على تقاريظ أخرى له من علماء الجزائر ولكنها لم تبلغ في المستوى الأدبي نثر "ابن عمار"[3]. أما الإجازات فتتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة لكن صيغة بعض الإجازات رغم موضوعاتها وثبوتها على شكل واحد كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي، كما أضفى عليها الأدباء طابعهم وذوقهم الفني ومثال على ذلك نموذج من إجازة أحمد بن عمار إلى خليل المرادي الشامي ما جاء فيها (فقد روينا بتوفيق الله ويمنه... عدة وافرة... من كتب العلوم الشرعية والفنون المرعية من منقول ومعقول... وقد أجزت السيد...).

وهي إجازة قصيرة غير أنها قوية العبارة وجيدة النسج مسجعة في أغلبها تؤكد الطابع الأدبي الغالب على أسلوب ابن عمار[4].

كما برع عبد الرزاق بن حمادوش أيضا في الإجازات، وله في ذلك مجموعة إجازات صادرة عنه[5].

كما ظهر نوع جديد من التأليف الأدبية تمثل في كتابة العقود والتفنن في إخراجها ولا سيما **عقود الزواج** التي أظهر فيها الكُتاب براعتهم اللغوية والأسلوبية في مجال عقود الزواج، ولعبد الرزاق بن حمادوش عقود زواج مختلفة منها الفقهي التقليدي ومنها الأدبي الاجتماعي، ومنها الذي كُتب لبِكر والذي كتب لثيّب، ومنها القصير ومنها المطول وجميعها

---

[1] حمدادو بن عمر، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي رأس المعسكري، مجلة الجوار المتوسطي، الجزائر، ع 3، 2018م، ص178.

[2] أنظر الملحق رقم (05)، ص237.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص183.

[4] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص119.

[5] أنظر الملحق رقم (06)، ص238.

تصلح نموذجا لدراسة الحياة الاجتماعية.وكتب عبد الرزاق بن حمادوش أيضا "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسيط"[1].

كانت الشروح الأدبية بمثابة المتنفس الذي يعرض فيه الأدباء محفوظاتهم وذوقهم الأدبي والنقدي، ومدى إطلاعهم على تاريخ الأدب والحضارة بوجه عام، بالإضافة إلى الشروح الأدبية عرف النثر الأدبي لونا أخر تمثل في "التقاريظ"التي يمزج فيها بين النثر والشعر وتسيطر عليها الروح الإخوانية في الأسلوب، وتظهر فيها ثقافة المقرظ الأدبية واللغوية والتي تعددت موضوعاتها فشملت الأدب والفقه والمنطق...

ومن هذه التقاريظ نذكر تقريظ أحمد بن عمار على رسالة في التوحيد وضعه سنة 1195 هـ لصديقه الوزير التونسي حمودة بن عبد العزيز[2].

واحتلت "الرسائل" بالجزائر خلال العهد العثماني اهتماما طبيا وشغلت حيزا كبيرا بين الأدباء والموظفين والأصدقاء وهي بدورها تنقسم إلى الرسائل الرسمية الديوانية والإخوانية.

من بين الرسائل الإخوانية تلك التي وجهها عبد القادر المشرفي إلى صديقه السيد الحبيب فيلالي، والتي جاء في مطلعها كتبت ونار الشوق في القلم تضطرم ودمعي من طرف المعذب منسجم[3].

أما الرسائل الديوانية أو الرسمية وهي غير الرسائل الإخوانية نظرا لسيطرة اللغة التركية على الإدارة الجزائرية وهذا ما جعل الرسائل العربية لا تظهر إلا في النادر، وإذ تظهر لا يراعي فيها الإجادة بقدر ما يراعي فيها التوصيل والفائدة وكانت أحيانا تأتي متكلفة ركيكة[4].

وقد برع في هذا المجال كل من عبد الكريم الفكون وأحمد المقري وسعيد قدورة وأحمد بن عمار، وعرف أيضا ابن ميمون، وكذلك عبد الرزاق بن حمادوش لديه نص رسالة تعزية عزاه بها المفتي محمد بن حسين عند وفاة أحد أبنائه، وقد اعتذر المفتي عن عدم حضور الجنازة شخصيا، وضمن رسالته آيات قرآنية وأحاديث نبوية في الحث عن الصبر والتحمل عند الفجائع.

---

[1] أنظر الملحق رقم (07)، ص ص239-240.

[2] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص120.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص197-198.

[4] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص120.

ويعتبر "الوصف" أحد ألوان النثر الأدبي ونعني به وصف مظاهر الطبيعة، أو وصف المنشآت العمرانية التي أقامها بعض الولاة وقد حظيت المنشآت التي أقامها محمد الكبير وصالح باي اهتمام الأدباء مثل أحمد بن محمد بن علال القرومي، حيث مدح الباي محمد الكبير وبناءه لمسجد في مدينة معسكر الذي تحول الى مدرسة تنشر العلم[1].

من ذلك أيضا تنويه الشعراء مثل أبو رأس الناصري[2]:

وتـــرى المــدرس قــد عـــلا كرسيـــه *** يلــقي عــلى العلـــماء حـــب الجـــــوهر

تحـــويه مــدرسة غـــدت آثـــــارها *** تحييـــه بالعلـــم الشريــــف الأشعـــــري

ولقد برع ابن ميمون في الوصف الأدبي الذي اشتهر به هو وطائفة من أدباء الجزائر في القرن (12هـ/18م)، وقد نظم ابن ميمون قصيدة سنة (1141هـ/1728م) عندما كانت الجزائر في مراحل قوتها وكذلك أحمد بن عمار فقد وصف مشاعره الذاتية عند اعتزامه زيارة مكة وأداء فريضة الحج سنة 1166هـ، والأمر نفسه لحسين الورتلاني[3].

أما الوصف الحسي فالأمثلة كثيرة منها وصف ابن عمار لقصر الوزير عبد اللطيف بالعاصمة الذي قضى فيه ليلة مسامرة أدبية انتهت بوصف القصر، جمع فيها بين الشعر والنثر.

وتعتبر "الخطابة" من أبرز فنون النثر الأدبي فكانت ميادينها وأغراضها متعددة شملت الدين والسياسة والحرب وحالة المجتمع إلى غير ذلك.

وبحلول عهد العثمانيين باتت الخطبة تقليدا أكثر منه إبداعا وفنا وحالت إلى الرتابة، بحيث ظهر التكلف في أسلوبها وطابعها العام وبلغت ذروة تدهورها عندما أصبحت تقتصر على المناسبات الدينية يكرر فيها الخطيب معاني السابقين ولكن بأسلوب ضعيف وصياغة جامدة لتوقعها في ميدان واحد وهو الجامع، وقد عرفت الجزائر في الفترة العثمانية عدد من هؤلاء الخطباء أمثال[4] سعيد قدورة وسعيد المقري وأحمد بن عمار.

تعددت الخطب بين السياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية فالخطب السياسية قليلة جدا، إذ لم نقل نادرة أما الخطب الدينية كثيرة كصلاة الجمعة وصلاة العيدين، من بين أهم

---

[1] عثمان سعدي، مرجع سابق، ص431.

[2] نفسه، ص282.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص214.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص202.

هذه الخطب خطبة الجمعة لسعيد المقري التي عارض فيها خطبة القاضي عياض التي ضمنها التورية بأسماء سور القرآن[1].

أما خطبة العيدين فهناك خطبة عيد الفطر لمؤلف مجهول وهي خطبة تتألف من ثلاثة عشر ورقة، وهذا ما تقدم فيها "بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى صحبه وسلم، الحمد لله الذي ميز بين الصلوات الناطقين، وعلم ما في صدور الساكنين هو خلقكم ورزقكم يميتكم ويحييكم... ثم أتبعها بحديث لابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بأمور تتعلق بالحساب والعقاب والجنة والنار...".

وفي ميدان "القصص والمقامات" فإنه لم يشع في الأدب الجزائري ما يسمى بالأدب القصصي إلا قليلا، أما الأدب الشعبي كان غنيا بالحكايات والقصص التاريخية البطولية أو الملحمية ولكن أغلبها كان شفويا ولم يدون منها إلا القليل النادر، كما كانت تستوحي موضوعاتها من التاريخ الإسلامي والعربي وقصص ألف ليلة وليلة، وحتى من تاريخ الجزائر في العهد العثماني[2].

أما "المقامة" عبارة عن فن قديم في الجزائر وتعتمد على الأسلوب الشيق والقص الطريف والشخصيات الذكية والثقافة الواسعة[3]، وهي تعني الكلام بسلالة دون ارتباك ولا اضطراب ولا تلعثم[4].

حيث أسهم الجزائريون في هذا الميدان فنجد مثلا محمد بن محرز الوهراني صاحب المقامات أو المنامات غير أن موضوعاته مشرقية لأنه عاش معظم حياته الفنية في المشرق

كما اهتم بهذا الميدان محمد بن ميمون الجزائري في إنتاجه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، حيث يعد مصدرا أدبيا من مصادر الأدب الجزائري على عهد الأتراك ترجم فيه حياة الباشا محمد بكداش وجعلها في ست عشرة مقامة وجعل كل مقامة عبارة عن فصل من سيرة الباشا وعماله أدبية المبنى واقعية المعنى[5].

---

[1] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص121.

[2] نفسه، ص121.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص145.

[4] الطاهر حسيني، السرد بين واقعية التاريخ وجمالية الأدب في مقامات بن ميمون الجزائري، مجلة مقاليد، ع 6، الجزائر، 2014، ص44.

[5] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق ص85.

أما مقامات ابن حمادوش التي جمعها في رحلته فهي ثلاثة مقامات كتبها وهو في المغرب الأقصى فالأولى سماها "المقامة الهركلية"؛ والتي ألفها يوم الأحد من شهر صفر 1156هـ الموافق لـ أبريل 1743م بمدينة مكناس، وقد وصف فيها بيته التعس بأحد فنادق مكناس وختم المقامة بسبعة أبيات شعرا في نفس المعنى، وتناول في مقامته الثانية حالته عند خروجه من تيطوان وتوجهه إلى مكناس ووصف فيها متاعبه وغايته من لزيارة المغرب الأقصى، أما المقامة الثالثة فقد سماها "المقامة الحالية" وهي رمزية وصف فيها حالته النفسية السيئة نظرا لأوضاعه المادية المحرجة وهجران زوجته له[1]، بالإضافة إلى مقامات أخرى لمحمد بن سحنون الجزائري وغيره.

ب: الشعر:

يعتبر الشعر فن من فنون كلام العرب مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة؛ وتسمى كل قطعة من هذه القطع عندهم بيتا، وهو لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو أعجمية.

احتل الشعر المكانة الثانية في الأدب العربي بعد العلوم الدينية خلال العهد العثماني، حيث كان اهتمام الكتاب بالشعر خاصة، وكان في تلك الفترة يعج بالألفاظ المنمقة وكثرة التشبيهات والتشخيصات، ولم يستطع أن يتحرر من تقليد شعراء عصر الانحطاط الذين كان همهم الوحيد اللفظ المصقول والتشبية الرائق، وباختصار الاهتمام بالشكل دون المضمون، ورغم هذا كله فإن الشعر في العهد العثماني كان مزدهرا وقد تعددت مواضعه وبواعثه خلال العهد العثماني إلى شعر ديني وسياسي واجتماعي[2].

الشعر الديني وهو من أشهر الأغراض الشعرية التي اهتم بها الشعراء في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والتشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده، ومن أهم فحوله أحمد بن عمار الذي نظم قصيدة مديحية في موسم الحج من شهر ربيع الأول عام 1166هـ، ومن أهم قصائد المديح النبوي " هائية المستغانمي " في وصف رسول الله صلى الله وسلم

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع السابق، ص ص210-211.

[2] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 2، مصدر سابق، ص415.

وأخلاقه وأيامه وصحابته والاستعانة به كما توجد قصيدة في مدح المدينة المنورة ألفها البسكري بعنوان (طيبة) ذكرها ابن عمار في رحلته جاء فيها[1]:

دار الحبيــــب أحـــق أن تهـــــــواها ***وتحـــــن من طــرب إلى ذكـــــــــراها

بالإضافة إلى الشمائل المحمدية للمنقلاتي والشعر الصوفي والتوجه إلى الله وقت الشدة ومدح ورثاء الأولياء والصالحين ونحو ذلك، كما نظم عبد الرزاق بن حمادوش ديوانا بناه على الغزل والنسيب والمراثي ومدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، الأمر نفسه للورتيلاني فقد حكم بندب شعر الوعظ والذكر، ومدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، والأمر نفسه لأبو رأس الناصري فقد اشتهر بمدح الرسول صل الله عليه وسلم[2].

أما الشعر السياسي فارتبط في الجزائر خلال العهد العثماني بمناسبات محدودة نستطيع حصرها في الجهاد ضد الأجانب، وشكل شعر الجهاد المحور الرئيسي في الشعر السياسي أبرزه سقوط الأندلس واحتلال وهران والمرسى الكبير، لقد قيل الكثير من الشعر في التحريض على الجهاد وفي التهنئة بالنصر فمن الذين مدحوا حسن بن خير الدين باشا على فتح حصن مرسى وهران الأعلى وهروب الإسبان إلى الجزء الأسفل منه الشاعر عبد الرحمان بن موسى له قصيدة يشيد فيها بحسان بن خير الدين الذي حاول تحرير وهران وحرر أحد حصونها فمدحه عبد الرحمان بن موسى قائلا[3]:

هنـــيء لك باشـا الجزائـــر والغـــرب *** بفتـح أسـاس الكفـر مرسـى قـرى الكـــلب

وقال العلامة الشيخ محمد بن عبد المؤمن يحرض أمير حسن باشا على غزو وهران[4]:

نادتـــك وهـــران فلـــب نداهــــــا *** وانـــزل بهـــا لا تقصـــدن ســـــواها

وكذلك ابن سحنون الراشدي في كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" وهو عبارة عن مذكرات دونها مؤلفها الذي كان يعيش في بلاط الباي[5]، ولديه قصيدة مدح بها الباي محمد الكبير:

---

[1] أحمد بن عمار، نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1903م، ص9.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص248.

[3] نفسه، ص254.

[4] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص43.

[5] ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص14.

ألـــم المحبـــة للحشاشـــة موجـــــع *** والصبـــر للصـــب المـــــروع موجـــــــع

كان فتح وهران الثاني على يد الباي محمد الكبير (1260هـ/1792م) حيث أطلق أقلام الشعراء ومن شعراء الباي أبو رأس حيث نظم قصيدة مدح فيها هذا الباي ونوه بمآثره العديدة تقع هذه القصيدة في 118 بيتا؛ وتسمى "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران" على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان[1]، وأحمد القرومي ومحمد بن الطيب المازري وغيرهم... حيث قال أبو راس في فتح وهران على يد الباي قصيدة سينية طويلة شرحها فيما بعد بطلب من الباي، وقد اختار لقصيدته قافية السين لأنها محبوبة لدى الأدباء والأمراء وهنأه بالنصر:

فنـم هـنيا وبـك النصـــر مقتـــرن *** بقـــصر وهـــران دار لـــك بحـــــلالا

أما النموذج الثاني للشعر السياسي هو مدح الحكام طمعا في الرزق وطلبا للقرب؛ من أهم رواده محمد بن ميمون الجزائري وعبد الرزاق بن حمادوش الذي مدح سلطان المغرب عبد الله مرتين[2] الأولى سنة 1145هـ والثانية سنة 1156هـ، وتحتوي القصيدة على ثلاث عشر بيتا مطلعها:

أمـــولاي عبـد الله بشــرك إلهـــنا *** بكـل الـذي يتغنـى من الفتـح والنصـــــر

أما الشعر الاجتماعي فهو شعر الإخوانيات الذي يشاطر فيه العلماء بعضهم بعضا في مناسبات معينة؛ وقد شمل الرثاء والتقريظ والمدح لغير الأمراء، ورجال الدين، وشعر المجون وغير ذلك، ويندرج ضمنه التلغيز أو استخدام الألغاز عن طريق الشعر مثلما هو الحال عند ابن حمادوش وابن ميمون وكذلك تبادل الألغاز بين سعيد قدورة وأحمد المقري حول "لغز هاج الصنبر"[3].

والملاحظ أن شعر الرثاء كان قليلا جدا، كما كان شعر المجون نادرا ولا ضيم في ذلك لأن المجتمع على العموم منقبض منغلق تقل فيه الطرائف والنكت كما أن المرأة لم تظهر في الشعر الاجتماعي لا نتاجا ولا موضوعا.

---

[2] محمد بن أحمد أبي رأس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مصدر سابق، ص33.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص263.

[4] عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954م، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 2011م، ص431.

من خلال ما سبق نصل إلى القول أن العلوم اللسانية في العهد العثماني لم تخرج عن إطار الشروح والتقاليد ولم ترق إلى المستوى المطلوب نظرا لظروف ذلك العهد التي شددت الخناق على المجتمع والعلماء، وإن ظهر إبداع في هذا المجال فإنه سرعان ما يذوب في بوتقة الهجرة والنسيان .

ثالثا: التاريخ (السير والتراجم) والرحلات:

مما يلاحظ أن علماء الجزائر أواخر العهد العثماني كانت لهم إسهامات واضحة في العلوم الشرعية واللغوية السابق ذكرها، وانصب كذلك اهتمامهم على العلوم الاجتماعية أيضا وذلك راجع لأهميتها الكبيرة وكونها علوم مساعدة أيضا للعلوم الشرعية واللغوية، وتتمثل في التاريخ والسير والتراجم إضافة إلى فن الرحلات.

1/: التاريخ:

لقد كانت العناية بعلم التاريخ في بداية العهد العثماني ضعيفة نظرا لسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية على هذا العلم، ولم يعرف تطورا إلا خلال القرن هـ/18م) حيث انكب العلماء على الإلمام بتراث الأولين والتأليف فيه.

ويعتبر علم التاريخ من العلوم النافعة التي لا تعد فوائدها حيث اعتبره ابن خلدون فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم[1]، وقد استعملت لفظة "التاريخ" للتحدث عن العلماء الذين اهتموا بالأخبار يروونها أو يدوونونها[2]، ومما يلفت النظر أن الجزائريين خلال الفترة العثمانية خصوصا في القرنين (10هـ-16م/11هـ-17م) لم يهتموا بالتأليف في علم التاريخ حيث نجد قليل من الكتب اهتمت بهذا المجال، والسبب هو سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية، مما أضعفت العناية بعلم التاريخ وسير أخبار الأولين ومن ثمة أضعفت دوافع التأليف فيها.

لكن مع القرن (12هـ/18م) ظهر علماء اهتموا بتدوين أحداث العصر وأخبار الجزائر والعالم العربي في الماضي والحاضر، ووجدت بعض التآليف في هذا العلم، وسبب الاهتمام

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 1، مصدر سابق، ص92.

[2] ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية -دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، ط 3، منشورات آلفا، الجزائر، 2010م، ص435.

بعلم التاريخ خلال الفترة المذكورة[1] هو أن السلطة العثمانية كانت بحاجة إلى تجنيد العلماء لصياغة شرعية تقر وجودها وتصوغ نفوذها على المجتمع الجزائر خلال العهد العثماني.

كما أن الاحتلال الاسباني للجزائر الذي أعقبه الاحتلال التركي ومقاومة البلاد طيلة قرون شحذ قرائح الكتاب الجزائريين وجعلهم يهتمون بالأحداث التي اجتازتها البلاد، فألفوا تآليف كثيرة لما لها من أهمية خصوصا بعد انتصارهم على الاسبان[2]، وفتح وهران سواء الأول على يد الداي محمد بكداش باشا الجزائر وخليفته مصطفى بوشلاغم (1119هـ/1708م) أو الثاني على يد الباي محمد بن عثمان الكبير (1206هـ/1792م) حيث نوه العديد منهم بهذا الفتح فأفردوا له عدة تآليف وملاحم وقصائد منها ما جمعه العالم الأديب محمد بن ميمون الجزائري وسماه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية".

وقد تناول ابن ميمون فيه سيرة الداي محمد بكداش إبان توليته وحكمهكما خصص جل الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران على يد هذا الداي وصهره أوزون حسن، والهدف من هذا تأليف محمد بن ميمون هذا الكتاب هو محبته الخالصة لهذا الداي ولسيرته المرضية[3]، ولكن فرحة الانتصار بهذا الفتح لم تدم طويلا فقد قتل الباشا بكداش سنة 1122هـ، وكان من نتيجتها أن عاد الاسبان الى احتلال وهران سنة 1145هـ وكان بعض المسلمين يتعاونون مع الإسبان المحتلين، وفي هذا الموضوع ألف عبد القادر المشرفي رسالته المسماة "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران كبني عامر".

حيث استعرض المشرفي تاريخ الوجود الاسباني في وهران وعلاقة الجزائريين المجاورين به، وذكر أهم الحوادث التي عرفتها وهران تحت الحكم الإسباني وهي باختصار تشنيع على من كان يتعاون من المسلمين مع المحتلين الاسبان ومع أهل الذمة كاليهود، وهي رسالة قد هيأت النفوس لفتح وهران الثاني[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص321.

[2] ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص13.

[3] محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص83.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص338.

كما نجد شرح "أرجوزة الحلفاوي" للرحالة عبد الرحمان الجامعي الفاسي صاحب الرحلة المشهورة الذي ساهم مع المهنئين للباشا بكداش[1].

أما الكتاب الذين خصصوا تأليفهم للفتح الثاني والأخير1792م الذي وقع على يد محمد بن عثمان فهو المؤرخ محمد أبو رأس الناصري[2] في تأليفه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، الذي هو في الأصل عبارة عن قصيدة تاريخية تتكون من 118 بيتا وتسمى "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران" نظمها بمناسبة فتح وهران الثاني على يد محمد بن عثمان ومضمون الكتاب يتلخص في جزئين الأول في 92 ورقة ويتضمن 63 بيتا تكلم فيه عن إنشاء وهران وما تداولها من الدول وما دهاها من الأمور، والثاني يتضمن 55 بيتا فهو المشتمل على الفتح العظيم ومدح من فتحها الباي سيدي محمد بن عثمان[3].

ومنها كتاب "الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية" لأبي رأس الناصري وهي منظومة تابعة لنفيسة الجمان؛ وهي الأخرى لها شروحها منها الشرح الذي كتبه الناصري سنة 1802م بتيطوان عند عودته الى الجزائر قصد إهدائه لمولاي إسماعيل بفاس لذلك سماه "السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"، أما الشرح الثاني "القصص المعرب عن الخبر المغرب لما وقع بالأندلس وثغور المغرب" ألفه بعد سنة 1814م.

ويبدوا أن هناك شرحا ثالثا معنون بـ"غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس مع الكفار"[4].

ونجد أيضا ابن زرفة الدحاوي في "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" وهو يتناول سيرة الباي محمد الكبير وتتناول فتح وهران انتهى منها سنة (1206هـ/1792م)[5].

وكذلك ابن سحنون الراشدي من خلال "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" حيث تضمن أحداث الفتح الثاني والنهائي لوهران 1792م، ويندرج ضمن هذا الفن إنتاج الجزائريين في السيرة النبوية والتواريخ والتراجم.

---

[1] ابن سحنون الراشدي، مرجع سابق، ص14.

[2] عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، مصدر سابق، ص157.

[3] محمد بن احمد أبي رأس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مصدر سابق، ص ص33-34.

[4] رقية شارف، الكتابات التاريخية الحديثة، مرجع سابق، ص83.

[5] درعي فاطمة، العالم مصطفى بن زرفة الدحاوي ورحلته القمرية، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، ع 13-14، 2016م، ص158.

- **السـيرة النبويــة:** ألـف الجزائريـون فـي السـيرة النبويـة عـدة أعمـال ونظمـوا فيهـا الأشـعار والأراجيـز، ويـرى الحسـين الـورتيلاني أن علـم السـير هـو سـير الأنبيـاء وشـمائلهم ووقـائعهم وبعوثهم وسيرهم وصـحبهم وقصصـهم. ومن الذين ألفوا في السيرة نجد أحمد المقري الذي ترك مؤلفات في السيرة النبوية أهمها "فتح المتعال في وصف النعال" ولأحمد البوني أيضا في هذا المجال حيث ألف"نظم الخصائص النبوية"[1].

- **التـواريخ العامـة والتـواريخ المحليـة:** نعنـي بالتـاريخ العـام مـالا يتنـاول الجزائـر بـل يتنـاول الظواهر الطبيعية التي حدثت في منطقة واسعة أو فترة طويلة، أما التاريخ المحلي فنعني به ما تناول ناحية خاصة من نواحي القطر الجزائري أو حادثة معينة جرت فيه.

ومن أبرز من كتب في التاريخ العام أبو رأس الناصري في كتاب "الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة"، حيث تناول هذا الكتاب الصحابة الذين فتحوا افريقية يذكرهم المؤلف فردا فردا ويترجم لهم وللأعمال التي قاموا بها كتشييد المساجد وحفر الآبار وتشييد المدن، وهذا الكتاب في الحقيقة هو تاريخ للقيروان من الفتح الإسلامي للأفريقية، وتأسيس المدينة على أيديهم[2]. وكذلك مخطوط "زهر الشماريخ في علم التاريخ[3] لمؤلفه أبو رأس الناصري حيث يصنف ضمن التاريخ العام ويضم طائفة هامة من الأخبار منذ بدء الخليقة الى البعثة النبوية، كما يتضمن من بين موضوعاته الأخرى عروضا مهمة عن شمال افريقية وسكانها البربر ومآثرهم وعن الترك وملوك فرنسا وملوك الأندلس، كما يتناول الحديث عن اليونان وبعض قبائل العرب[4]. ولأبي رأس كذلك كتاب "نبا الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان "حيث تناول فيه مؤلفه فضائل القيروان، ثم عن زيارته لجامعها مازجا بين وصف ما وقعت عليه عيناه بهذا الفضاء من مظاهر عمرانية وتجهيزات مادية ثم ذكر عدد من صلحاء القيروان[5].

1- المنى والسول من أول الخليفة إلى بعثة الرسول.

2- درُّ السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص328.

[2] محمد أبو رأس، الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، مصدر سابق، ص7.

[3] أنظر الملحق رقم (08)، ص241.

[4] أبو رأس الناصري المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مصدر سابق، ص19.

[5] أبي رأس الناصري، نبا الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، مصدر سابق، ص28.

3- ذيل روض القرطاس، تناول فيه تاريخ المغرب من القرن الثامن إلى أوائل القرن الثالث عشر هجري.

أما التاريخ الخاص فنجد ابن ميمون في كتابه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، وكتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين" لعبد القادر المشرفي، وكذلك أبو رأس الناصري في:

1- درء الشقاوة في حروب درقاوة سجل فيه الحروب التي دارت بين العثمانيين والدرقاويين في أوائل القرن التاسع عشر الميلاد.

2- الوسائل في معرفة القبائل.

3- عجائب الأسفار في لطائف الأخبار عما كان بوهران مع الأندلس والكفار[1].

4- الحلل السندسية فيما جرى بوهران والعدوة الأندلسية.

كما برع أبو رأس الناصري في علم الأنساب، حيث ألف تأليفا فاق كل تصور خصوصا نسب الجان في قبائلهم وسماه "تحفة الإخوان في بيان أرهاط وقبائل الجان" ويدل هذا على مدى تضلع أبي رأس في مجال علم النسب، ومن بين مؤلفاته أيضا نذكر:

1- لقطة العجلان في شرف عبد القادر بن زيان وأنه من ملوك بني زيان فهو من أهم المصادر الأساسية في تاريخ شرف ونسب بني زيان[2].

2- مروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب تكلم فيه عن أنساب الأدارسة بالمغرب وغيرهم[3].

إن كتابات أبي رأس حول النسب جعلت الكثيرين يحقدون عليه حيا أو ميتا، فقد أغضب ذلك من اعتبروا أنفسهم أشرافا ولم يثبت لهم ذلك إما بعدم ذكرهم في تأليفه بالنص على عدم ثبوت نسبهم الى النبي صل الله عليه وسلم.

- **التراجم العامة والخاصة:** نعني بالتراجم العامة التأليف التي اشتملت أكثر من ترجمة سواء كانت تتناول تراجم مدينة معينة أو ناحية أو عصر، أما التراجم الخاصة فهي التأليف التي كتبت تترجم في شخص واحد حول عصره وعلمه وأثاره، ومن أشهر علماء الجزائر العثمانية

---

[1] أبو رأس، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مصدر سابق، ص14.

[2] أبو رأس الناصري، لقطة العجلان في شرف عبد القادر بن زيان وأنه من ملوك بني زيان، مصدر سابق، ص127.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص350.

الذين كتبوا في التراجم ابن مريم بتأليفه في التراجم عنوانه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، كما وضع أبو رأس مخطوط "إسماع الأصم"و"عقد الجمان النفيس" حول تراجم المتصوفين، أما في التراجم الخاصة فقد برع أحمد المقري حيث ترجم لعالمين بارزين هما "القاضي عياض" و"لسان الدين بن الخطيب".

2/: الرحلات:

يعد أدب الرحلات فن من الفنون الراقية التي اهتم بها العرب قديما وحديثا لما فيها من أخبار وغرائب ومشاهدات وسجلات ومناظرات عاشها مؤلفوها ،وهو ما تشهد عليه كتب الأدب الجغرافي والتاريخي ومدوناتهم، بحيث تسدي لنا خدمات معلوماتية ذات قيمة بالغة في مجالها وهي تعتبر من أهم واجل المصادر في جانبها التاريخي والاجتماعي لأن الكاتب يستقي معلوماته من مشاهد حية وتصوير مباشر مما يجعل قراءاته مفيدة وممتعة ومسلية في الوقت نفسه، وانطلاقا مما سبق يتضح لنا أن التاريخ الحديث حافل بأسماء كثيرة من أعلام هذا الأدب ورواده الذين قاموا برحلات متعددة خارج ديارهم وطافوا بأنحاء شتى من بلدان العالم ولا سيما نحو المشرق والمغرب العربي وخصوصا في القرن (12هـ/18م)، حيث ساهم الجزائريون في كتابة الرحلات فمنها رحلات حجازية وبعضها لطلب العلم[1].

أ: الرحلات العلمية: هي تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا[2]، ومثال على ذلك:

1- **رحلة "لسان المقال في النبأ والحسب والحال"**لمؤلفها عبد الرزاق بن حمادوش (1107هـ-1695م/ ت 120-1786م) قام بتحقيقها أبو القاسم سعد الله حيث يرجع تأليفه إلى حوالي (1156هـ/1743م)، وهي الجزء الثاني من الرحلة، وقد اهتم بها المسلمون لما فيها من أخبار سياسية أو دينية أو اجتماعية، كما اهتم بها أيضا الأوربيين بآثاره العلمية على الخصوص[3].

---

[1] ابن زاكور، مصدر سابق، ص9.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص381.

[3] عبد الرزاق بن حمادوش، مصدر سابق، ص11.

وهي عبارة عن رحلة قام بها مؤلفها ابن حمادوش في القرن(12هـ/18م) بغية طلب العلم حيث حضر بعض الدروس مثل دروس الشيخ أحمد البناني بجامع زاوية سيدي أحمد بن ناصر كما التقى بعلماء وشيوخ أخذ عنهم وأجازوه مثل محمد عبد القادر الفاسي وأبو مدين بن الحسن المكناسي والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس، ثم عاد إلى الجزائر من تطوان[1]، فقد سافر إلى المغرب الأقصى مبتغيا التجارة ومؤملا في تحسين أوضاعه العائلية المتردية وقد علل سبب قيامه برحلته بأنه حب الدنيا وكيد النساء، كما جاء في بعض أبيات قصيدة له[2]:

كرهـا ومـا أنـا لديكـم بالفخـور *** لكـن للدنيـا يقودنـي الغـرور

وحبـها فيمـا علمتـم كالفجـور *** لأجلـها ركـب الأحمـق البـحور

لكـن إبلـيس استـعان بالنسـا *** لمـا رأي كـيده خـاب في عسـى

وقد وصف ابن حمادوش الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب مثل "ثورة حاكم تطوان على السلطان عبد الله" وكادت هذه الحرب الأهلية أن تذهب بحياة عبد الرزاق بن حمادوش[3]، حيث زار المغرب مرتين على الأقل الأولى(1145هـ/1732م)، والثانية سنة (1157هـ/1743م) وسجل ملاحظاته وإجازاته وأحكامه في مذكراته[4]، إن ما يميز رحلة "عبد الرزاق بن حمادوش" عن الرحلات الجزائرية الأخرى هي كونها رحلة مغربية علمية وتجارية وليست مشرقية حجازية.

2- **رحلة"رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي"** لمحمد أبو رأس الجزائري المعسكري (1150هـ-1737م/ ت1238-1823م) تم فيها لقاء العلماء والأعلام وجرى لي معهم من المراجعة والكلام وهي الفصل الثالث من سيرته الذاتية "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" حيث يعتبر من الكتب الهامة والغنية يقدم لنا حياة أبي رأس نفسه فهو نوع من السيرة الذاتية تحدث فيه المؤلف عن أهله وبيئته وشيوخه وعلومه وأسفاره ومن لقيهم من

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص384.

[2] محمد أمين، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة أنفو، فاس، ص ص28-29.

[3] عبد الرزاق بن حمادوش، مصدر سابق، ص9.

[4] عادل نويهض، مرجع سابق، ص365.

علماء المشرق والمغرب، وما سئل عنه من المسائل العلمية وإجاباته على ذلك وأخيرا يذكر مؤلفاته[1].

ألف أبو رأس الناصري هذا الكتاب عام1233هـ كتبه في أخر أيام حياته لأنه توفي 1238هـ، وقد تأثر بالسيوطي صاحب كتاب"نزول الرحمة في التحدث بالنعمة" حيث قسم أبو رأس الناصري هذا الكتاب إلى:

الباب الأول في ابتداء أمري، أما الباب الثاني شيوخه، أما الباب الثالث في رحلتي للمشرق وغيره، وفي الباب الرابع في معارضة العلماء وأجوبة عن أشياء مختلفة، أما الباب الخامس مؤلفاته[2].

ب: الرحلات الحجازية: وهي رحلات كانت نتيجة للحج وتقوم على مجموعة من الثوابت تميزها من بقية الرحلات الأخرى أو بقية الأجناس الأدبية الأخرى،فعلى مستوى الهدف فان الذهاب إلى الحج لأداء المناسك وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام منح الرحلة صفة الرحلة الحجازية[3].

فقد كان الحج دافعا كبيرا للمغاربة للقيام بالرحلة إلى البقاع المقدسة لأداء هذا الركن مرورا ببلاد الجزائر إذ يتيح فرص اللقاء بين الجزائريين والمغاربة بما في ذلك مثقفي البلدين والاحتكاك بينهم، وتلاقح أفكارهم والتداول في المسائل العلمية المطروحة على العلماء وتبادل الكتب وتداولها وإنشاء الصداقات بينهم[4]، وقد ساهم فيها الجزائريون أكثر من الرحلات العلمية، وذلك لتشوقهم نحو أرض الحجاز مهد النبوة والصحابة الكبار فالحجاز في نظرهم ليس مجرد بقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم، ولكنها كانت قطعة أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة والأمة الإسلامية[5]، ومن بين الرحلات الحجازية:

1- "رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" لمؤلفها الحسين بن محمد الورثيلاني(1125هـ- 1713م/ 1193هـ- 1779م) وتعرف كذلك بالرحلة الورتيلانية من

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، مرجع سابق، ص339.

[2] محمد أبو رأس الجزائري، فتح الإله ومنته، مصدر سابق، ص7.

[3] مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني،ط 1، الإنشاد العربي، بيروت، 2018م، ص343.

[4] عمار بن خروف، مرجع سابق، ص116.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص387.

الأعمال الجليلة والفريدة[1]، وهي عبارة عن موسوعة تحدث فيها عن أحوال الجزيرة العربية في القرن (12هـ/18م)، ووصف فيها الدول والمدن والمناطق وأهلها وعلمائها وعاداتها التي مر بها رحلاته التي حج فيها ثلاث مرات[2]، حيث وصف المدن الجزائرية كسيدي خالد وسيدي عقبة وأولاد جلال، كما وصف "قابس" التونسية و"برقة" في ليبيا، ومدن وقرى البحر الأحمر وصولا إلى مكة والمدينة في أيام الحج.

حيث يقول"فدخلنا مكة فلم تغادر في النفس ترحة، وأزالت عن الجفون كل فرحة، فأدخلناها في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم بل قد زال التعب والنصب"[3]، وهكذا تعد الرحلة الورتيلانية نتاج لرحلاته الحجازية، فقد جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج فهي عبارة عن سجل لما عاشه وشاهدته في طريقه سواء تعلق الآمر بركب الحج أو بالحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي مر بها منذ اعتزامه على الرحلة إلى غاية بداية تدوين ما جمعه في النهاية إلى عمل تاريخي سنة (1182هـ/176م).

وختاما لما سبق يمكن القول بأن الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني تميزت بغلبة العلوم الشرعية وبالعلوم المتعلقة بها كاللغة والآداب والعلوم الاجتماعية، كما شهدت الفترة المذكورة شيوع ظاهرة التصوف والطرق الصوفية كالطريقة القادرية والرحمانية وغيرهما، وما لعبته من أدوار سياسية ضد الحكم العثماني الذي تميز في أواخره بالتدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي كثورة درقاوة والثورة التيجانية.

كما ساهمت رحلات العلماء سواء العلمية كرحلة عبد الرزاق ابن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ والحسب والحال"، ورحلة أبو رأس الناصري المعسكري"رحلة رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي"أو الرحلات الحجازية "كرحلة الحسين الورثيلاني"،"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، واحتكاكهم بنظرائهم في البلاد العربية في حركة التأليف والتصنيف في مختلف الفنون والعلوم، كما أن دور هؤلاء العلماء لم يقتصر على الجانب الثقافي التعليمي بل تعداه إلى الجانب السياسي والحربي كمشاركتهم في فتح وهران الثاني

---

[1] عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000م، ص30.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص188.

[3] الحسين الورثيلاني، مصدر سابق، ص425.

والنهائي 1792م وما رافقه من مؤلفات ومثال ذلك محمد بن ميمون الجزائري ومؤلفه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية".

الفصل الرابع:
التآليف العقلية في الجزائر
أواخر العهد العثماني

لـم تقتصـر حركـة التـأليف فـي الجزائـر أواخـر العهـد العثمـاني علـى المؤلفـات النقليـة المتمثلـة خصوصـا فـي العلـوم الشرعية كالحديث والتفسير والفقه ومالها من علاقة بـالعلوم الأدبيـة التاريخيـة، بـل تعدتـه أيضـا إلـى المؤلفـات العقليـة المتمثلـة فـي علـوم الطـب وعلـوم المنطق وعلوم الفلك والحساب أو ما يطلق عليها العلوم الطبيعية، هذه الأخيرة التي عرفت ازدهـار كبيرا فـي المغرب الأوسـط ويرجـع ذلـك إلـى عـدة عوامـل تـأتي فـي مقدمتها تشـجيع الحكـام للعلـم ومحبـتهم للعلمـاء واهتمـامهم بـالعلوم العقليـة لعلاقتهـا بـالعلوم الدينيـة كالزكـاة والميـراث مـن أجـل تنظـيم الحيـاة الاجتماعيـة، ومسـاهمة الأندلسـيين أيضـا فـي دفـع عجلـة الحركة الفكرية وخصوصا ميدان الطب في بلاد المغرب عامة وبلاد المغرب خاصـة، فمعظم الأطباء كانوا من مهاجري الأندلس.

لكن مع الفترة العثمانية قلّ الاهتمام بالمجال العلمي ويرجع ذلك إلى عدة عوامل تـأتي في مقدمتها سيطرة العلوم النقلية وهيمنـة روح التصـوف علـى المجتمـع الجزائري نظرا لطبيعة تكوينهم الديني واعتماد العلماء على الحفظ والتقليد والشرح والتأليف في أعمال الذين سبقوهم، أي التركيـز علـى الجانـب النظـري أمـا الجانـب التطبيقـي وخاصـة مما تعلـق بهـا مـن العلـوم العقليـة فإن معظمهم كـان يؤمن أن الطـب وفروعه مقصـور علـى الأوربيين. كما أن التكوين العسكري للعثمـانيين جعلهم لا يهتمـون بالجانـب العلمـي، وبخصـوص شـؤونهم الصـحية كـان العثمـانيون يلجـأون إلـى أطبـاء أوربيين بينمـا كـان الجزائريون يستعينون بالطـب الشـعبي، لكن ذلك لا ينفي وجود مبادرات طبية وفلكية، من بينهـا عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري الذي بـرع خـلال القـرن (12هـ/18م) كمـا أسـتخدم المنطـق للخطـب والمـواعظ والحسـاب لقسـمة المواريث وتحديد أوقات الصلاة.

والعلوم العقلية (الطبيعية) تسمى علوم الفلسفة والحكمة وكان بعض الفقهاء يسمونها بالعلوم الكونية في مقابلتها للعلوم الشرعية أو الدينية، وهي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره أي التي يقوم فيها النظر على العقل وحده و لها علاقة ارتباط وظيفية بينها وبين العلوم النقلية خاصة العلوم الشرعية، فلعلم الحساب علاقة بعلم الفرائض وعلم الفقه علاقة بعلم الهيئة والمنطق علاقة بعلم الأصول[1]، فلا تتحقق هذه العلوم الشرعية إلا بها، لذا اعتنى بها العلماء وطوروها.

ورغم سيطرة العلوم الدينية واللغوية وقلة عدد الكتب التي اختصت في العلوم العقلية، فقد استمر الاهتمام بها من قبل المدرسين وكانت الحاجة هي التي تحدد هذا التوجه لديهم[2] وهي مشتملة على أربعة أقسام: علم المنطق وعلم الطب والصيدلة، علم الفلك وأيضا علم الحساب.

أولا: علوم المنطق:

وهو آلة قانونية يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ومن فوائده تمييز الخطأ عن الصواب، فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره[3].

ثم النظر بعد ذلك عندهم، إما في المحسوسات من الأجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعي، ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي[4]، ويعد ظهور المنطق وابتكاره إلى علماء اليونان ويعد "ارسطو طاليس" أول من تكلم فيه حيث هذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله في كتابه "النص" الذي اشتمل على ثمانية كتب وهي:

- الأول في الأجناس العالية التي ينتهي إليها تجريد المحسوسات في الذهن وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات.
- الثاني في القضايا التصديقية وأصنافها ويسمى كتاب العبارة.

---

[1] سعدي شحوم، الصناعة الصيدلية بالدولة الزيانية من خلال مؤلفات إبراهيم بن احمد الثغري التلمساني، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، ع 4، 2013 م، ص517.

[2] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص299.

[3] ابن خلدون، مقدمة، ج 2، مصدر سابق، ص248.

[4] نفسه.

- الثالث في القياس وصورة إنتاجه على الإطلاق؛ ويسمى كتاب القياس وهذا آخر الظن من حيث الصورة.

- الرابع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية.

- الخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وإقحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات.

- السادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو الفاسد.

- السابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات.

- الثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للإقبال على شيء أو النفرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التخيلية[1].

ثم نقلت هذه المؤلفات إلى الحضارة العربية الإسلامية، فانكب عليها علماء المسلمين بالشرح والتلخيص أمثال: الغزالي وابن سينا وابن رشد، ثم جاء المتأخرون فألحقوا به "علم الكلام" والجدل واعتبروه آلة للعلوم وأول من بادر إلى ذلك الإمام فخر الدين بن الخطيب، ومن بعده فضل الدين الخونجي (ت646هـ/1248م)، ورغم تشديد متقدمي السلف من العلماء والفقهاء على عدم انتحال هذا العلم والمبالغة في الطعن فيه والتحذير منه وحظر تعلمه وتعليمه وعده من العلوم الضارة التي ينبغي الاحتراس والابتعاد عنها[2].

إلا أن الغزالي والإمام الخطيب تسامحا فيه واظهرا مرونة في ذلك فبيّنا فضائله وفوائده كالتخلص من حاكم الحس والهوى والتمسك بحاكم العقل والتوصل إلى السعادة والرقي بالعلوم نحو العقلانية والموضوعية، فلقيت دعوتهما صدى كبير عند المفكرين المسلمين وما يعكس ذلك مؤلفاتهم العلمية، واستعماله في مباحثهم الكلامية والفقهية[3]، ومن هنا اختلف العلماء في تحريم المنطق لكونه مرتبط بعقائد الفلسفة والفلسفة قد حرمها بعض العلماء المسلمون من جهة، ومن جهة اعتبروه فنا خبيثا مذموما يحرم الاشتغال به، نفعه قليل

---

[1] بن خلدون، مقدمة، ج 2، مصدر سابق، ص ص263-264.

[2] رزيوي زينب، مرجع سابق ، ص317.

[3] نفسه، ص ص316-317.

وضرره وبيل وما هو من علوم الإسلام، كما رأو أن الانشغال بهذا العلم حرام وقد صرح بتحريمه أئمة الإسلام.

ورغم كل ما سبق ذكره أصبح المنطق جزءا من الثقافة الإسلامية، وله أهمية كبيرة وبالغة يمكن استخلاصها من خلال الألقاب التي أطلقها عليه كبار العلماء فقد سماه الفارابي "رئيس العلوم" لكونه حاكما على جميع العلوم في الصحة والسقم والقوة والضعف، لذا يعد من أجلّ العلوم وأعظمها و"خادم العلوم" حسب ابن سينا لكونه يعتبر آلة في تحصيل العلوم الكسبية والعملية و"معيار العلوم" حسب الغزالي الذي اعتبر أن كل من لا يعرف المنطق فلا ثقة له في العلوم أصلا.

والملاحظ أنّ إنتاج الجزائريين في علم المنطق ضئيل جدا، واقتصر عمل العلماء فيه على دراسة وشرح والتعليق على ما كتبه علماء القرن (9هـ/15م) أمثال: ابن قنفذ القسنطيني والسنوسي والمغيلي، ومرد هذا النقص إلى سببين رئيسين كما يقول أبو القاسم سعد الله:

الأول تمثل في صعوبة هذا العلم لكونه يتطلب الاطلاع الواسع على كتابات الأولين والأجانب والإضافة عليها ونقدها[1].

والثاني طغيان علم تصوف الجزائريين وهو علم حدا بأصحابه ولاسيما الذين بالغوا فيه، إلى الاكتفاء بعلوم الباطن واعتبار علوم المنطق من علوم الظاهر التي قد تؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة وضلت قيمته مجهولة أو معدومة كما يقول[2].

وأبرز من ألف في علم المنطق نذكر:

1- علي بن مسعود الزواوي وله:

1- شرح العضدية.

2- ابن قنفذ بن الخطيب (ت 809هـ) وله:

1- تسهيل العبارة في تعديل الإشارة.

3- محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني (ت 842هـ) وله:

1- مختصر الجمل للخونجي.

---

[1] زهراء النظام، مرجع سابق، ص432.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص149.

4- محمد بن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ) وله:

1- النطق المفهوم من صمت أهل العلوم، منطق الطير.

5- محمد بن يوسف أبو عبد الله السنوسي (ت 895هـ) وله:

1- مختصر في المنطق.

2- شرح الموجهات[1].

6- عبد الرحمان الأخضري:

يعتبر عبد الرحمان الاخضري[2] أبرز من ألف في المنطق خلال العهد العثماني بنظمه "السلم المرونق في المنطق والحكمة"والذي نظم فيه دعائم وقواعد المنطق، وقد أكملها وهو في سن الحادية والعشرين سنة[3] وقد عرفه في أرجوزته:

وبعث المنطق للجنان *** نسبة كالنحو للسان

فيعصم الأفكار من غير الخط *** وعن دقيق الفهم يكشف الخطأ

ليصبح هذا الرجز عمدة الطالب والأستاذ في الدرس والتوجيه شمل المغرب والمشرق والسودان والهند حوالي أربعة قرون وبذلك توالت الشروح والحواشي عليه[4].

ولم تقتصر شهرة الاخضري على تأليفه هو نظما وشرحا ولكن ما جذب إليه اهتمام العلماء الآخرين لشرح ودراسة عمله في المنطق وقد ظلت أعماله في هذا الميدان حية ومدروسة إلى هذا القرن، ومن الواضح أن الأخضري كان يجيد علم المنطق ولكنه نجح في اختصار قواعده وتوضيحها في متنها المعروف بـ"السلم المرونق" وقد قسمه إلى ثلاثة أبواب اشتملت على عدد من فصول ومباحث، تناول في الباب الأول علم المنطق وأهم تعاريفه[5].

وقد اهتم العلماء وتنافسوا في شرح "السُلّم" والتعليق عليه مثل:

---

[1] بشير ضيف، مرجع سابق، ص ص447-449.

[2] هو الشيخ العلامة الإمام الصوفي الباحث في شتى الفنون والعلوم، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الاخضري، بقرية بنطيوس بالزاب الغربي وعاش بين سنتي(920هـ/ 1514م- 953هـ/1546م)، للمزيد ينظر: بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق عصره، ط 2، دار الآمل، الجزائر، 2009م، ص ص10-14.

[3] بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص15.

[4] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص 134

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص150.

7- سعيد قدورة:

حيث شرح 121 بيتا تضمنت مقدمة ومدخلا وثلاثة عشر فصلا وخاتمة، حيث تناول أهم تعاريف المنطق وأهميته ودوره، إضافة أنه تناوله بشكل مختصر وشرح بعض فصول السلم المرونق.

واستهل سعيد قدورة شرحه بقوله "الحمد لله الذي علم الإنسان من حقائق التصورات ما لم يكن يعلم، وأطلعه على دقائق التصديقات الموصلة إلى طريق الرشد".

ومهد لهذه المقدمة لإقناع من قد يعترض على التأليف في علم المنطق، وبرر عمله بأن الأخضري قد أغفل بعض الأمور التي يجب التنبيه عليها، وبكل تواضع عدّ عمله مجرد إضافة لشرح الأخضري.

وقد سار سعيد قدورة على نهج الأخضري في الشرح والتفسير خاصة في المبحث الخاص بالألفاظ وأقسامها، كما أن شرحه كان عملا معجميا اعتمد فيه المعاجم والمصادر المنطقية.

8- عبد الرزاق ابن حمادوش : خلف لنا عبد الرزاق بن حمادوش شرحا على مختصر السنوسي سماه "الدرر على المختصر"[1] وهو يقع في حوالي تسع وسبعين ورقة، وقد أشاد به واعتبره من أهم تآليفه وكان عبد الرزاق بن حمادوش قد قرأ عندما كان في المغرب مختصر السنوسي في المنطق على الشيخ أحمد المبارك وأجازه به، كما أنه قد صححه في الجزائر على العالم المغربي أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي ثم الفاسي المالكي (ت 1668/ 1753م)[2]. ومن أواخر من ألف في المنطق في العهد العثماني:

9- أبو رأس الناصري: حيث ذكر أبو رأس أن له شرحا على سلم الأخضري سماه "القول المسلم في شرح السلم".

إضافة إلى:

10- الشيخ عبد العزيز الثميني: الذي وضع شرحا على "مرج البحرين لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني وقد سمي شرحه "تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، مرجع سابق، ص227.

[2] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص227.

وقد بدأ شرحه بهذه العبارة الهامة كفاتحة "نحمدك يا من نطقت بآيات وجوب وجوده أجناس الكائنات... "[1]، والذي تناول ثلاثة علوم وهي المنطق والعدد والهندسة، وقد اكتفى في شرحه بقسم المنطق وقام بشرحه شرحا فلسفيا وأعرض عن الباقي.

وله أيضا:

1- عقد الجواهر مختصر بحر القناطر.

2- معالم الدين[2].

ثانيا: علوم الطب:

يعتبر علم الطب من العلوم الجامعة غير أنه لم يلق العناية اللائقة به خلال العهد العثماني، وربما يعود السبب إلى اهتمام العلماء لدراسة العلوم النقلية وخصوصا العلوم الشرعية، وهذا راجع إلى طبيعة التكوين الديني من جهة أو لسيطرة فكرة القضاء والقدر في هذا الميدان على عقول الناس بصفة عامة واتجاه البعض الآخر إلى الالتجاء والتداوي بالأعشاب الطبيعية للمحافظة على الصحة.

وهو فرع من فروع الطبيعيات وهو حفظ وإزالة العلة بمختلف الأدوية والأغذية النافعة، لذلك بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ومعرفة أسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض الأدوية[3].

وتتجلى أهمية الطب في كونه حافظ للصحة الموجودة وارد للصحة المفقودة جعل من أشرف الصنائع وأربح البضائع ذات شرف وفخر، ورد تفضيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية حتى جعل علم الأبدان قرينا لعلم الأديان، وعن ذلك يقول الشافعي العلم علمان علم طب للأبدان وعلم فقه للأديان[4].

وقد عرفت إيالة الجزائر ممارسة الطب منذ الفترات القديمة، ويرجع ذلك إلى الحركة العلمية والتاريخية لكن تلك الحركية عرفت تراجعا خلال العهد العثماني، ولعل هذا يمكن أن نرجعه إلى عدة اعتبارات:

---

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 2، مرجع سابق، 153.

[2] بشير ضيف، مرجع سابق، ص 446.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ص268.

[4] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص324.

- عناية المؤسسات التعليمية بالجزائر بتدريس العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو البيان وغيرها وهيمنة روح التصوف على المجتمع الجزائري وإهمال هذه المؤسسات تدريس العلوم العقلية بما فيها الطب وهو ما أدى إلى قلة المشتغلين بهذه العلوم[1].

- اعتقاد العلماء أن العلم يقتصر على الجانب النظري فراحوا يحفظون المتون ويشرحون ويؤلفون حواشي في أعمال علماء آخرين، أما الجانب التطبيقي منه (الطب والصيدلة والكيمياء) فإن معظمهم كان يؤمن أن الطب مقصورا على الأوربيين.

هذا ما دفع بالرحالة الأوربيين إلى الجزم في الكثير من المرات أنه لم يكن بالجزائر أطباء ولا مهتمين بالطب خلال العهد العثماني[2].

- الطبيعة العسكرية للمجتمع الجزائري خلال الحكم العثماني، فالحكام لم يهتموا بالتعليم فكيف يهتمون بالعلوم؟ أما بخصوص صحتهم فقد كان دايات الجزائر وكبار المسؤولين في الدولة، يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة، ويتخذون لهم أطباء أجانب كلما وجدوا الى ذلك سبيلا، حيث اشترى صالح باي طبيبا ايطاليا وهو باسكال قاميزو وكان للباي حسين بوكمية باي قسنطينة طبيب هولندي[3]، وكذلك سيمون يفايفر[4] الذي أصبح طبيب الخزناجي الخاص، وقد أكد الرحالة الألماني هابنسترايت بأن الجزائريين كانوا يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى، إذ كانوا يصفونهم بالعلماء تعبيرا عن الخاص الذي يكنونه لهم[5].

وفي هذا الصدد كتب الرحالة الذي سبق ذكره ما يلي "بل أصبحنا محل تقدير لكوننا أجانب ولأننا نمتهن حرفة الطب أو التداوي بالأعشاب، وقد اعتادوا على تسميتنا بالبابيرو

---

[1] فوزية لزغم، الأطباء الأوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، ع15-16، 2012- 2013م، ص163.

[2] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص132.

[3] عميراوي أحميدة، مرجع سابق، ص17.

[4] ولد سنة 1810م، الذي أسره رجال الانكشارية في اليونان ونقلوه إلى أزمير ثم نقل إلى الجزائر برفقة عدد من العبيد عام 1825م، على متن سفينة شراعية حربية جزائرية، يقودها انجليزي اعتنق الإسلام يسمى عمر وكان يمارس مهنة طبيب الخزناجي الخاص، للمزيد ينظر: عميراوي أحميدة، مرجع سابق ، ص ص16-17.

[5] جاو هابنسترايت، رحلة العالم الألماني جاو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر ناصر الدين سعيدوني، د ت، تونس، ص77.

ومرد ذلك أنهم كانوا يروننا في اغلب الأحيان نحمل في أيدينا زهورا ونباتات وهذا يعتبر في حد ذاته وسيلة لضمان سلامتنا[1].

إضـافة إلـى ذلك لـم يكـن هنـاك مستشـفيات عموميـة باستثناء الزوايا التـي كانـت تـأوي العجزة والمرضـى، كمـا أن الخرافـة قد اختلطـت بالطـب فـي كثيـر مـن الأحيـان فـي المجتمـع الجزائري خلال العهد العثماني، فقد كانت عامة الناس تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة أو بزيارة الأولياء أو اللجوء إلى السحرة والمشعوذين، وهذا يؤكده وليام شالر بقولـه: " أعلم أن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه هذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز "[2].

وكذلك تومـاس شـاو يقول: "إن المسلمين الذين سيطروا علـى علـوم الفلك والرياضـيات والفلسـفة والطـب لقـرون طويلـة ، هـاهم يجهلونهـا..."، ويقـول "...لا يوجـد أي طبيـب فـي الجزائر العاصمة ولا في أي مدينة أخرى في المملكة..."[3].

لكـن هـذا لا ينفـي وجـود محاولـة الـبعض تكـوين فكـرة عـن العناصـر الكيمياويـة لصـنع البارود وكيفية تأثيرها، إضافة إلى تفسير الحوادث الطبيعية تفسيرا علميا لكن دون إبعادها عن الخرافات.

وكان اللجوء إلى حل التمائم والأحجبة بالإضافة إلى التداوي بالأعشاب التي كانت لها فوائد كبيرة معروفة لدى عامة الناس، وذلك من خلال كتب القدماء التي كانت معروفة آنذاك ككتب ابن سينا وابن رشد وداود الأنطـاكي وابن البيطـار وغيرهم، ولم يكن هنـاك امتحـان ولا مهنة للأطباء والذين يقومون بالعلاج هم غالبا مرابطين يداوون بالجن والأرواح وليس بالعلم.

ويمكن تقسيم الطب الذي كان منتشرا في الجزائر خلال الفترة العثمانية إلى قسمين:

1/: الطب الشعبي:

وهـو مـا يعـرف بالطـب التقليـدي كـان أكثـر انتشـارا خاصـة فـي الباديـة التـي كانـت تضـم أغلبيـة السـكان. فكـان فـي أغلـب الأحيـان يتنـاول الجانـب السـطحي مـن جسـم الإنسـان ممـا غلبت عليه البسـاطة، فمثلا كـانوا يتغلبـون علـى الحمـى بنبـات الشـندقورة، ومـن الأدويـة أيضـا الناجعة التي كانت تستعمل في علاج الحمى الناتجة عن مختلف الأمراض أقراص الكين أو

---

[1] جاو هابنسترايت، مرجع سابق، ص23.

[2] وليام شالر، مصدر سابق، ص81.

[3] Laugier de tassy,histoire du royaume dalger avec letat present de son gouvernement de ses forces de terre et de mer de ses revenus polis commerce, 1725, p126.

الكينة. وهذا ما أكده الرحالة عبد الرزاق بن حمادوش عندما كان في المغرب الأقصى في رحلته المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" حيث قال: "أصابتني حمى شديدة فلم استطع القراءة حتى ألهمني الله أن اشتري ثلاثة أثمان من الكين الكينة فاشتريتها بستة موزونات دققت الثمن الأول وشربته في فنجان قهوة من البن، فلما استقر في بطني أمسكت الأعضاء ..."[1].

وكانت الحناء وسيلة لعلاج الحروق والجروح البسيطة[2]، أما الجروح الناجمة عن الأسلحة النارية والبيضاء فكانوا يعالجونها بطرق مختلفة حيث يضعون الزبدة الطرية على الجرح بعد تسخينها، كما كانوا يستعملون أوراق الصبار بعد تحميصها ربع ساعة في الرماد لمعالجة الأورام والالتهابات والقرحة والنقرس، أمّا نبتة المقرمان فكانت تستعمل لمعالجة الجروح، وتخفيف من آلام الحوض فكانت توضع كمية منها بعد تسخينها على مستوى حوض المريض وتحزم بحزام من الصوف آو القماش[3]، وهناك أيضا مجموعة أخرى من النباتات والأعشاب يحضرون منها مشروبا ساخنا يتناوله المريض[4].

أمّا لدغة العقرب والأفعى فكان علاجها وضع البصل والثوم على مكان اللدغة، كما كان العسل وسيلة كبيرة للعلاج، أما على المستوى العام فإنّ الحكومة كانت تلجأ لحفظ الصحة إلى الحجر الصحي عندما تعلم بانتشار الطاعون والأمراض المعدية في إحدى السفن الداخلة إلى الجزائر[5]، ومارسته أيضا بعض الفئات الاجتماعية من سكان المدن؛ وهي عبارة عن ممارسة بسيطة وغير معقدة تعتمد بشكل أساسي على النباتات المتواجدة في المنطقة يتم توارثها في الغالب في نطاق عائلي[6].

وهكذا نجد بعض العائلات تخصصت واشتهرت في مجال معين من الطب وتوارثته كالجراحة والحجامة، وكان الطبيب في ذلك الوقت يمارس مهنته في الأسواق الأسبوعية بغية الاسترزاق، علما أن تكوينه المعرفي كان يقوم على ما تلقاه من محيطه أو ورثه من نصائح

---

[1] عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة، مصدر سابق، ص84.

[2] Shaw,Voyage Dans La Regence Dalger,P57.

[3] ارزقي شويتام، مرجع سابق، ص280.

[4] نفسه، ص281.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص418.

[6] بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519—1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران1 –احمد بن بلة–، الجزائر، 2014-2015م، ص22.

أجداده إضافة إلى ما تعلمه في دراسته الدينية من القرآن وأحاديث الرسول عليه أفضل والسلام. أن يوقع الشفاء في صورة نتيجة عن استعمال ما تناوله من الدواء[1]، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله عن حالة الطب في الجزائر خلال العهد العثماني وبخاصة الطب الشعبي: أن العناية بالعلوم الطبية كانت أكبر من العناية بالعلوم الأخرى ماعدا الفلك خلال العهد العثماني، ذلك أن الإنسان كان في حاجة الى المعالجة سواء كان في أعلى مكان أو أدناه، حقا أن الإيمان بالقضاء والقدر في هذا الميدان كان مسيطرا على العقول بصفة عامة، ولكن بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج والتداوي واتخاذ الوسائل والأسباب للمحافظة على الصحة، وهم أولئك المؤمنين بالحديث المنسوب الى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام "العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان"[2].

لقد كان الطب الشعبي يعتمد أساسا على الطب النبوي بما احتواه من توجيهات وقائية وعلاجية، وكان بعضهم يزيد في تكوينه مزاولة ودراسة كتب ابن سينا والرازي، ومنهم من سافر خاصة إلى الحجاز واختلط بأطباء آخرين وزادت معرفته وكبرت شهرته[3]، أما بخصوص الجراحة فكان الحلاقون هم من يقوم بأعمال الجراحة عن طريق كي الأعضاء المريضة بواسطة الحديد المتوهج، ثم يتم طلي المكان المكوي بالقطران ويكررون العملية عدة مرات بحسب شدة المرض وقدرة تحمل المريض. كما يتم البتر عن طريق إخماد حديد أو سيف وبوضع العضو المريض فوق طاولة ثم يقطع ويحرق بالحديد الساخن[4].

2/: الطب التركي:

كانت الاحتياجات الطبية للأتراك مغطاة من طرف الأطباء الذين جاؤوا من تركيا لمدة زمنية محدودة وهو ذو طابع عسكري مرتبط بالحروب، فبعض الأطباء نشأوا في سلك الانكشارية، وعند انقضاء مدة خدمتهم العسكرية، كانوا يعملون في القطاع الخاص. ومن أشهر الأطباء الأتراك محمد بن عثمان الملقب بـ محمد الكبير الذي كان يحضر الأدوية بنفسه ويقدمها للمرضى.

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م، ص21.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص416.

[3] بوحجرة عثمان، مرجع سابق، ص22.

[4] ارزقي شويتام، مرجع سابق، ص403. .

وفي هذا الصدد يقول عنه كاتبه أحمد ابن سحنون صاحب كتاب "المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية"[1] أنه كان للباي في الطب اليد الطولى وأنه كان يصف الدواء ويدفع لهم ما حضر منه، حتى إن المساكين كانوا يهرعون إليه كما يهرعون إلى طبيب ماهر، وهذا دلالة على عناية الباي بالطب عموما واهتمامه بصحة الناس[2]، كما كان يعتني بالطب ويشجع العلماء على التأليف فيه، وكان الباي يجيز من يفعل ذلك بالمال الكثير، ولهذا نجد العلامة عبد اللطيف قام بتأليف كتاب تحت عنوان "المنهل الروي والمنهل السوي في الطب النبوي" إضافة إلى محمد بن أحمد الشريف كتب رسالة في الطب أسماها" المن والسلوى في تحقيق حديث معنى لا عدوى".

أما بخصوص فئة الجنود الأتراك نجد السلطة العثمانية أولت اهتماما بالرعاية الصحية لفئة الجنود الذين يأتون إلى الجزائر في سن متفاوتة، لذلك أوكلت حاجياتهم لباش جراح، وهو ينتسب إلى القوات الانكشارية حيث يرافق الجنود والجيش للعناية بالجرحى أثناء الحملات العسكرية، وكان الباش جراح بمثابة طبيب وصيدلي[3].

ومن أشهر من ألف في علم الطب خلال العهد العثماني:

1- إبراهيم الثغري ومن بين مؤلفاته:

1- رسالة في الطب.

2-رسالة في الأدوية.

2- أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي أو العباس البوني (ت1726م) ومن بين مؤلفاته:

1- "مبين المآرب في العقل والطب مع المشارب"[4]، حول الأدوية وطرق العلاج ويضم الأغذية والمشروبات، واقتراح النصائح لذلك مثل تناول العنب الجاف الذي يحارب التعب والتين المجفف الذي يقوي المعدة.

وكان العباس البوني قد جعل هذا الكتاب نظما في آخر حياته سنة (1132هـ) وهو تأليف أكبر من الأول حجما، ولكنه جمع فيه بين عدة مصادر كالأول وخلط فيه أيضا بين العلم والخرافة، وفيه نقل عن غيره ما كتبوه في أسماء الأدوية وطريقة التداوي وأنواع

---

[1] أنظر الملحق، رقم (09)، ص ص242-243.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص119.

[3] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، مرجع سابق، ص434.

[4] أنظر الملحق رقم (10)، ص ص244-245.

المـأكولات والمشـروبات أمثـال ابـن البيطـار والسـيوطي وابـن العمـاد والسنوسـي والشـعراني والأنطاكي وأحمد زروق، وقد بلغ نظمه هذا أكثر من ألفي بيت، وجمع فيه نظم غيره أيضا مثل نظم "الاجهوري وصاحب المستطرف والخراطي" قائلا[1]:

وقـــد اكـــرر كأهـــل الفــــن *** زيـــادة في النفــــع دون مـــــنّ

قسّم المؤلف الكتاب إلى فصول لها عناوين تخللتها بعض الأبواب؛ وبدأ نظمه بداية تقليدية مبينا أن دافعه هو الحديث القائل بأن الطب نصف العلم، وأنه أراد أن ينفع بعلمه في هذا الباب[2]:

يـقـول أحـمـد الـفـقـير الـبـونـي *** هـو ابـن الـرضـى الـمـصـون

الـحـمـد لـلـه الـذي أبـاحـا *** الـطـيـبـات زادنـا أربـاحـا

جاعـل علم الـطـب نصـف الـعـلـم *** كـمـا أتـى عن الـنـبـي ذي الحـلـم

وقد تحدث في الجملة عن المأكولات المفضلة وعن أدب الضيف والمضيف، ومن أخباره الطبية أن أكل التين يذهب مرض القولنج، وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل لسفرجل مفيد للأطفال، وأن الرمان ينفع الكبد وأكل الزبيب مذهب للوصب، وأكل الكرميس يقوي المعدة، وأشار إلى أن شر الطعام الباذنجان، كما تحدث في تأليفه عن الأمراض المعنوية كالنسيان. والكتاب يعتمد أساسا على الطب النبوي وآداب الضيافة والإطعام[3].

كما للعباس البوني تأليف أخر حول "إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة" الذي ألفه سنة1116، هوقد تناول فيه الحديث عن أمراض الأذن والأنف والأسنان والفم والسعال والسل، ولم يقسم المؤلف كتابه إلى فصول وأبواب كما لم يرتبه على حروف المعجم مثلما درج عليه المؤلفون في الطب. كما تناول أيضا أمراض الرحم وحفظ الأجنحة وتكلم عن الأدوية المسمنة والحمى ولغة الحيات وأشهى أنواع اللحم، وهو يصف الداء والدواء ولم يخل عمله من الخرافة[4].

بالإضافة إلى ذلك للعباس البوني مؤلفات أخرى:

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص422.

[2] نفسه، ص422.

[3] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، الجزائر، 2013، ص120.

[4] نفسه، ص120.

1- مختصر في الطب.

2- إتحاف الألباء بأدوية الأطباء.

3- نظم في منافع الثوم.

3- أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون (ت1211هـ/1796م): وله

1- "المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية": ألف ابن سحنون هذا الكتاب "المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية" سنة (1204هـ/1790م)، ودوافع تأليفه أنه كان للباي في الطب اليد الطولى، وأنه كان يصف الدواء ويدفع لهم ما حضر منه حتى إن المساكين كانوا يهرعون إليه كما يهرعون إلى طبيب ماهر، وهذا دلالة على عناية الباي بالطب عموما واهتمامه بصحة الناس[1]، كما كان يعتني بالطب ويشجع العلماء على التأليف فيه.

وقد قسم ابن سحنون كتابه إلى ثلاثة أقسام الأول يشمل الأدوية المفردة وصفاتها العلمية وخصائصها الطبية والعلاجية، والثاني يشمل المسائل في معرفة المزاج وتركيب الأدوية والقسم الثالث عبارة عن خاتمة.

4- خليل بن إسماعيل الجزائري وله:

1- كتاب "الذخائر النفسية لدفع الأمراض العويصة"[2].

5- عبد الله بن احمد بن عبد العزيز بنعزوز التلمساني (ت1780م) وله:

1- "ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة".

6- أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة الشهاب أبو العباس التلمساني (ت 766هـ) وله:

1- أطيب الطبيب.

2- الطب المسنون في دفع الطاعون.

7- محمد بن رجب الجزائري (ت1786م) وله:

1- الدر المصون في تدبير أوباء والطاعون.

---

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص119.

[2] بشير ضيف، مرجع سابق، ص 456.

8- علي بن ثابت التلمساني وله:

1- كتاب في الطب[1].

أما الذين تناولوا واهتموا بعلم الطب في الجزائر أواخر العهد العثماني نجد.

9- عبد الرزاق بن حمادوش :

حيث كان لا يقرأ نظريا بل يحاول أن يطبق ما قرأه ويؤلف فيه ويجري التجارب الشخصية عليه، فكان يقوم بإجراء التجارب على النباتات ويركب المعجونات الطبية، ويختبر موازين المياه ويرسم الرخامة الظلية ويضع دائرة لبيان اتجاه الرياح.

ففي سفريته من تطوان إلى فاس ذهابا وإيابا سجل إبن حمادوش ملاحظات عن أنواع المياه التي مر بها ومن الطيور التي شاهدتها والأشجار التي تأملها، ويذكر خصائص كل نوع ويقارن ذلك بما في بلاه من نفس النوع، وكان لا يهتم فقط بالظواهر بل بالتعليق عليها أيضا سواء كان في الجزائر أو في خارجها فإنه لا ينفك عن قراءة الطب ودراسة الأعشاب والتوصل إلى منافعها والتأليف فيها[2].

فقد كتب عن نفسه وهو ما يزال في شبابه سنة (1145هـ)، بأنه أصبح طبيبا وصيدليا[3] وعشابا ولم يكن عندئذ سوى ثمان وثلاثين سنة، حيث قام بعدة أبحاث وتجارب ضمنها في الرحله، وفي هذا الصدد كتب يقول " فاليوم والحمد لله أنا عشاب وصيدلاني وطبيب في بعض الأمراض"[4].

ومما يلاحظ على ابن حمادوش أنه شديد الملاحظة والتجربة وهذا دليل على أن الملاحظة وسيلة أساسية في البحث العلمي أما التجربة فتعتبر نتائجها أكثر صدقا من الملاحظة، فكان لا يترك فرصة تفيده علما جديدا إلا اغتنمها فقد تعلم صنع البارود وضرب المدفع في مدينة الجزائر من أهل الاختصاص، وحين جمع قاموسه في الأعشاب كان يذكر

---

[1] بشير ضيف، مرجع سابق، ص457.

[2] أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص36.

[3] الصيدلة هي مهنة علمية تختص بتحضر الأدوية فهي علم وفن وصناعة أساسها في مدلولها الحديث دراسة مفردات الأدوية من نباتية وحيوانية ومعدنية وكيماوية ومعرفة شوائبها وتعرف صفاتها وخصائصها وكيفية الحصول عليها وطرق الحفاظ عليها وتأثيرها في جسم الإنسان.

وفي تعريف آخر هي: علم يبحث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها للمزيد ينظر: رزيوي زينب، مرجع سابق ، ص334.

[4] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، مصدر سابق، ص164.

بيئة كل نبات وأسماء الأعشاب عربية كانت أو غير عربية[1]، وكان كثير القراءة في كتب الطب القديمة عربية وأجنبية،فقرأ ولخص ودرس تأليف ابن سينا وابن البيطار والأنطاكي.

كما أعجب كثيرا بكتاب تاريخ الدول للملطي وقال عنه:" لم ير مثله في التراكيب العربية وأساليبها فيما عرّب من كتب النصارى"، وكان هذا الكتاب مخصصا لطبقات العلماء خصوصا الأطباء منهم[2].

ونقل عن تراجم عددا من الأطباء مسلمين وغيرهم أمثال الرازي والفارابي والبيروني وابن سهل حاجب صاحب بيمارستان جند سابور، والمنجم أبي العشر البلخي ومحمد بن جابر البتاتي ومحمد البوزجاني وإقليدس[3].

كما وصفه كذلك في رحلته فقال عنه: "هو كتاب عجيب التأليف حسن الصنيع، لولا أنه محشوا كفرا تزل فيه الإقدام فيجب التحذير منه والله المستعان"[4].

لقد ألف عبد الرزاق بن حمادوش العديد من المؤلفات في الطب، ومن أبرز مؤلفاته نجد:

1- "كشف الرموز في بيان الأعشاب"[5]، وهو جزء من كتاب الجوهر المكنون من بحر القانون وهو كتاب طبي[6]، يعد من الكتب المهمة في بيان مستخرجات الدواء وفوائدها ومعالجتها بها[7]، وهو عبارة عن قاموس طبي في شرح العقاقير والأعشاب حيث يبين لنا مستخرجات الدواء وفوائدها والمعالجة بها تناول عما تفعله الأدوية من أفعال شبه كلية مثل التسخين والتبريد والجذب والدفع والأفعال الجزئية وغيرها، سار فيه ابن حمادوش على طريقة المعاجم الأبجدية، وضمنه بعد مدخل في أنواع وأوصاف الأدوية أسماء النباتات والعقاقير

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، مرجع سابق، ص172.

[2] أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، مرجع سابق، ص37.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص428.

[4] ابن حمادوش، الرحلة، مصدر سابق، ص143.

[5] أنظر الملحق رقم (11)، ص246.

[6] محمود عبد العزيز الزعبي، المحكم في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج 2، أمواج النشر، الأردن، 2009م.

[7] عبد الرزاق محمد بن حمادوش الجزائري، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1996م، ص17.

والحيوانات والمعادن أيضا، واعتمد فيه على تعريفات الأطباء السابقين ويتناول هذا الكتاب الأدوية والأمراض التي انتشرت في الجزائر خلال الفترة المدروسة[1].

لقد ألف ابن حمادوش هذا الكتاب سنة 1158 هـ، وهذا يعني أن ابن حمادوش قد وضع كتابه وهو في الواحد والخمسين من عمره أي بعد أن إعتدلت تجربته العلمية وخبرته بأمر الطب، فقد تطرق فيه إلى الأدوية من النباتات والعقاقير والحيونات والمعادن.

ويعد الكتاب الرابع[2]، من مؤلفه الكبير في الطب سماه "الجوهر المكنون من بحر القانون" وكان أول من اكتشفه الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك الذي عرفه بواسطة أحد الجزائريين سنة 1861م.

وقد اعتمد عبد الرزاق بن حمادوش على مصادر كثيرة لكتابة عمله ومن هؤلاء داود الأنطاكي صاحب "التذكرة"، الذي قيل إن ما أخذه عنه ابن حمادوش بلغ أربعين مادة وأخذ أيضا عن ابن البيطار كما استعان بابن سينا ولا سيما بكتابه "القانون"، الذي طبع في روما قبل ميلاد عبد الرزاق بن حمادوش.

كما أخذ ابن حمادوش عن علماء اليونان وغيرهم مثل بول وغاليان وديوسكوريدس وغيرهم بطريقة غير مباشرة، واعتمد ابن حمادوش على مؤلفين مسلمين آخرين أمثال ابن ماسوية والإدريسي والسنوسي وزروق والقزويني[3]، ولكن أغنى مصدر رجع إليه عبد الرزاق بن حمادوش هو التجربة الشخصية والملاحظة الشديدة، فكان لا يترك فرصة تفيده علما جديدا لا اغتنمها[4]، وقد أشاد ليكريك بكتاب " كشف الرموز" واعتبره صفحة هامة في تاريخ الطب وقال عن مؤلفه أنه يعد في نظره من أواخر الممثلين للطب العربي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص81-82.

[2] كتب بالجزائر بالجزائر بعنوان " كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب" وطبع أولا بباريس سنة 1874م في397 صفحة، ثم طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر على القاعدة المغربية، وعلى ذمة السيد رودوسي قدور بن مراد التركي ومعه فهرست ألفاضه وبعدها ترجم إلى اللغة الفرنسية في الجزائر سنة (1321هـ/1903م)، وطبعته مطبعة ديلورد برهيم ومرينال باعتناء المستشرق جريت كولين سنة (1323هـ/1905م)للمزيد ينظر:

Gabriel kolin, Abderezaq el jazairi, un medecin arabe du xii siecle de algerie, I mprimerie delord boehm et martial editeur du montpellier medical, Montpllier, 1905, p37.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص433.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، مرجع سابق، ص172.

كما أشاد كولان أيضا بعصرية تفكير عبد الرزاق بن حمادوش لبعده عن التصوف والخرافات وقال عن "كشف الرموز" أنه من الكتب التي تركت أثرا عميقا في تقاليد الطب في القطر الجزائري، وأنه مرجع للسكان في علاج الأمراض الشائعة عندهم، ولعل مصدر الإعجاب بـ "كشف الرموز" يعود إلى كون ابن حمادوش قد سار فيه على طريقة واضحة، فبعد المدخل أي النقل عن ابن سينا والترتيب الأبجدي يشرع في تعريف الدواء ووصفه وأنواع الأسماء الأخرى التي تطلق عليه في مختلف البقاع، وذكر خصائصه وفوائده العامة وفوائده الخاصة وكيفية استعماله والكمية الضرورية منه ومشتقاته، ومن جهة أخرى يذكر الأمراض التي يستعمل لها دواء ويتعرض لها الجسم ويحدد منافق كل نبات أو غيره[1] .

إن ما قام به الطبيب عبد الرزاق بن حمادوش من خلال مؤلفه "كشف الرموز" في باب الطب جعله بحق من أبرز ممثليه من العرب والمسلمين خلال القرن (12هـ/18م) في الجزائر[2].

2- "الجوهر المكنون من بحر القانون" هو تأليف في الطب لمؤلفه عبد الرزاق بن حمادوش وقد رتبه على أربعة كتب[3]:

- الكتاب الأول: في السموم وذوات السموم وعلاجاتها.
- الكتاب الثاني: في الترقيات وما يجري مجرها إن وجد من الباذز هرات وبعض المعاجين الذي يظهر إليه المرء.
- الكتاب الثالث: في الأمراض مرتبا ذلك على جدول حنين ابن إسحاق الطبيب والمؤرخ والمترجم البغدادي.
- الكتاب الرابع: وهو كتاب في حل ألفاظ المفردات وتعريبها ما أمكن، قال عنه في رحلته "فهذا جوهر مكنون من بحر القانون..." تأليف حسن في الطب[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص434.

[2] gabriel kolin, abderezaq el jazairi, p7.

[3] ابن حمادوش، الرحلة، مصدر سابق، ص161.

[4] نفسه، ص161.

يرجع أن هذا الجزء الرابع هو الكتاب المطبوع بعنوان "كشف الرموز"، وهو عبارة عن قاموس طبي شعبي ضمنه أو صاف طبية وأسماء لنباتات وعقاقير ومعادن وحيوانات سار فيها ابن حمادوش على طريقة المعاجم الأبجدية[1].

3- "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج" وهو عبارة عن رسالة تناول فيها ابن حمادوش المزاج البشري وأحواله وأسباب علاجه، وقد ألفها عبد الرزاق بن حمادوش عندما كان في مدينة رشيد بمصر سنة (1161هـ/174م)، أي بعد سفره من الجزائر بقليل، وموضوعها الرئيس هو وظائف الأعضاء التناسلية والاضطرابات التي تصيبها وعلاجها وكيفية المحافظة عليها في حالة السليمة، وبناء على ابن حمادوش فإن الاضطرابات التي تصيب الأعضاء التناسلية نوعان نوع غير عادي أو خارج عن قدرة الإنسان ونوع عادي مثل تعكر أو توعك القلب والمخ والكبد.

ويصف ابن حمادوش العلاج للنوع الأول فيذهب إلى استعمال الوسائل التقليدية مثل التمائم والرقى، كما يصف علاج النوع الثاني وطريقة رده إلى حالته العادية التي تؤدي إلى تعديل الأمزجة المصابة وهو يصف لذلك أدوية بسيطة ومركبة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كما اعتمد أيضا في هذا الكتاب خلافا لما فعله في " كشف الرموز " على الأحاديث النبوية[2].

ومن بين الموضوعات التي حظيت بالتأليف أواخر العهد العثماني حول انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة كالطاعون[3]، حيث كانت الأوبئة يتكرر ظهورها كل سبع أو عشر سنوات[1].

---

[1] عبد القادر بكاري، عبد الرزاق ابن حمادوش والكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص238.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص436.

[3] عرف وباء الطاعون انتشارا كبيرا خلال القرن (17-18-19م) فخلال الفترة الممتدة بين عامي (111هـ-1698م/1113هـ-1701م) قدر عدد الضحايا الذين حصدهم الطاعون في عدة جهات من البلاد يتراوح مابين خمسة وعشرين وخمسة وأربعين ألف ضحية ومن بينهم ثلاثة علماء كبار بركات بن نعمان وعبد اللطيف المصباح وبركات بن عبد المؤمن بعدها عرفت مدينة الجزائر فترة من الراحة، بعد أن تخلصت من الوباء حيث لم يظهر فيها من جديد إلا في عام (1233هـ/1817م) ليستمر إلى غاية عام (1238هـ/1822م) وكان الوباء خلال تلك الفترة اشد عنفا وخطورة إذ خمد عددا كبيرا من الأهالي، وقد اختفى الوباء بصفة نهائية من الجزائر والأقطار المغاربية عامة منذ عام (1238هـ/ 1822م) للمزيد ينظر: محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص32.

وسبب انتشار الأمراض وانتقال العدوى كان من الأقطار المجاورة، وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط وانفتاحها على السودان وعلاقاتها بالبلاد الأوربية وارتباطها بالمشرق العربي[2].

ومن بين المؤلفين الذين كتبوا في هذا المجال نجد:

10- محمد بن رجب الجزائري كتاب حول الطاعون سنة 1786م تحت عنوان:

1- "الظهر المصون في تدبير الوباء والطاعون" وكذلك نجد:

11- أبو رأس الناصري:

فقد خلف لنا مؤلفات طبية في هذا الموضوع تحت عنوان " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون"، وقد جمع فيه ما قيل عن الطاعون وأضراره[3]، وله أخرى حول:

1-"الجدري من ثمانية صفحات سماها "الكوكب الدري في الكلام على الجدري"[4].

أما علم الكيمياء فلكونها من العلوم العقلية التجريبية نظرا لارتباطها بالطب والصيدلة، لذلك أولاها المسلمون عناية خاصة عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، ولكن بحلول العهد العثماني لم يعد هذا العلم يتمتع بخاصيته الأولى بين العلوم؛ حيث أصبح علم الكيمياء علما يهرب منه العلماء ولعل هذا يرجع إلى عدة أسباب:

- انصراف الطلبة والعلماء إلى دراسة علوم الأدب والتصوف.
- عدم وجود أساتذة أخصاء في هذا المجال وحتى من اشتغل به فهو مجرد هواية ولست حرص على إتقان علم الكيمياء.

وهذا ما عبر عنه شارو بنبرة من السخرية:"... إن علم الكيمياء لم يعد في الجزائر سوى صناعة ماء الورد بعد أن كان محببا عند المسلمين الأوائل"[5].

---

[1] محمد الزين، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات، الجزائر، ع 17، 2012م، ص129.

[2] أبي رأس الناصر، لقطة العجلان، مصدر سابق، ص31.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص421.

[4] مصطفى خياطي، مرجع سابق، ص125.

[5] ذهبية بوشيبة، مرجع سابق، ص133.

ثالثا: علوم الفلك والحساب:

لقد كان الإنتاج العلمي خلال العهد العثماني وخصوصا في علوم الفلك والحساب ضئيلا مقارنة بعلوم الطب مثلا ومن أشهر الذين ألفوا فيه عبد الرحمان الأخضري وسحنون بن عثمان الونشريسي وعبد الرزاق بن حمادوش رغم أهميتهما في الحياة اليومية للإنسان.

1/: علوم الفلك:

يعتبر علم الفلك من العلوم العقلية التي خصها العلماء بالدراسة والتأليف خلال العهد العثماني، ويظهر هذا الاهتمام في إقبال علماء هذه الفترة على حفظ ودراسة تراث القرن التاسع هجري.

ويسمى علم الفلك أيضا بعلم الهيئة وهو العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة المتحركة والمتحيزة، ويستبدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية[1].

وإذا عدنا إلى الإنتاج العلمي في هذا المجال خلال العهد العثماني وجدنا منه كمية ضئيلة كبعض الأعمال التي تركها الأخضري وسحنون بن عثمان الونشريسي وعبد الرزاق بن حمادوش الذين كانوا يعتمدون على تراث "الحباك" و"السنوسي" و"ابن قنفذ" و"القلصادي" وظلت قصيدة علي بن أبي الرجال القيرواني (ت432) في الفلك وشرح أحمد بن القنفذ و"منظومة بغية الطلاب في علم الإسطرلاب" للحباك من المصادر الهامة للمهتمين بهذا العلم، وكلهم من علماء القرن الخامس عشر الميلادي[2].

وقد انحصرت الأعمال الفلكية في تقويم الصلوات وحركة الليل والنهار، وتعديل بعض الكواكب ورغم دقة مزاول الشمس وحركة الضل فإن علم لملاحة لم يكن متطورا، ومن أشهر العلماء الذين ألفوا في علم الفلك خلال العهد العثماني نجد:

1- **العالم التلمساني أحمد بن محمد بن عيسى المرصاوي** المعروف بقائد الجيوش فقد كتبه حوالي سنة 960 كتابا سماه :

1- "لسان الفلك" وهو في علم الحساب والحروف والطبائع والبروج[3].

---

[1] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص337.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص404.

[3] نفسه، ص410.

ومما يلاحظ على علم الفلك أنه له علاقة كبيرة بالتصوف وعلوم الغيبيات.

2- محمد بن احمد الصخري الأندلسي: ظهرت شخصية جزائرية كانت أعمالها أكثر علمية وغير مختلطة بالأفكار الصوفية والغيبيات واستخدام الروحانيات، وهو محمد بن أحمد الصخري الأندلسي الأصل الجزائري الذي له تأليف في الحساب بعنوان "القلادة الجوهرية في العمل بالصفيحة العجمية"، حيث كان معجبا بالأشكال الهندسية ودوران الكواكب ومعرفة الظل ونحو ذلك من الربط بين التغيرات الطبيعية وحاجات الإنسان حيث تطرق في المقدمة إلى التعريف بالصفيحة الشعاعية وأعمالها وأجزائها وأشكالها، أما الأبواب فهي على النحو التالي:

1- في معرفة تعديل الشمس وميله وموضع القمر وما فيه من النور ومطرح شعاعه.

2- في معرفة وضع الشمس ونظيرها على مداري جزء كل منهما في خط الطول ومعرفة المطالع الاستوائية لكل منهما.

3- في معرفة أخذ الارتفاع أي ارتفاع الشمس.

4- في معرفة استخراج العرض.

5- في معرفة غاية ارتفاع الشمس في دائرة نصف نهار مفروض.

6- في معرفة ما في كل واحد من النهار والليل من ساعة مستوية وثم كل واحد منهما.

7- في معرفة فضل الدوائر والماضي من النهار.

8- في معرفة سمت القبلة.

9- في معرفة استخراج الجهات الأربع ونصب القبلة.

10- في معرفة ارتفاع الشمس لوقت الظهر.

11- في الدائر وفضله.

12- في المطالع.

13- في مطالع الكواكب الاستوائية في الفلك المستقيم وأبعادها.

14- في العمل بالكواكب التي لها طلوع وغروب.

15- في الماضي والباقي من الليل.

- أما بخصوص الخاتمة فقد جعلها في التفنن بهذه الصفحة، وذلك باستخراج المجهول لها من المعلوم[1].

إضافة إلى ذلك له أيضا:

16- تعديل الكواكب لعرض بلاد الجزائر.

3- عبد الرحمان الأخضري: الذي وضع نظما سماه: "السراج في علم الفلك" (939هـ) حيث قسم رجزه إلى فصول وأبواب حول موضوعات فلكية إذ يقول فيه:"... أن ندع اختيار أمر بحركات الفلك، ولا نسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك هذا بما يتعلق بحركة أجرام المشتري وزحل".

وجاء في "السراج" حديث عن أمور عديدة خاصة بالفصول فصل في الجهل والعلم بالأوقات وفصل في معرفة ساعات النهار بالإقدام... فصل في معرفة أول أيام من الشهر العربي، وفصل في معرفة السنة العجمية، وفصل في الكواكب والبروج وغيرها، وتعاقب الليل والنهار، وبعض القواعد الفلكية، غير أنه اختلطت فيه بعض المتعلقات بالشعوذة، ورغم ذلك يظل "السراج" من أهم الأعمال في علم الفلك نظرا لتوالي الشروح عليه مثل:

4- سحنون بن عثمان الراشدي (الونشريسي)، وله أيضا:

1- "مفيد المحتاج في شرح السراج"

2 - أزهار المطالب في علم الإسطرلاب: وهي عبارة عن منظومة في تسمية الآلات ورسم الأسطرلاب وكيفية العمل به.

3- جواهر المحتاج في الشراح السراج لمجهول.

5- ابن علي الشريف حيث ألف :

1- "معالم الاستبصار بتفضيل الزمان ومنافع البوادي والأمصار" وهو كتاب في الفلك والتنجيم ألف سنة 1192هـ.

كما اشتهر:

6- سحنون بن عثمان الراشيدي الونشريسي بـ:

1 - بغية المحتاج في شرح السراج[2]. وبتأليف آخر في هذا الميدان :

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص ص413 -414.

[2] بشير ضيف، مرجع سابق، ص462.

2- "سـهام الربط فـي المخمس خـالي الوسـط " حيث قسمه إلـى فصـول حيث وضـع فصـل لتصحيح النية والطهارة، وجعل فصلا حول الآيات وأسماء الله للحاجة ومناسبة الوقت لها، مثل طلب الرزق يناسبه الرزاق ثم وضع فصل في طريق الوصول إلى سر الروح بالتطهير والتزهد والعمل بالعلم وتجنب السفهاء وغيرها إلا أن هذا العمل لا يخلو من الخرافة والسحر[1].

7- محمد بن علي الشلاطي المعروف بابن علي الشريف وله:

1- تاريخ علم الفلك.

2- معالم الإستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار وهو كتابه في الفلك والتنجيم ألفه سنة (1192هـ/ 1778م)، يحتوي على فوائد هامة:

كمعرفة أوقات الصلاة والأذكار وتحديد القبلة من جميع الجهات ومعرفة العام العربي والشهور... كما أنه تطرق إلى الرياح والبروج والرعد والزلازل.

8- محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي أبو عبد الله الخطيب وله:

1- كتاب في التنجيم.

2- محمد بن سعيد وله:

3- المقنع في علم مقرع.

4- منظومة في البروج.

9- محمد بن أحمد بن أبي يحي التلمساني الحباك وله:

1- بغية الطلاب في علم الإسطرلاب.

2- نظم رسالة الصغار.

3- النيل المطلوب في العمل لرفع الجيوب.

4- تحفة الأحباب في عدد السنين والحساب[2].

10-عبد الرزاق بن حمادوش :

كما اهتم أيضا عبد الرزاق ابن حمادوش بعلوم الفلك والإسطرلاب، وفي القوس لرصد حركة الشمس. وله:

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص408.

[2] بشير ضيف، مرجع سابق، ص463.

1- "الربع المقنطر".

2- تأليف في الروزنامة.

3- تأليف في القوس لرصد الشمس.

4- تأليف في علم الفلك (جمع فيه التواريخ السبعة التي تعلمها ومعلومات عنها).

5- خارطة لمعرفة الرياح في البحر

6- "القلادة الجوهرية في العمل بالصفيحة العجمية" الذي وضعه أحمد الصخري سنة 1043هـ، وفي القوس لرصد حركة الشمس وله كتاب في صورة الكرة الأرضية[1]، فقد وضع تأليفا أضاف فيه ما تعلمه من كتاب عبد الرحمان الفاسي عن البونية، وخرج بنفسه إلى ضاحية العاصمة وتعلم الرمي والمقاسات والأحجام.

كما له كتاب في صورة الكرة الأرضية وفي هذا الموضوع كتب "علي بن محمد البجائي" تأليفا أسماه "تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي" فهو كتاب حول معرفة الأوقات بالحساب من غير ألة.

ودرس ابن حمادوش علم "الطرق البحرية" وهو يسميه (علم البلوط) والذي عرفه بأنه معرفة الطرق البحرية، وقال إن يدي صحت في هذا العلم وألف في ذلك، من جهة أخرى أدى إهتمامه بالهندسة إلى إهتمامه بالرياح حيث وضع خريطة توضح اتجاه الرياح ووصف طريقه استعمالها، وألف عملا آخر في "صورة الأرض" قال عنه لم اسبق به[2].

وألف سنة (1143هـ/1731م) "بغية الأديب في علم التكعيب" وعلق على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا وغيرها من المؤلفات[3].

ومن التجارب العلمية لابن حمادوش نذكر ما لاحظه على أوزان المياه المختلفة فقد رسم مجوفا من الزجاج ووضع فيه حبات دقيقة من الرصاص، ووزن أنواع المياه المعتدلة والخفيفة والثقيلة، كما تعلم أيضا طريقة رمي القنابل (علم البونية كما يسميه)، كما درسها أيضا عن كتاب عبد الرحمان الفاسي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص173.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص429.

[3] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين، مرجع سابق، ص236.

ونتيجة اهتمام ابن حمادوش بعلم الفلك تعلم صنع الإسطرلاب والربع المقنطر وتعلم كذلك سبعة تواريخ وهي: العربي والمسيحي والإسكندري ثم التاريخ الفاسي والعبري والقبطي والملطي[1].

ومن جهة أخرى ألف كل من

11- **عبد القادر الراشيدي القسنطيني** كتابا يسمى "متسعات الميدان في إثبات وجه الوزن وألات الميزان" ولعلى بن حسن الجزائري رسالة في الفلك بعنوان " الحاشية الإختصارية الرملية الفلكية " بمصر سنة (1185هـ/ 1771م)[2]، ومن جهة أخرى

12- علي بن حسن الجزائري: ألف رسالة في الفلك أيضا سماها

1- "الحاشية الإختصارية الرملية الفلكية".

13- عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني وله:

1- الأجوبة النورانية.

2- أثمد البصائر في معرفة حكمة المظاهر.

3- ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة.

14- محمد المقري التلمساني وله:

1- كتاب في علم الهيئة[3].

2- بدر الدين بن محمد بن عبد الكريم الفكون وله:

3- رسالة شرح المربع المجيب.

15-وللرحموني محمد بن صالح بن سليمان (ت 1826 م) شرح على سراج سماه:

1-" المحتاج في شرح معاني السراج"[4].

2/: علم الحساب:

علم الحساب من العلوم العددية يقوم على معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف، يعتمد على الذكاء والموهبة الفطرية ويخضع لمبادئ جوهرية وفرضيات قابلة للتغيير عند التوصل إلى نتائج جديدة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة، مرجع سابق، ص40.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص415.

[3] بشير ضيف، مرجع سابق، ص464.

[4] نفسه، ص417.

ومن فروع علم العدد صناعة الحساب وهي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهو الجمع وبالتضعيف تضاعف عددا بآحاد عدد آخر وهذا هو الضرب. والتفريق أيضا يكون في الأعداد إما بالأفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي هو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة[1].

فهو علم بقوانين يستخرج بها المجهولات العددية من معلوماتها فموضوعه هو الكم المنفصل وهو العدد وهذا فن مقدمة لبعض أبواب الفقه كالفرائض والوصية وتتجلى فوائدها في معرفة القبلة ومواقيت الصلاة[2].

إن الاهتمام بالعلوم العددية يرجع إلى الدين الإسلامي، الذي بفضله لجا إلى الاعتماد عليها خاصة في مجالات الشريعة الإسلامية، التي لا تحلّ قضاياها إلا باللجوء إليها فالقانون لقسمة التركات الذي شرعه الإسلام أدى إلى الاهتمام بعلم الحساب خصوصا باب الكسور منه، كما لها منفعة كبيرة تكمن في ضبط المعاملات وحفظ الأموال وقضاء الدين وقسمة التركات فالرياضيات يحتاج إليها في سائر العلوم الفلكية والمساحة[3]، والطب، ولا يستغني عنها مالك ولا عالم[4]، لكونها فن مقدمة لبعض أبواب الفقه كالفرائض والوصية[5]، ونظرا لأهميتها الكبيرة فقد ألف فيها الكثير وعلمت للولدان وفق طريقتين:

طريقة الكتابة في اللوح أو الورق لإثبات التمارين الحسابية، وطريقة الحساب الذهني دون اللجوء إلى آلات الكتابة خاصة إذا غابت وهي طريقة الحساب الهوائي أي في الخيال وهذا النوع عظيم النفع للتجار في الأسفار ولأهل الأسواق الذين لا يعرفون الكتابة.

ومن بين فروعها العلوم الهندسية ويعتبر هذا العلم هو النظر في المقادير أما المتصلة كالخط والسطح والجسم وإما المنفصلة كالأعداء فيما يعرض لها من العوارض الذاتية وتتجلى أهميتها حسب ما أورد عبد الرحمان ابن خلدون "إن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة

---

[1] بن خلدون، مقدمة، ج 2، مصدر سابق، ص ص253-254.

[2] محمد المرعشي، مصدر سابق، ص181.

[3] وهو فن يحتاج إليه في مسح الأرض ومعناه استخراج مقدار الأرض المعلومة نسبة شبر أو ذراع أو غيرها ويحتاج إلى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والفدن وبساتين الغراسة وفي قسمة الخرائط والأراضي بين الشركاء أو الورثة وأمثال ذلك، للمزيد ينظر: بن خلدون، مقدمة، مصدر سابق، ج2، ص258.

[4] رزيوي زينب، مرجع سابق، ص301.

[5] المرعشي محمد، ترتيب العلوم، تح: محمد بن إسماعيل السيد احمد، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988م، ص181.

في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيستها لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ وتنشا لصاحبها عقل على ذلك المهيع"[1].

وقد لاحظ الأجانب ضعف "علم الحساب" في العهد العثماني وهذا ما قاله دكتور شو الذي عاش فترة طويلة في الجزائر "أن العلماء هناك كانوا لا يعرفون إلا قليلا من الحساب، وان الآلات الحسابية مثل الإسطرلاب كان ينظر إليها نظرة فضولية لا علمية، كما لاحظ أن الجبر والحساب العددي لم يكونا معروفين لشخص واحد من بين عشرين ألف نسمة، فالتجار كانوا كما لاحظ يحسبون بالأصابع ومع ذلك فالمفروض أن العلماء وأمثالهم يدعون معرفة أسرار الحروف والأعداد[2].

لكن رغم ذلك وجدت بعض المؤلفات في هذا العلم ومن أبرز من ألف في علم الحساب والفرائض في العهد العثماني نجد:

1- عبد الرحمان الأخضري: فقد نظم خمسمائة بيت في هذا المعنى سماها "الدرة البيضاء" وقسمها إلى ثلاثة أقسام الأول خاص بالحساب، والثاني خاص بقواعد الفرائض، والثالث خاص بالقسمة العملية للتركات، وقد وضع الأخضري نفسه شرحا على الدرة البيضاء ولكنه لم يكمله.

ويبدو أنه قد شرح القسم الثاني منه على الأقل وقد أكمل عبد اللطيف المسبح من علماء الحساب والفرائض وقد قام بشرح " الدرة البيضاء" في القاهرة 1891م.

وقد ظلت "الدرة البيضاء" وشرحها متداولة بين الطلاب والعلماء في المشرق والمغرب، وهي تعتبر من أهم الأعمال التي قدمها الأخضري للعلم[3].

أما أبواب النظم الخاص بالحساب فهي على النحو التالي:

- الباب الأول: يشرح فيه الأخضري ماهية (حروف الغباري)، ثم يحدد مراتب الأعداء في الأربع.
- الباب الثاني: خصصه للجمع.

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة، ج 2، مصدر سابق، ص257.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، ص402.

[3] نفسه، ص406.

- الباب الثالث: الطرح وطرقه وعدد ستة طرق للطرح وشرح كيفيتها.
- الباب الرابع: الضرب.
- الباب الخامس: القسمة.
- الباب السادس: التسمية..

وهذا نموذج من فصل التسمية[1]:

تسمية نسبتك القليلا *** من الكثير فاعرف التمثيلا
فألقه أئمة لتقسما *** من بعد أن تحله فلتعما
والبدء في تنزيلها بالأكبر *** والبدء في قسمتها بالأصغر
وما بقى من الكسور يرسم *** فوق الأمام ثم منه يعلم
واقسم على الذي يليه ما خرج *** وافعل كما ذكرته فلا حرج

- فصل: في حل الأعداد.
- الباب السابع:في الإختبار.
- باب الكسور: ويشتمل على فصلين:
- الفصل الأول: في أقسامها.
- الفصل الثاني: في أعمال الكسور.

وهذا نموذج من مادة النظم (فصل في حل الأعداد).

قد ذكروا لحلّه مقدمة *** لازِمَه لكل من تعلمه
النصف والعشر مع الخمس لمّا *** الصفر في أوّله تقدَّما
وإن يكن مفتتحا بالخمسة *** فذاك ذو خمس تفهم اسّه
واعلم بأن جملة الأعداد *** مقسومة للزوج والأفراد
وليطرح الزوج بطرح التسعة *** مع الثمان ثم طرح السبعة
فإن طرحته بتسع فالسدس *** له وتسع مع الثلث فاقتبس
وحيث ست أو ثلاث عبرا *** فالسدس والثلث له قد شهرا
وإن بقى ثلاثة فالسدس له *** والثلث أيضا فَادْرِ تلك المسألة

[1] بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص70.

وأطـــرحـه إن بـقـى غــيــر ذلـــــك *** طــرح الثـمــان تــتـبـع الـمـسـالــــك[1]

2- أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس تقي الدين البوني (ت1726م) وله:

1- مواقف الغابات في أسرار الرياضيات.

3- علي بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن علي بن الأمين الجزائري (ت1821م) وله:

1- نظم تلخيص إبن البناء.

4- ابن حمزة الجزائري وله:

1- تحفة الآحاد لذوي الرشد والسداد حيث يتناول هذا الكتاب المسائل الحسابية ومسائل المساحات[2].

2- آثار باقية.

إضافة إلى ذلك:

5-عبد الرزاق بن حمادوش: فقد ألف في الروزنامة وفي الرخامة الظلية بالحساب، وكان مهتما أيضا برسم الجداول ووضع الأشكال الهندسية واستخراج النتائج العلمية منها[3].

وختاما لما سبق يمكن القول بأن المؤلفات الجزائرية أواخر العهد العثماني لم تقتصر على المؤلفات النقلية فقط المتمثلة في العلوم الشرعية والعلوم الأدبية، والأعمال التاريخية بل تعدته إلى المؤلفات العقلية، هذه الأخيرة رغم ندرة مؤلفاتها إلا أنها تميزت في تنوعها كالطب والمنطق والفلك والحساب، وقد عرفت المؤلفات الطبية وفرة وهذا ما لاحظناه في مؤلفات عبد الرزاق بن حمادوش ومن بينها:

1- كشف الرموز في بيان الأعشاب.

2- الجوهر المكنون من بحر القانون.

3- تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج.

بينما عرفت الفترة المذكورة ندرة في مؤلفات علم المنطق الذي اختلط بالتصوف وعلم الحساب والفلك والكيمياء وغيرها من علوم الطبيعيات، وهكذا تبقى المؤلفات النقلية المتمثلة

---

[1] بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص71.

[2] بشير ضيف، مرجع سابق، ص471.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص415.

خصوصا في العلوم الشرعية هي الرائدة في الجزائر أواخر العهد العثماني من خلال كثرة وتنوع المؤلفات فيها.


الخاتمة

الخاتمـــة:

هدفت هذه الدراسة العلمية إلى إلقاء الضوء على حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني، وقد توصلت إلى جملة من النتائج الهامة التي يمكن حصرها فيما يلي:

عرفت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا للمراكز الثقافية والدينية المتمثلة أساسا في المساجد والزوايا والرباطات والكتاتيب القرآنية والمدارس والمكتبات بنوعيها العامة والخاصة، التي ساهمت بدورها في دفع عجلة الحركة الثقافية والنشاط العلمي إضافة إلى مؤسسة الوقف التي كانت المورد الرئيسي للتعليم، وقد عملت هذه المؤسسات التعليمية سواء منها ما كان موجودا بالمدن أو الريف على نشر المعارف الميسرة والثقافة الدينية المبسطة في أوساط عامة الناس، فقامت بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم وبتلقين ما هو ضروري من أمور العبادة فانتشر العلم بين الطبقات الراقية، وتراجعت نسبة الأمية بين الطبقات الوسطى والعاملة.

تعتبر حركة التأليف بالجزائر خلال العهد العثماني من أهم الكتابات في هذا المجال لأنها تعطي صورة شاملة عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن الجزائر، خلال الفترة العثمانية وتمر عملية تأليف الكتب بعدة مراحل بدايتها يبدأ المؤلف عادة يجمع مادته العلمية من مصادرها المختلفة ويحللها ويناقشها ويكتبها في صورة مبدئية تسمى "المُسَودة" وهذه المسودة تخضع للتغيير والتبديل والتقديم والتأخير والحذف والإضافة حتى إذا استقر صاحبها على الصيغة التي يرتضيها، بيضها في صورة نهائية ينشرها على الناس.

عرف علماء الجزائر خلال العهد العثماني حركة نسخ الكتب بسب انعدام المطبعة وتتوفر عدة شروط في عملية النسخ أهمها جودة الخط وحسن الورق وإتقان صناعته والسرعة في التوثيق والدقة في العمل وصحة النظر، وكان النسخ يتم بثلاث خطوط في الفترة العثمانية الخط المغربي والخط الأندلسي والخط العثماني كل هذا ساهم في ظهور حركة التأليف وانتشار الكتب.

كانت الكتب تنتج محليا عن طريق عامل الرحلة والحج كما توفرت عوامل أخرى للتأليف أهمها تخليد الانتصارات الحربية خصوصا بعد الفتح الثاني والنهائي لوهران 1792م والإشادة بمناقب الحكام؛ مثل صالح باي باي قسنطينة وباي وهران محمد الكبير ثم تأتي

عمليـة الشـراء التـي اقتصـرت علـى الفقـراء والعلمـاء وأخيـرا عمليـة التبـادل أو المقايضـة فـي الكتب التي كانت وسيلة من وسائل الاتصال والتفاعل بين الأفراد في الفترة العثماني .

لقد كانت حركة التأليف في الجزائر خلال العهد العثماني نشيطة فلا نكاد نجد عالما إلا ولـه مجموعـة مـن المؤلفـات المتنوعـة فـي مختلـف العلـوم المتداولـة وخصوصـا العلـوم الشرعية، وتمثـل ذلـك فـي مجمـوع الشـروح والحواشـي والتقاليـد والرسـائل وغيرهـا مثـل أحمـد المقري ومؤلفه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وعبد الكريم الفكون وكتابه منشور الهدايـة فـي كشـف حـال مـن ادعـى العلـم والولايـة، ويرجـع ذلـك إلـى عوامـل داخليـة يـأتي فـي مقدمتها:

ريادة العديد من المدن كبجاية وتلمسان وقسنطينة وظهور المدارس والمساجد والزوايا كقلاع ثقافية يتغذى منها المجتمع الجزائري روحيا وعقليا إضافة إلى جهود بعض الحكام العثمانيين مثل باي قسنطينة صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م) وباي وهران محمـد الكبيـر (1129-1797م/1211هـ-1796م)، الـذين كـانوا مـن الشخصـيات العلميـة التي ساهمت في إثراء الحقل الفكري والعلمي والأدبي عن طريق بناء المؤسسات الثقافية من مسـاجد وزوايـا ومـدراس وكتاتيـب قرآنيـة ومكتبـات وتشـجيع حركـة التـأليف والنسـخ فـي شـتى العلوم والمعارف.

كمـا أن هنـاك عوامـل خارجيـة تمثلـت فـي التواصـل الثقـافي بـين الجزائـر ومحيطهـا الخـارجي سـواء فـي المغـرب أو المشـرق العربيين عن طريق الرحلات العلمية والحجازية كل هذا سـاهم فـي جعـل الجزائـر تزخـر برصـيد ثقـافي هـام ويتجلـى ذلـك فـي عـدد علمائهـا الـذين تركوا بصماتهم في شتى العلوم وكـان لهـم دورا بـارزا فـي تنشـيط الحيـاة الثقافيـة، لهـذا سـاهم العلمـاء الجزائريون مساهمة كبيرة في التفاعل الثقافي خاصـة فـي عصـر انعدمت فيه وسائل الاتصال الحديثة، مما ساهم في انتشار وتطور حركة التأليف في الجزائر العثمانية.

وعرفت الجزائـر أواخـر العهـد العثمـاني أسمـاء لامعـة مثـل محمـد بـن محمـد التلمسـاني وابن زرفة دحاوي وأحمد ابن هطال و في الإنتاج الأدبي والفقهي والتاريخي والعلمي نجد في ميدان الأدب نجد الشيخ محمد بن ميمون الجزائري (ت 1159هـ/1746م) وصديقه الشيخ أحمـد بـن عمـار وفـي مجـال التصـوف نـذكر الحسـين الـورثيلاني (1125هـ-1713م/ ت1193هـ-1779م)، وفي الميدان العلمي نجد الطبيب عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (1107هـ-1695م/ ت1200-1786م)، وفـي التـاريخ العلامـة الحـافظ أبـو رأس الناصـر

(1150هـ-1737م/ ت1238هـ-1823م)، وقد ساهموامساهمة فعالة في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر واستطاعوا بعصاميتهم ومجهوداتهم وانقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير عصرهم.

والملاحظ في أواخر العهد العثماني سيادة العلوم النقلية المتمثلة خصوصا في العلوم الشرعية حيث كثرت الدراسات فيها وذلك راجع إلى طبيعة التكوين الديني للجزائريين، وقد كان علوم القرآن الكريم بنوعية علم التفسير وعلم القراءات وعلوم الحديث المصدر الأول الذي يعتمد عليه الجزائريون ومن أشهر مؤلفوه العلامة الحافظ أبو رأس الناصري، إضافة إلى علوم الفقه وعلم الكلام وعلوم التصوف وشروحها التي برع فيها عبد القادر المشرفي بشرح سماه "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط ".

كان لعلماء الجزائر إسهامات في العلوم اللسانية المتمثلة في علوم اللغة خاصة في منطقة القبائل حيث أصبحت قبلة للطلاب من داخل وخارج الوطن وعلوم النحو والصرف وعلوم البيان والمعاني والبديع وعلوم العروض والقوافي وقد حظيت هذه العلوم بإقبال كبير من قبل الكتاب والشعراء؛ وكذلك علماء الدين لما لها من اتصال وثيق بعلمي القرآن والحديث خاصة، وبالعلوم الدينية على وجه العموم لان الدارس لا يستطيع أن يصل إلى أسرار القرآن وفهم معانيه دون الإلمام بمبادئ اللغة، لذا كانت الدعوات للأخذ بهذا العلم لما لها من أهمية كبيرة.

لقد وجدت خلال الفترة العثمانية مجموعة من المطبوعات والتآليف الأدبية المتمثلة في الشروح الأدبية التي كانت على شكل قصائد مثل قصيدة سعيد المنداسي المسماة "العقيقة" التي قام بشرحها العلامة أبي رأس الناصري.

إضافة إلى الشروح الأدبية عرف النثر الأدبي لونا آخر تمثل في التقاريظ التي يمزج فيها بين النثر والشعر وتسيطر عليها الروح الإخوانية في الأسلوب ومن ذلك تقريظ أحمد بن عمار على رسالة في التوحيد وضعه سنة 1195هـ، لصديقه الوزير التونسي حمودة بن عبد العزيز، وكذلك الرسائل التي احتلت اهتماما واضحا وشغلت حيزا كبيرا بين الأدباء والموظفين والأصدقاء وهي بدورها تنقسم إلى الرسائل الرسمية الديوانية والإخوانية أيضا الوصف والخطابة والمقامة وكلهم لون من ألوان النثر الأدبي.

وكان معظم الأدباء الجزائريون خلال الفترة العثمانية يميلون إلى الشعر محتلا المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية أكثر من النثر، وقد تعددت مواضيعه إلى شعر ديني في مدح

الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والتشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده ومن أهم فحوله عبد الرزاق بن حمادوش والحسين الورثيلاني وأبو رأس الناصري وغيرهم، وشعر سياسي ارتبط بالجهاد ضد الأجانب وازدهر خصوصا بعد الفتح الثاني والنهائي للواهران 1792م ومن أبرز شعرائه نجد أبا رأس الناصري حيث نظم قصيدة مدح فيها هذا الباي ونوّه بمآثره العديدة تقع هذه القصيدة في 118 بيتا وتسمى "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران" وهناك نوع آخر من الشعر السياسي تمثل مدح الحكام طمعا في الرزق وطلبا للقرب من أهم رواده محمد بن ميمون الجزائري وعبد الرزاق بن حمادوش حيث مدح سلطان المغرب عبد الله.

وكانت العناية بعلم التاريخ في بداية العهد العثماني ضعيفة نظرا للسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية على هذا العلم ولم يعرف تطورا إلا خلال القرن (12هـ/18م) حيث انكب العلماء على الإلمام بتراث الأولين والتأليف فيه وهكذا عرفت الكتابة التاريخية ازدهارا معتبرا على يد مجموعة من المؤرخين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية إحياء التاريخ بفضل تشجيع لبعض الحكام العثمانيين لهم مثل عبد القادر المشرفي الذي ألف رسالته المسماة "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران كبني عامر" وألف محمد أبو رأس الناصري تأليفه "عجائب الأسفار"

وألف علماء الجزائر أيضا في السيرة النبوية ونظموا الأشعار والأراجيز وألفوا في التاريخ العام مثل العلامة أبو رأس الناصري في مؤلفه زهر الشماريخ في علم التاريخ والأمر نفسه للتاريخ الخاص كان لهم فيه إسهامات أيضا مثل محمد بن ميمون الجزائري في كتابه التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية.

وكان موضوع الرحلات من بين المواضيع التي كتب فيها علماء الجزائر أواخر العهد العثماني سواء العلمية كرحلة عبد الرزاق بن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ والحسب والحال" ورحلة أبو رأس الناصري المسماة "رحلتي ونحلتي في تعداد رحلتي" أو الرحلات الحجازية كرحلة الحسين الورثيلاني المسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، وقد قاموا بتسجيل يومياتهم وملاحظتهم على مختلف أقطار العالم العربي الإسلامي وكان لاحتكاكهم بنظرائهم في البلاد العربية حافزا مهما لحركة التأليف والتصنيف في مختلف الفنون والعلوم.

لـم تقتصـر حركـة التـأليف فـي الجزائـر أواخـر العهـد العثمـاني علـى المؤلفـات النقليـة المتمثلـة خصوصـا فـي العلـوم الشـرعية كالحـديث والتفسـير والفقـه ومالهـا مـن علاقـة بعلـوم الأدبيـة والتاريخيـة، بـل تعدتـه أيضـا إلـى المؤلفـات العقليـة المتمثلـة فـي علـوم الطـب وعلـوم المنطق وعلوم الفلك والحساب.

وكـان لعلمـاء الجزائـر العثمانيـة فـي الفتـرة المدروسـة إسـهامات فـي علـم المنطـق وأبـرز مـن درس المنطـق واشـتغل بـه نجـد "سـعيد قـدورة" و"عبـد الـرزاق بـن حمـادوش" و"أبـو رأس الناصـري" فـي "القـول المسـلم فـي شـرح المسـلم" رغـم نـدرة المؤلفـات فيـه واعتمـادهم علـى شروحات وأعمال عبد الرحمان الأخضري "السلم المرونق" في المنطق والحكمة.

وشهدت المؤلفات الطبية وفرة عكس المؤلفات المنطقية والحساب وهذا ما لاحظناه في مؤلفـات عبـد الـرزاق بـن حمـادوش التـي مـن أهمهـا: "كشـف الرمـوز فـي بيـان الأعشـاب" و"الجوهر المكنون من بحر القانون" و " تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج".

كما شـهدت الجزائـر أواخـر العهـد العثمـاني نـدرة فـي مؤلفـات علـم الفلـك وعلـم الحسـاب والاعتماد على مؤلفات عبد الرحمان الأخضري كالدرة البيضـاء.

والملاحظ على المؤلفات العقلية الجمود وتكرار أعمال السابقين، فلم تتأثر الجزائر بما كانت تشـهده أوربـا من تقدم علمـي كبير، وذلك راجـع إلـى انغلاق الجزائر علـى نفسـها وعدم الأخذ بأسباب التقدم رغم كونها كانت تشـهد استقلال شبه ذاتي عن الدولـة العثمانية وتسير شؤونها بنفسها. لتبقى المؤلفات النقلية المتمثلة خصوصـا فـي العلوم الشرعية هي الرائدة في الجزائر أواخر العهد العثماني من خلال كثرة وتنوع المؤلفات فيها.

إن هذه الدراسة الموسومة بعنوان حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثمـاني هي مساهمة بسيطة في معرفة تاريخ الجزائر الثقافي في أواخر العهد العثماني، متمنية أن تكون هذه النتائج التي توصلت إليها أنها قد تضمنت الإجابة عن الإشكالية المطروحة في مقدمة الدراسـة، ويبقـى مجـال البحـث مفتوحـا أمـام البـاحثين لطالمـا مازالـت هنـاك مخطوطـات بخصوص هذا الموضوع دون تحقيق ودراسة.


الملاحـــق

الملحق رقم (01): تفسير قوله تعالى (ولكل أمة أجل) لعبد الرزاق بن حمادوش

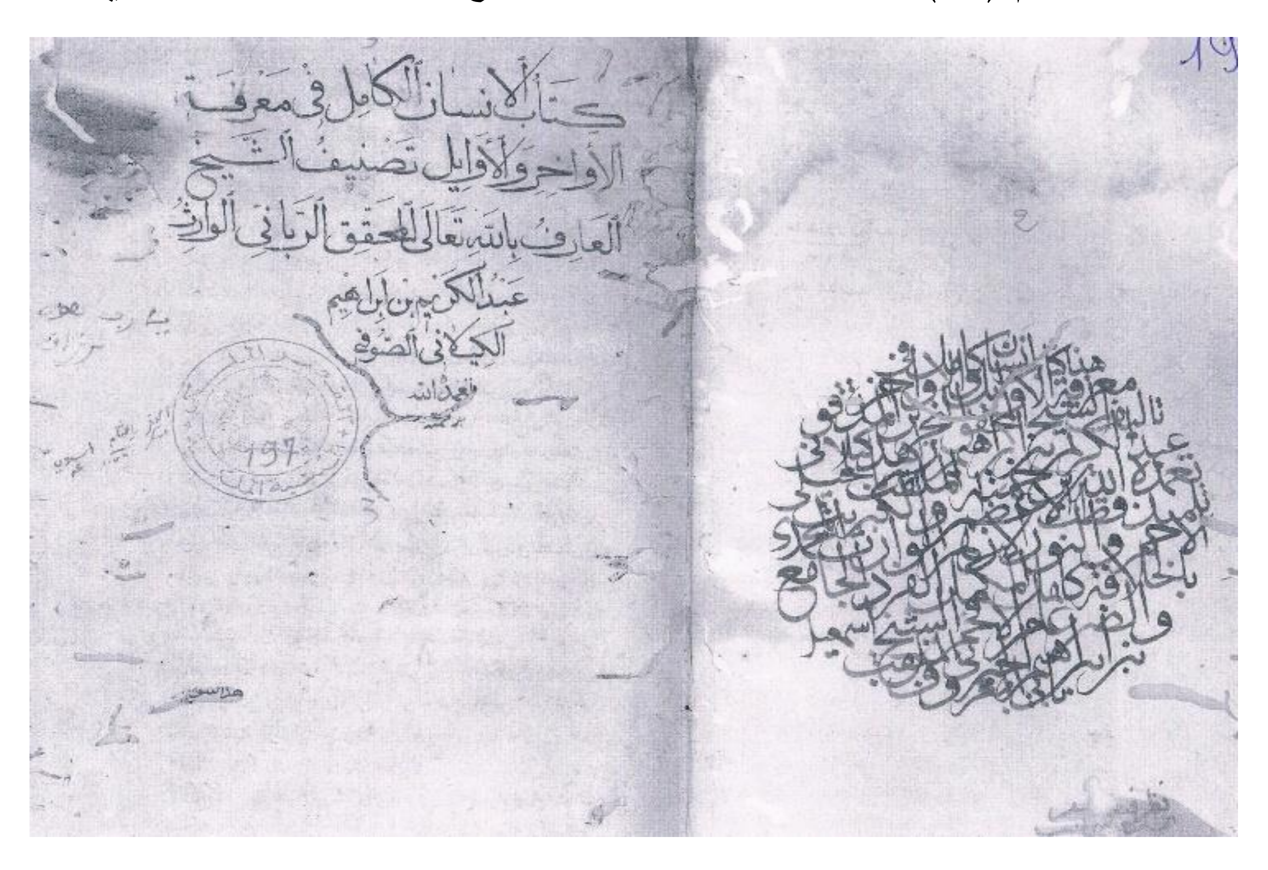
المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط-المغرب الأقصى، مخ رقم 11082.

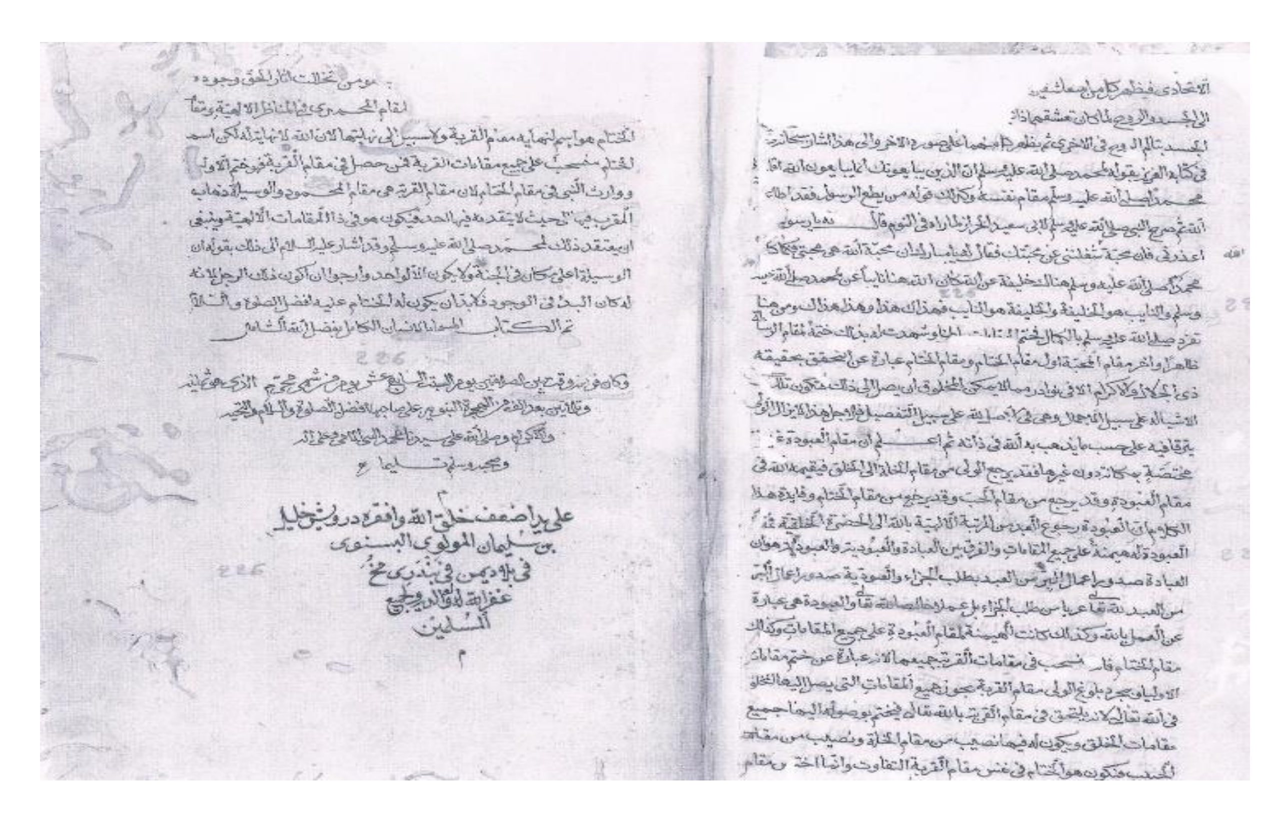
الملحق رقم (02): الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، أبو رأس الناصري



المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط–المغرب الأقصى، مخ رقم 13925.

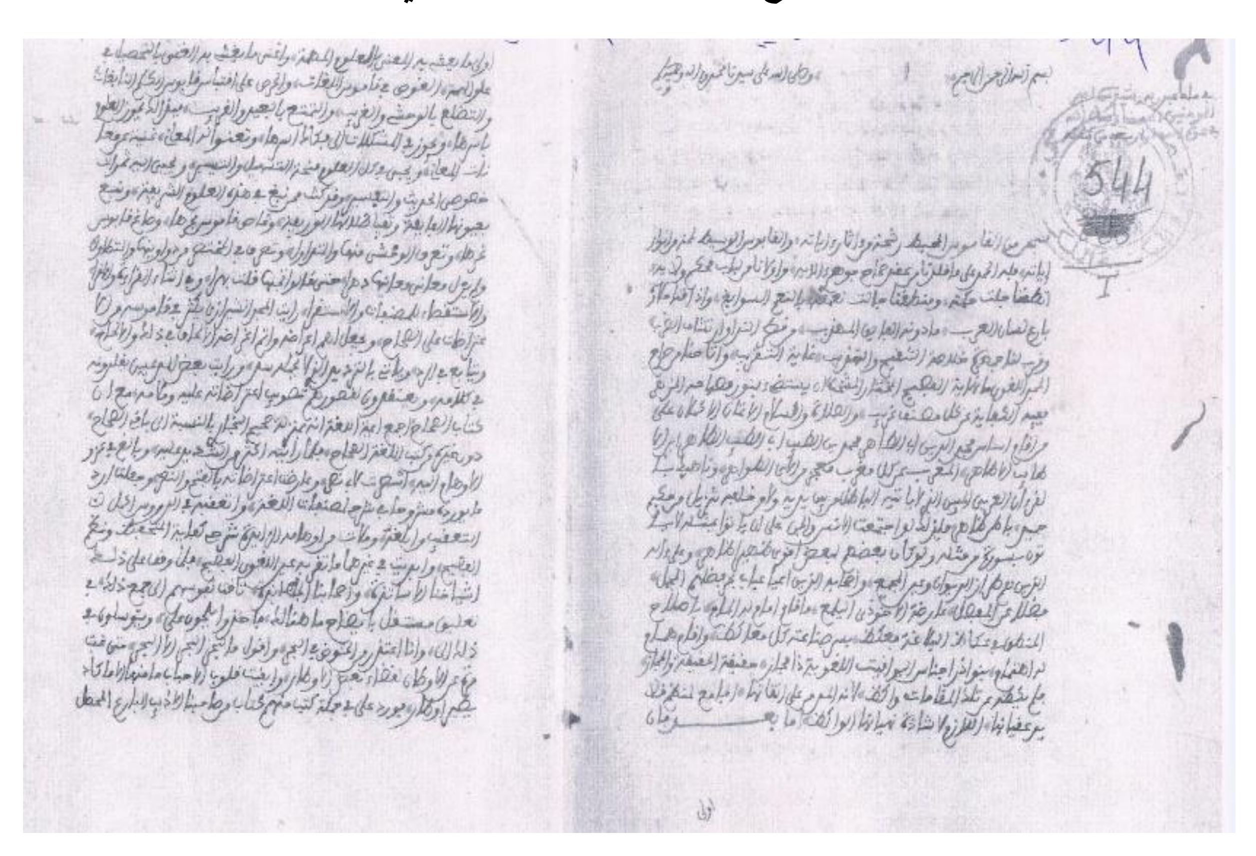
الملحق رقم (03): الآداب الرقيقة المستودعة بشرح العقيقة، أبو رأس الناصري

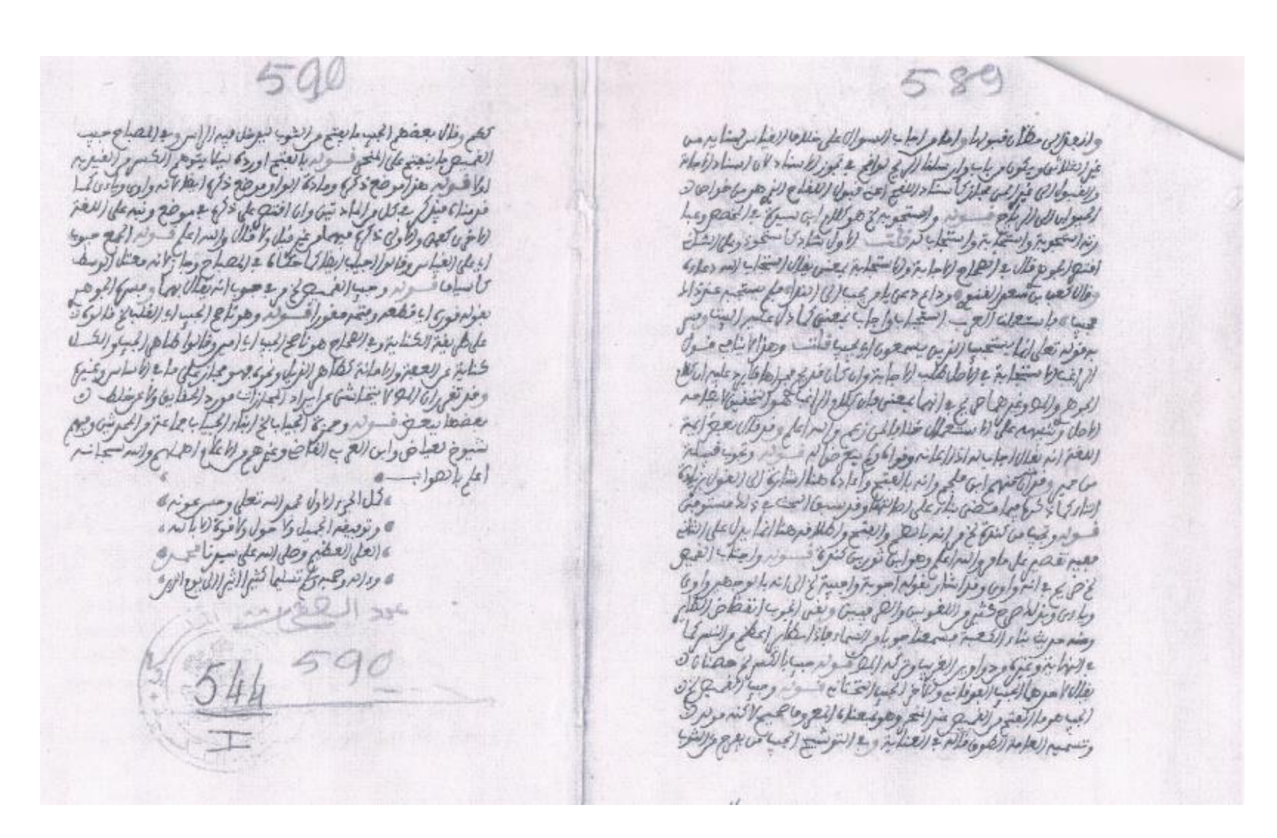




المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط-المغرب الأقصى، مخ رقم 197.

- الآداب الرقيقة المستودعة بشرح العقيقة، أبو رأس الناصري





المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط–المغرب الأقصى، مخ رقم 544.

- الآداب الرقيقة المستودعة بشرح العقيقة، أبو رأس الناصري





المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط–المغرب الأقصى، مخ رقم 987.

الملحق رقم (04): إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم، أبو رأس الناصري

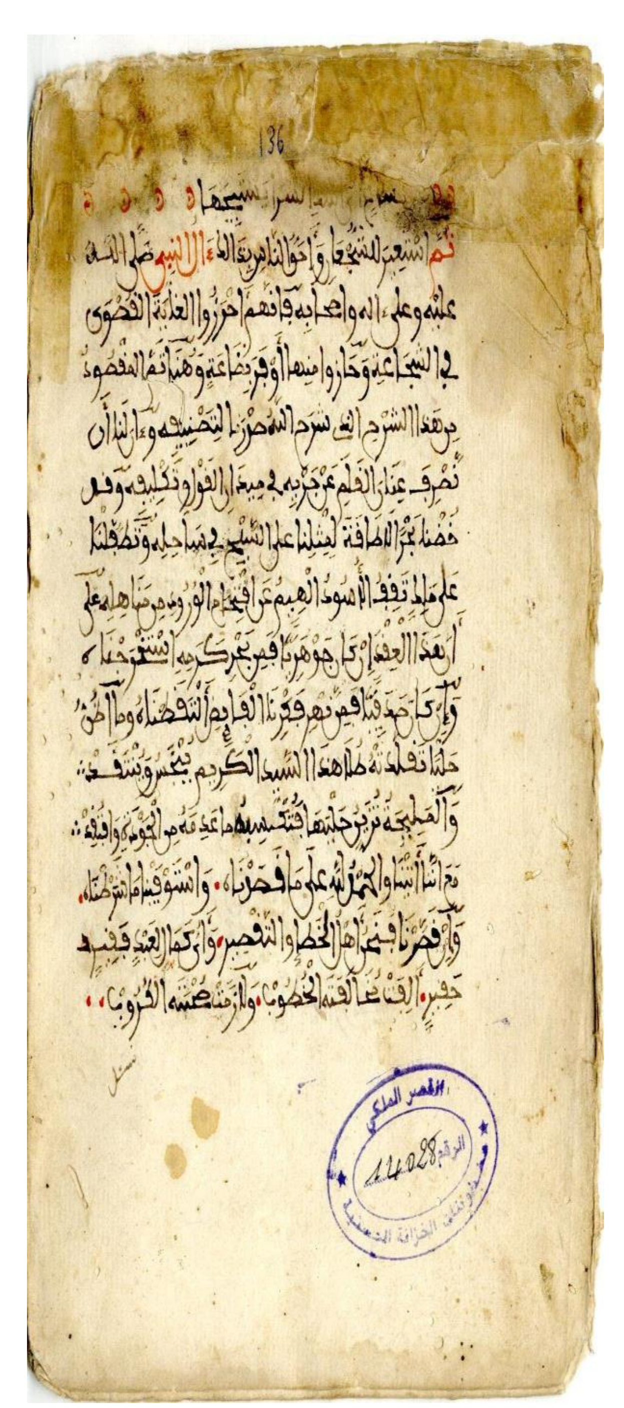




المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى، مخ رقم 5553.

الملحق رقم (05): شرح أرجوزة الحلفاوي، عبد الرحمان الجامعي





المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط–المغرب الأقصى، مخ رقم 14028.

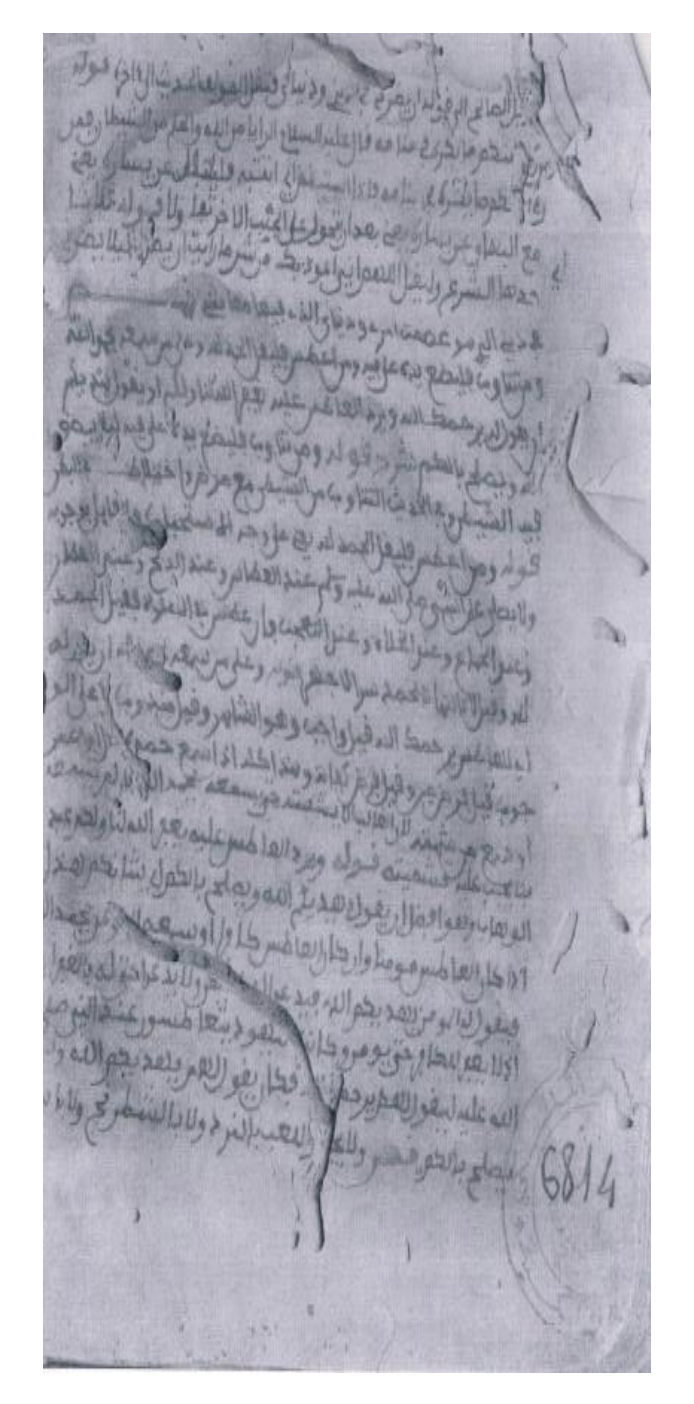
الملحق رقم (06): مجموعة إجازات عبد القادر المشرفي

المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط-المغرب الأقصى، مخ رقم 14134.

الملحق رقم (07): عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسيط،

عبد القادر المشرفي

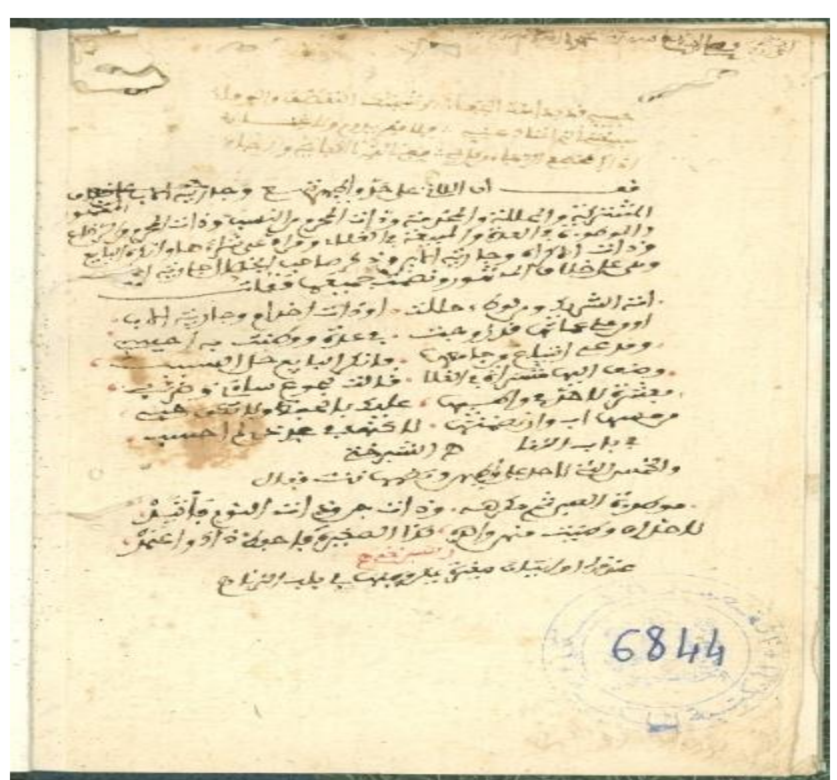




المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط-المغرب الأقصى، مخ رقم 6814.

- عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسيط عبد القادر المشرفي





المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط-المغرب الأقصى، مخ رقم 6844.

الملحق رقم (08): زهر الشماريخ في علم التاريخ أبو رأس الناصري



المصدر: الخزانة الحسنية الملكية، الرباط–المغرب الأقصى، مخ رقم 13923.

الملحق رقم (09): المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية أحمد بن سحنون الراشيدي

- الوجه الأول من مخطوط المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية لابن سحنون الرشيدي



المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخ رقم 1786.

- الورقـة الثانيـة مـن مخطـوط المنحـة القدوسـية فـي الأدويـة القاموسـية لابـن سـحنون الرشيدي



المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخ رقم 1786.

الملحق رقم (10): مبين المآرب في العقل والطب مع المشارب أحمد بن قاسم البوني

- الوجه الأول من مخطوط مبين المسارب لأحمد بن قاسم البوني



المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخ رقم 1775.

- الورقة الثانية من مخطوط مبين المسارب لأحمد بن قاسم البوني



المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخ رقم 1775.

الملحق رقم (11): كشف الرموز في بيان الأعشاب، عبد الرزاق ابن حمادوش





المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخ رقم 1764.


البيبليوغرافيا

* قائمة المصادر والمراجع*

أولا: المصادر:

القرآن الكريم.

الحديث النبوي الشريف.

1/: المصادر المخطوطة:

1- بن حمادوش عبد الرزاق، كشف الرموز في بيان الأعشاب، مخ، رقم 1764، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

2- بن القاسم أحمد البوني، مبين المآرب في العقل والطب مع المشارب، مخ، رقم 1775، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

3- بن سحنون أحمد الراشيدي، المنحة القدوسية في الأدوية القاموسية، مخ، رقم 1786، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

4- الجامعي عبد الرحمان ، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخ ، رقم 14028، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

5- الأخضري عبد الرحمان، السلم المرونق في المنطق والحكمة، مخ، رقم 2062، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

6- المشرفي عبد القادر، عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسيط، مخ، رقم 6814 / 6844، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

7-/ ، تفسير قوله تعالى (ولكل أمة أجل)، مخ، رقم 11082، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

8-/ ، مجموعة إجازات، مخ، رقم 14134، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

9- الناصري أبو رأس، الآداب الرقيقة المستودعة بشرح العقيقة، مخ رقم 197 / 544 / 987، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

10-/ إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم، مخ، رقم 5553، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

11-/ الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، مخ، رقم 13925، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

12-/ زهر الشماريخ في علم التاريخ، مخ، رقم 13923، الخزانة الحسنية الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

2/: المصادر المطبوعة:

1- **إبن الأحمر**، تاريخ الدولة الزيانية تلمسان، تح هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م.

2- **ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري**، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م.

3- / كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

4- **ابن خلدون عبد الرحمان** ، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج 2، ط 1، دار البلخي، دمشق، 2004م.

5- / مقدمة ابن خلدون، تح: كاترمير، مج 3، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م.

6- **ابن زاكور**، رحلة ابن زاكور الفاسي المسماة "نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011م.

7- **ابن مسلم عبد القادر**، أنيس الغريب والمسافر، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

8- **أبو راس محمد الجزائري**، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته –حياة أبي راس الذاتية والعلمية–، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.

9- / الإصابة فيمن غز المغرب من الصحابة، تقديم احمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010م.

10- **أبي زكريا يحي بن أبي شرف النوي**، الأربعون النووية في الأحاديث النبوية، ط 2، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، 2012م.

11- **الأخضري عبد الرحمان بن صغير**، الجوهر المكنون في صدق الثلاثة الفنون، تح: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر، دم.

12- **البجائي أحمد**، رسالة الغريب إلى الحبيب، تعليق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

13- **بن العطار أحمد بن المبارك**، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع وتق عبد الله حمادي، دار الفائز، الجزائر ن 2011م.

14- **بن العنتري محمد الصالح**، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

15- **بن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي**، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة، الجزائر، 2013م.

16- **بن عودة المزاري**، طلع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 1، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

17- **بن قاسم أحمد البوني**، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق سعيد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007م.

18- **بن ميمون محمد الجزائري**، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، ط 2، الشركة الوطنية، الجزائر،1981م.

19- **التميمي عبد الجليل**، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207هـ/ 1771-1792م)، تح: فاطمة الزهراء قشي، ط 2، دار مداد، الجزائر، 2013م.

20- **الثعالبي عبد الرحمان**، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، اليابان.

21- **ج او هابنسترايت**، رحلة العالم الألماني ج، او هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس . تر: ناصر الدين سعيدوني، (د.ت)، تونس.

22- **خوجة حمدان بن عثمان**، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.

23- **دخان عبد العزيز الصغير**، الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، ط 1، دار كردادة، الجزائر، 2011م.

24- **الزرقاني محمد عبد العظيم**، مناهل العرفان في علوم القران، تح: هاني الحاج، ج 1، المكتبة التوفيقية، مصر، د ت.

25- **الزياني محمد بن يوسف**، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية، الجزائر،1979م.

26- **الشاذلي عبد اللطيف**، النفحة المسكية في السفارة التركية، تق وتح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م.

27- **شالر وليام** ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982م.

28- **شوفالييه كورين**، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

29- **العنتري صالح**، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974م.

30- **الغبريني أبو العباس**، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط 2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

31- **الغزالي أبي حامد محمد بن محمد**، إحياء علوم الدين، ط 1، دار ابن حزم، لبنان، 2005م.

32- **الفاسي ابن زاكور**، نشر أزهار البستان فيما أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء وأكابر الأعيان، تح مصطفى ضيف وأخرون، المعرفة الدولية، الجزائر، 2001م.

33- **المدني أحمد توفيق**، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار "نقيب أشراف الجزائر"(1754-1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

34- **المديوني بن مريم التلمساني**، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، إعداد محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

35- **المشرفي عبد القادر**، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972م.

36- **المقري أحمد بن أحمد التلمساني**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح احان عباس، مج 1، دار صادر، بيروت، 1988م.

37- **الناصري أبو رأس**، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، تق: محمد غانم، المركز الوطني في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005م.

38- / زهر الشماريخ في علم التاريخ، تح: بن عمر حمدادو، مركز البحث، الجزائر.

39- / لقطة العجلان، الدرة الأنيقة، في شرح العقيقة، تحقيق احمد أمين دلاي، مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، 2007م.

40- / الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تح: أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، 2007م.

41- / الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية، ترجمتها بالفرنسية جنرال بوربيقي.

42- / نبا الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان، تق: محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، 2012م.

43- **الورتلاني الحسين بن محمد**، الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج 1، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.

44- **قشي فاطمة الزهراء**، سجل صالح باي للأوقاف (1185هـ-1207هـ/ 1771-1792م)، دار بهاء، الجزائر، 2009م.

ثانيا: المراجع:

1/: المراجع العربية:

1- **أبو النصر محمد عبد العظيم**، الأوقاف في بغداد "العصر العباسي الثاني"، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.

2- **أبو لحية نور الدين**، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار علي بن زيد، الجزائر.

3- **أمطـاط محمـد**، الجزائريـون فـي المغـرب مـابين سـنتي 1830-1962م، تـق: محمـد كنبيب، ط 1، دار أبي قراق، الرباط، 2008م.

4- **أمـين محمـد محمـد**، الأوقـاف والحيـاة الاجتماعيـة فـي مصـر، دار الكتـب، القـاهرة، 2014م.

5- **أمين محمد**، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبعة أنفو، فاس29.

6- **ايشبودان العربـي** ، مدينـة الجزائـر "تاريخ عاصمة"، تر: جنـاح مسعود، دار القصـبة، الجزائر، 2007م.

7- **بحاز ابراهيم بكير**، الدولة الرستمية -دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، ط 3، منشورات آلفا، الجزائر، 2010م.

8- **بلاح بشير**، تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1989م)، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

9- **بلحميسـي مـولاي**، الجزائـر مـن خـلال رحـلات المغاربـة فـي العهـد العثمـاني، الشـركة الوطنية، الجزائر، 1981م.

10- **بن خروف عمار**، العلاقات الاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافيـة بـين الجزائـر والمغـرب، ج 2، دار الأمل، الجزائر، 2008م.

11- **بـن دجـين عبـد الله السـهلي**، الطـرق الصـوفية نشـأتها وعقائـدها وأثارهـا، ط 1، دار كنوز، الرياض، 2005م.

12- **بـن سـمينة محمـد**، النهضـة الأدبيـة الحديثـة فـي الجزائـر مؤثراتهـا بـدايتها مراحلهـا، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003م.

13- **بوحـوش عمـار**، التـاريخ السياسـي للجزائـر مـن البدايـة ولغايـة 1962م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

14- **البوعبدلي المهدي**، الحياة الثقافية بالجزائر، إع: عبد الرحمان رويب، مج 3، عالم المعرفة، الجزائر،2003م.

15- / تـاريخ المـدن، إع: عبـد الرحمـان رويـب، مـج 2، ط 1، عـالم المعرفـة، الجزائـر، 2013م.

16- **بوعزيز يحي**، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

17- / الموجز في تاريخ الجزائر "الجزائر الحديثة "، ج 2، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.

18- / موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2013م.

19-**بوشنافي محمد**، موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني، مكتب الرشاد، الجزائر، 2014م.

20- **التر عزيز سامح**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

21- **الثعالبي عبد الرحمان**، حياته وأعماله، تح: محمد فؤاد بن الخليل القاسمي الحسني، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

22- **الجابري محمد صالح**، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.

23- **الحفناوي أبي القاسم محمد**، تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906م.

24- **الحلوجي عبد الستار**، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع هجري، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1978م.

25- **حلوش عبد القادر**، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010م.

26- **الخطيب محمد عجاج**، السنة قبل التدوين، دار الفكر، دمشق.

27- **خياطي مصطفى**، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، الجزائر، 2013م.

28- **الدراجي بوزيان**، عبد الرحمان الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق عصره، ط 2، دار الآمل، الجزائر، 2009م.

29- **الذهبي محمد حسين**، علم التفسير، دار المعارف، القاهرة.

30- **الزبيدي مفيد**، منهج البحث التاريخي، دار المناهج، الأردن، 2008.

31- **الزبيـري العربـي**، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال، ط 2، الجزائر، 1984م.

32- **الزعبي محمود عبد العزيز**، المحكم في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج 2، أمواج النشر، الأردن، 2009 م.

33- **الزنيفي عبد الفتاح**، المعتصر المفيد في فقه العبادات، ط 1، دار المعرفة، الدار البيضاء، الرباط، 2007م.

34- **زهراء النظام**، العلاقات المغربية الجزائرية –مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن (10هـ/ 16م)، دار الأمان، الرباط، 2015م.

35- **زوزو عبد الحميد**، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، موفم، الجزائر، 1985م.

36- **سعد الله أبو القاسم**، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، ط 3، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982م.

37- **سعد الله أبو القاسم**، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

38- / أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

39- / الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 م.

40- **سعد الله أبو القاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1998 م .

41- / تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 م.

42- / تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 5 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 م.

43- / تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 م.

44- / تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م .

45- / عبد الكريم الفكون –داعية السلفية–، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

46- / محمد بن العنابي –رائد التجديد الإسلامي –، ط 2، الجزائر، 1990م.

47- **سـعيدوني ناصـر الـدين**، النظـام المـالي للجزائـر أواخـر العهـد العثمـاني (1792-1830م)، ط 1، دار البصائر، الجزائر، د ت.
48- / دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984م.
49- **سـعيدوني ناصـر الـدين، بوعبـدلي الشـيخ المهـدي**، الجزائـر فـي التـاريخ "العهـد العثماني"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
50- **شـارف رقيـة**، الكتابـات التاريخيـة الجزائريـة الحديثـة خـلال القرن 18 وبدايـة ق 19 م "دراسة تحليلية نقدية"، ط 1، دار الملكية، الجزائر، 2007م.
51- **شاهدي الحسن**، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، الرباط، 2006م.
52- **شـهبي عبـد العزيـز**، الزوايا والصـوفية والعزابـة والاحـتلال الفرنسـي فـي الجزائـر، دار الغرب، الجزائر، 2007م.
53- **صـحراوي عبـد القـادر**، الأوليـاء والتصـوف فـي الجزائـر خـلال العهـد العثمـاني، دار هومة، الجزائر، 2016 م.
54- **الصـلابي علـي محمـد محمـد**، الثمـار الزكيـة للحركـة السنوسية فـي ليبيـا، ج1، ط1، مكتبة الصحابة، القاهرة، 2001م.
55- **الطباع خالد إياد**، الوجيز في أصول البحث والتأليف، وزارة الثقافة، سوريا، 2006م.
56- **الطمــار محمــد**، الـروابط الثقافيـة بـين الجزائـر والخـارج، الشـركة الوطنيـة، الجزائـر، 1983م.
57- **الظريف محمد**، الحركة الصوفية وأثرها أدب الصحراء المغربية، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000م.
58- **عبـد القـادر نـور الـدين**، صـفحات فـي تـاريخ مدينـة الجزائـر، دار الحضـارة، الجزائـر، 2006م.
59- **عبـد المعطـي حسـام**، شـيخ جـامع الأزهـر فـي العصـر العثمـاني، مكتبـو الإسـكندرية، مصر، 2016م.
60- **عبد الحميد بن أبي زياد**، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماحي، الجزائر، 1972م.

61- **عثمان سعدي**، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954م، ط 1، دار الأمة، الجزائر،2011م.

62- **العجيلـي التليلـي**، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939م)، منشورات كلية الآداب، تونس،1982م.

63- **عفيفي أبو العلا**، التصوف الثورة الروحية في الإسلام أقلام عربية، القاهرة، 2018م.

64- **عمورة عمار**، موجز في تاريخ الجزائر، ط 1، دار ريحانة، الجزائر، 2002م.

65- **عميـراوي احميـدة**، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط 2، دار الهدى، الجزائر، 2004م.

66- **الغاشي مصطفى**، الرحلة المغربية والشرق العثماني، ط 1، الإنشاد العربي، بيروت، 2018م.

67- **الغوري سيد عبد الماجد**، الضوابط الأساسية لفهم الحديث النبوي، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، 2019م.

68- **الفاسـي عـلال**، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها،ط5،منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 2008م.

69- **فهمي سعد ومجذوب طلال**، تح: المخطوطات-بين النظرية والتطبيق-، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1993م.

70- **القطان مناع**، مباحث في علوم القرآن، ط 30، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

71- **لزغم فوزيـة**، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 2011م.

72- **المجاوي عبد القادر**، الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، دار زمورة، الجزائر، 2011م.

73- **المدني أحمد توفيق**، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م.

74- / محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)، المؤسسة الوطنية، الجزائر.

75- **المرينـي عبد العزيـز**، مباحث في علم القراءات، ط 1، دار كنوز، المملكة العربية السعودية، 2011 م.

76- **مريـوش أحمـد**، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.

77- **المرعشـي محمـد**، ترتيب العلوم، تـح: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988م.

78- **مهنـا محمـد نصـر**، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، ط 2، دار الفجر، القاهرة، 2001م.

79- **الموسوي شوقي مصطفى علي**، القيم الجمالية للأشكال الهندسية في المخطوطات القرآنية، جامعة بابل، العراق، 2013م.

80- **مياسي إبراهيم**، مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962م)، دار هومة، الجزائر، 2007م.

81- **الميلـي مبـارك بـن محمـد**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ت.

82- **نجمي عبد الله**، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000م.

83- **النشار السيد السيد**، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية.

84- **هارون عبد السلام**، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

85- **هـلال عمـار**، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 -1918م)، دار هومة، الجزائر، 2008م.

86- **هلايلـي حنيفـي**، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008م.

87- **شـغيب محمـد المهـدي بن علـي**، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر، 1985م.

2/: المراجع الأجنبية:

1-**Charles Robert Ageron**, les algerienne Musulmans et la France, paris, 1968.

2- **Shaw**, Voyage Dans La Regence Dalger, mc carlhy,paris, 1830.

3-**kolinGabriel**,Abderezaq el jazairi, un medecin arabe du xii siecle de algerie, l mprimeriedelordboehm et martial editeur du montpelliermedical, Montpllier, 1905.

4-**Laugier de tassy**, histoire du royaume dAlger avec letatpresent de son gouvernement de ses forces de terre et de mer de ses revenus polis commerce, 1725.

5-**RousseauAlphonse**, el zohrat el nyerat. imprimerie gouverment. Alger, 1841.

3/: المقالات:

1- **أمير يوسف**، إسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671-1830م)، دراسة لبعض النماذج، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، الجزائر ، ع 14 ،2012 م.

2- **بردي صليحة**، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني –دراسة في الواقع والمعطيات-، مجلة الذاكرة، ع11،2018م

3- **بكاري عبد القادر**، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري –رحلة أبو رأس الناصري نموذجا-، مجلة عصور، الجزائر، ع 19- 20، 2015م.

4- **بن عتو بلبروات**، التراث المخطوط لأبي راس الناصري، مجلة الحوار المتوسطي ، الجزائر، ع 5.

5- **بوتدارة سالم** ، التواصل الثقافي بين الايالات المغاربية العثمانية، مجلة العلوم الإسلامية، الجزائر،ع 9 ، 2018م.

6- **بودريعة ياسين**، زاوية الشرفة (1709-1848م)، نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر(2)،ع 15-16 ، 2012/2013م.

7- **بوشافي محمد**، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م)، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 16-17، 2014- 2015م.

8- **بوشـيبة ذهبيــة**، العلـم والعلمـاء فـي الجزائـر خـلال العهـد العثمـاني، مجلـة الحـوار المتوسطي، ع 3-4.

9- **بوعلام عبد العالي**، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة الواحات، الجزائر،ع 15، 2011م.

10- **بـوكرديمي نعيمـة**، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي واسهامها الثقافي، مجلة عصور،الجزائر ،ع 18، 2015م.

11- **بونقاب المختار**، انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري، مجلة المواقف، الجزائر، ع 3، 2008م .

12- **جاب الله طيب**، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، الجزائر، ع 14، 2013.

13- **جعنـي زينـب**، ثورة ابن الاحرش في بايلك الشرق 1800-1807م، مجلة عصور الجديدة، ع 18، 2015م.

14- **حاجيـات عبـد الحميـد**، ملاحظـات حـول تطـور الحيـاة الفكريـة بـالجزائر فـي عهـد الموحـدين، مجلـة الحـوار المتوسـطي، جامعـة سـيدي بلعبـاس، الجزائـر، ع 15-16 ، 2017م.

15- **حسـيني الطـاهر**، السرد بين واقعيـة التـاريخ وجماليـة الأدب فـي مقامـات بـن ميمـون الجزائري، مجلة مقاليد، الجزائر، ع 6، 2014.

16- **حطاب سعاد**، العلوم العقلية والنقلية في المغرب الأوسط - العهد الزياني أنموذجا- مجلة الأكاديمية، ع 18، 2017م.

17- **حمـدادو بـن عمـر**، مساهمة في التعريف بمخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثـال والحكـم لأبـي رأس المعسـكري، مجلـة الجـوار المتوسـطي، الجزائـر، ع 3، 2018م.

18- **درعـي فاطمــة**، العـالم مصـطفى بـن زرفـة الـدحاوي ورحلتـه القمريـة، مجلـة الحـوار المتوسطي، الجزائر، ع 13-14، 2016م.

19- **رمـوم محفـوظ**، حركـة التعليم فـي الجزائـر المحروسـة بـين 1500-1830م، مجلـة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، ع 27.

20- **زيزاح سعيدة**، الطريقة التيجانية - النشأة والتطور-، مجلة العلوم الاجتماعية،الجزائر، ع9، 2014م.

21- **زيزاح سعيدة**، ظاهرة الطرق الصوفية والتغيير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، مجلة الباحث، الجزائر، ع11، 2012م.

22- **الزين محمد**، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات، الجزائر، ع 17، 2012م.

23- **سعيدوني ناصر الدين**، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، من القرن 10هـ-14هـ/16-19م، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت،ع 31، 2010م.

24- **السيد أشرف صالح محمد**، المراكز الثقافية في دار السلطان "الجزائر" أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، مج 4، ع7، 2013م.

25- **شحوم سعدي**، الصناعة الصيدلية بالدولة الزيانية من خلال مؤلفات إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، ع 4، 2013 م.

26- **شرويك محمد الأمين**، جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر ، ع 8، 2018م.

27- **غويني ليلى**، التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع علماء المغاربة في العصر الحديث، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر ،ع 14، 2012م

28- **فركوس صالح**، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الجزائر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع 71، 1986م.

29- **قاصري محمد سعيد**، المدرسة الكتانية بقسنطينة -صرح ثقافي يصارع النسيان-مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 18، 2015م.

30- **قرود أمحمد**،الدور الثقافي للشيخ أبو زكريا الشاوي النائلي في الجزائر والمشرق العربي (1663-1684م)، مجلة انسنة، ع 15، 2016 م.

31 – **الكشر محمد إبراهيم**، تجربة الوقف في ليبيا، المجلة الدولية للمالية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع1، 2014 م.

32– **لـزغم فوزيــة**، الأطباء الأوربيون بـالجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830م) ، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، ع 15–2012،16–2013م.

33– **لـزغم فوزيــة**، البيوتات العلمية بقسنطية وبجاية في ظل الحفصين، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 13–14، 2014م.

34– **محمـود خالـد حسـين**، معطيات عن العلوم الشرعية بمدينة غزة من بداية العصر الطولوني إلى نهاية العصر الأيوبي، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، ع 14–15، 2014م.

35– **محل سالم أحمد**، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، مجلة الأمة، ع60، 1997م.

36– **مريخـي رشـيد**، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة، مج5، ع12، 2017م.

37– **المشـهداني مؤيد محمـود حمد، سلوان رشيد رمضان**، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518–1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكرت، مج 5، ع16، 2013م.

4/: المعاجم والفهارس:

1– **آبـادي مجد الـدين محمد بن يعقوب الفيروز**، القاموس المحيط، ج1، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة، لبنان، 2005م.

2– **ابن منظور لسان الدين**، لسان العرب، ج15، ط 3، دار صادر، لبنان، 2004م.

3– **الحجوي محمد بن الحسن**، فهرس المخطوطات العربية، مج8، ط1، المكتبة الوطنية، الدار البيضاء، 2009م.

4– **ضـيف بشـير بـن أبـي بكـر بـن البشـير بـن عمـر الجزائـري**، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث –نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول – مراجعة عثمان بدري، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

5- **الكتــاني عبــد الحــي بــن عبــد الكــريم**، فهـرس الفهـارس والأثبـات ومعجـم المعـاجم والمشـيخات والمسلسـلات، اعتنـاء إحسـان عبـاس، ج1، ط2، دار الغـرب الإسـلامي، بيروت، 1982.

6- **ماضــي مصــطفى**، معلمـة الجزائـر -القـاموس الموسـوعي-، دار القصـبة، الجزائـر، 2008م.

7- **مجموعـة مـن المـؤلفين**، معجـم مصـطلحات العلـوم الشرعية، ط2، مكتبـة الملـك فهد الوطنية، الرياض، 2017م.

8- **نويهض عادل**، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980م.

5/: الرسائل الجامعية:

1- **بكاري عبد القادر**، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحـة مقدمـة لنيـل شـهادة الـدكتوراه فـي التـاريخ الحـديث، قسـم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، إشراف دحو فغرور 2016/2015م .

2- **بلغيث عبد القادر**، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير تـاريخ وحضـارة إسـلامية، قسـم الحضـارة الإسـلامية، جامعـة وهـران، الجزائر، إشراف أحمد الحمدي، 2013- 2014م.

3- **بن بلـة خيرة**، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007م.

4- **بـوحجرة عثمــان**، الطـب والمجتمـع فـي الجزائـر خـلال العهـد العثمـاني (1519—1830م)، مـذكرة ماجسـتير فـي التـاريخ الحـديث، جامعـة وهـران1 -احمـد بـن بلـة، الجزائر، 2014-2015م.

5- **بوضياف عبد الرزاق**، إدارة أموال الوقف وسبل استثماره في الفقه الإسلامي والقانون الجزائـري، أطروحـة دكتـوراه، معهـد العلـوم الإسـلامية، جامعـة الحـاج لخضـر باتنـة، الجزائر، 2007/2006م.

6- **بـوكعبر تقـي الـدين**، دراسـة وتحقيـق مخطـوط للعربـي المشرفي في الـرد علـى أبـي راس الناصـر فـي قضـية نسـب أسـرة المشـارفة، مـذكرة ماجسـتير فـي الدولـة والمجتمـع فـي

الجزائر خلال العهد العثماني 1519- 1830م، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، إشراف فغرور دحو، 2014/2013م.

7- **بومدين عبد العزيز**، الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي رأس الناصري الجزائري – دراسة وتحقيق-، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، الجزائر، 2017/2016م.

8- **بونقاب مختار**، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنيين 18-19م، رسالة مكملة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، الجزائر، إشراف مكحلي محمد، 2016/2015م.

9- **حساين عبد الكريم**، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم العلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، إشراف بلعربي خالد، 2018/2017م.

10- **حصام صورية**، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، إشراف: عبد المجبد بن نعيمة، 2013/2012م.

11- **حماش خليفة إبراهيم** ، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798- 1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، القاهرة، 1988م.

12- **دباح عائشة**، الحياة الثقافية والدينية في الجزائر على عهد الدايات (1671- 1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 2018/2017م.

13- **دخية فاطمة**، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015/2014م.

14- **راجع أحمد**، مقامات محمد بن ميمون الجزائري (ق 12هـ/ 18م)، مذكرة ماجستير في الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة أدررا، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، إشراف مشري الطاهر، 2009/2008م.

15- **رزيوي زينب**، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7هـ-9هـ/13-15م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015م.

16- **شارف رقية**، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267 /1850م، "دراسة وصفية تحليلية نقدية" مقارنة في المنهج التاريخي، أطروحة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر (2)، 2017/2016م.

17- **شويتام أرزقي**، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006/2005م.

18- **طاهري عبد الحليم**، صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، إشراف عبد العزيز لعرج، 2008-2009م.

19- **طاهري عبد الحليم**، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بسوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009/2008م.

20- **العايب كوثر**، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711- 1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، إشراف محمد سعيد عقيب، 2014/2013م.

21- **عبو إبراهيم**، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، إشراف بوشنافي محمد، 2016/2015م.

22- **غويني ليلى**، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، إشراف الأستاذة: عائشة غطاس، 2011/2010م.

23- **لبصير سعاد**، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني، الملتقى العلمي الأول حول سيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009م.

24- **لزغم فوزية**، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2014م.

25- **مرتاض عبد الحكيم**، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (1518-1830م) تأثيراتها الثقافية والسياسية، أطروحة دكتوراه حديث ومعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2015/2016 م.

26- **مقدم فاطمة**، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري، شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، إشراف الأستاذ: سكران عبد القادر، 2010/2011م.

27- **نجمي عبد الله**، مساهمة في دراسة التصوف المغربي في القرنيين 16 و17م، بحث لنيل الدراسات العليا في التاريخ، شعبة تاريخ، جامعة محمد خامس، 1998م.


الفهـارس


فهرس
الأعـلام

فهرس الشخصيات الأعلام:

"أ"


فهرس
الأماكن

فهرس الأماكن:


فهرس
الموضوعات

*** فهرس المحتويات ***

ملخص:

عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني مجموعة من المؤلفين أمثال عبد القادر المشرفي وعبد الرزاق بن حمادوش وأبو رأس الناصري وغيرهم، حيث كانت لهم إسهامات كبيرة في انتشار وتطور حركة التأليف في الجزائر العثمانية بفضل توفر مجموعة من العوامل، أهمهما جهود بعض الحكام العثمانيين أمثال صالح باي والباي محمد الكبير الذين كانوا من الشخصيات العلمية التي ساهمت في إثراء الحقل الفكري والعلمي والأدبي عن طريق بناء المؤسسات الثقافية من مساجد، وزوايا، ومدراس، وكتاتيب قرآنية، ومكتبات، وتشجيع حركة التأليف والنسخ في شتى العلوم والمعارف، وهكذا عرفت الجزائر في هذه الفترة نوعين من المؤلفات:

المؤلفات النقلية المتمثلة في العلوم الشرعية مثل علوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث وعلوم الفقه، وهذا بفضل طبيعة التكوين الديني للجزائريين، ومالها من علاقة بالعلوم اللسانية المتمثلة في علوم اللغة والنحو والصرف والبيان والبديع والعلوم الأدبية والتاريخية ومؤلفات عقلية تمثلت في علوم الطب، وعلوم المنطق، وعلوم الفلك والحساب، ورغم ندرتها مقارنة بالمؤلفات النقلية إلا أن هذا لا ينفي وجود إسهامات في ميدان العلوم العقلية، وهذا من خلال ماخلفه عبد الرزاق بن حمادوش وغيره من علماء عصره.

وانطلاقا مما سبق تبقى هذه المؤلفات بنوعيها مادة أساسية محلية تنقل لنا الأحداث التاريخية بصدق وعفوية، وتسد النقص الموجود في حلقات تاريخنا الحديث.

الكلمات المفتاحية:

الجزائر، أواخر العهد العثماني، التعليم، المؤسسات الثقافية، المؤلفين، المؤلفات النقلية، المؤلفات العقلية.

Abstract :

Algeria, in the late Ottoman era, knew a group of authors such as Abdelkader Al-Mushrifi, Abdul-Razzaq Ibn Hammadush, Abu Ras al-Nasiri and others, as they lived Great contributions to the char and the development of the authorship movement in Ottoman Algeria, thanks to the availability of A group of factors, the most important of which are the efforts of some Ottoman rulers, such as Salih Bey and Bey Muhammad the Great who were among the scientific figures who contributed to enrich the field Intellectual, scientific and literary, by building cultural institutions from mosques and angles Schools, Qur’anic writings, libraries and encouraging the movement of authorship and copying in various sciences And knowledge, and thus Algeria knew during this period two types of literature: Mental literature represented in Sharia sciences, such as the sciences of the Qur’an, interpretation and sciences Hadith and jurisprudence and this is thanks to the nature of the Algerian religious formation and what it has Relationship with the linguistic sciences represented in the sciences of language, grammar, morphology, statement, and badi'i Literary and historical sciences and mental literature represented in the sciences of medicine and the sciences of logic And the sciences of astronomy and mathematics, although they are scarce compared to the transport literature, this is not denied The existence of contributions in the field of mental sciences, and this is through his successor, Abdul Razzaq Ibn Hammadosh and other scholars of his time Based on the foregoing, these books of both types remain basic local material that transmits the events to us Historicism sincerely and spontaneously and filling the deficiency found in the episodes of our modern history.

key words :

Algeria - Late Ottoman Era - Education - Cultural Institutions - Authors Transmission literature - mental literature.

Résumé :

L'Algérie a connu, à la fin de l'ère ottomane, un ensemble d'auteurs comme Abdelkader Al-Mushrifi, Abdul-Razzaq Ibn Hammadush, Abou Ras al-Nasiri et d'autres qui ont contribué à l'omble et au développement du mouvement d'auteur en Algérie ottomane, grâce à un ensemble de facteurs, dont les plus importants sont les efforts de certains dirigeants ottomans, tels que Salih Bey et Bey Muhammad le Grand qui faisait partie des personnalités scientifiques qui ont contribué à l'enrichissement du champs Intellectuel, scientifique et littéraire, en construisant des institutions culturelles notamment les mosquées , les Zaouia, les écoles et les bibliothèques et en encourageant le mouvement de création et de copie dans diverses sciences et connaissances , de ce fait , l'Algérie a connu pendant cette période deux types de littérature: Littérature mentale représentée dans les sciences de la charia, telles que les sciences du Coran, l'interprétation et la science Hadith et Jurisprudence et ce grâce à la nature de la formation religieuse algérienne et à ce qu'elle a Relation avec les sciences linguistiques représentées dans les sciences de la linguistique, de la grammaire, de la morphologie, de l'énoncé et de la badia Sciences littéraires et historiques et littérature mentale représentées dans les sciences de la médecine et les sciences de la logique Et les sciences de l'astronomie et des mathématiques, bien qu'elles soient rares par rapport à la littérature sur les transports, cela n'est pas nié L'existence de contributions dans le domaine des sciences mentales, et c'est à travers son successeur, Abdul Razzaq Ibn Hammadosh et d'autres savants de son temps Sur la base de ce qui précède, ces livres des deux types restent un matériel local de base qui nous transmet les événements. L'historicisme sincèrement et spontanément et comblant la carence trouvée dans les épisodes de notre histoire moderne.

les mots clés :

Algérie - Fin de l'ère ottomane - Éducation - Institutions culturelles - Auteurs Littérature de transmission - littérature mentale.